

كِتَابُ  
التَّحَايِ وَالْمُرَاتِي

تأليف  
أبي العباس محمد بن يزيد  
المعروف بالمبرد  
المتوفى سنة ٢٨٦هـ

وضع حواشيه  
خليل المنصور

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

## جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضخيد الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©  
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى  
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الطريف- شارع البحري- نبأة ملكارت  
تلفون وفاكس : ٣٤٣٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠١١٢٢ (١ ٩٦١ )  
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH  
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohory st., Mellart bldg., 1st Floor.  
Tel. & Fax : 00 (961) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98  
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

هذا كتاب التعازي والمرائي لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن أبي عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر ابن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم الشمالي الأزدي «أبو العباس» المعروف بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمانه وأحد أئمة الأدب والأخبار مولده في البصرة ووفاته ببغداد من أشهر كتبه «الكامل» و «المذكر والمؤنث» مخطوط و «المقتضب» و «التعازي والمرائي» و «شرح لامية العرب» مع شرح الزمخشري و «إعراب القرآن» و «طبقات النحاة البصريين» و «نسب عدنان وقحطان» و «المقرب» مخطوط قال الزبيدي في شرح خطبة القاموس: المبرّد بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم بكسر .

قال ابن الكلبي في نسبه: عوف بن أسلم هو ثعالة والأسد هو الأزدي الشمالي الأزدي البصري المعروف بالمبرّد النحوي أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأخذ عنه نفظويه وغيره من الأئمة. كان المبرّد وأبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب صاحب كتاب «الفصيح» عالِمين متعاصرين قد ختم بهما تاريخ الأدباء وفيهما يقول بعض أهل عصرهما من جملة أبيات وهو أبو بكر بن أبي الأزهر:

أي طالب العلم لا تجهلن وعذ بالمبرّد أو ثعلب  
تجد عند هذين علم الوري فلاتك كالجمال الأجر  
علوم الخلائق مقروننة بهذين في الشرق والمغرب  
وكان المبرّد يحب الاجتماع في المناظرة بثعلب والاستكثار منه وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع عنه .

وكان المبرّد كثير الأمالي حسن النوادر، طلب بعض الأكابر من المبرّد معلماً لولده فبعث شخصاً وكتب معه قد بعث به وأنا أتمثل فيه:

بذا زرت نسيديك فإن حسي شفيحاً عندهم أن يخبروني

وقال أبو العباس المبرد: ما تنادر أحد علي ما تنادر به سذاب الوراق فإني اجترت يوماً به وهو قاعد بباب داره فقال لي: إلى أين؟ ولا طفتني وعرض علي القرى فقلت له: ما عندك؟ فقال: عندي أنت وعليه أنا يشير إلى اللحم المبرد بالسذاب.

كانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين وقيل سبع ومائتين وتوفي يوم الاثنين ليلتين بقينا من ذي الحجة وقيل ذي القعدة سنة ست وثمانين وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد ودفن في مقابر باب الكوفة في دار اشترت له وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله تعالى ولما مات نظم فيه وفي ثعلب أبو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف أبياتاً سائرة وكان ابن الجواليقي كثيراً ما ينشدها وهي:

ذهب المبرّد وانقضت أيامه      وليذهبين إثر المبرّد ثعلب  
بيت من الآداب أصبح نصفه      خرباً وباقى بينها فسيخرب  
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا      لتدهر أنفسكم على ما يسلب  
وتزودا من ثعلب فبكأس ما      شرب المبرّد عند قريب يشرب  
وأرى لكم أن تكتبوا أنفساً      إن كانت الأنفاس مما يكتب

لعل في ما أوردناه عن المبرد كفاية للتعريف بأحد عمالقة الأدب العربي ومدخلاً إلى كتابه الذي نحن بصنده وقد جمع فيه عيون الشعر ودرر الخطب في التعازي والمراثي بأسلوبه الشائق ومعناه الرائق تقدمه للطلال الراغب مختصر الحواشي والتذييلات بما لا يضر بفائدة ولا يفلت شاردة.

والله الموفق للصواب

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الحمد لله رب العالمين

الحمدُ لله الذي يرثُ الأرضَ ومنَ عليها، وهو خيرُ الوارثين، الذي كتبَ على عباده الفناء، واستأثرَ بالبقاء، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وعلى آله الطيبين الأخيار وسلمَ كثيراً.

قال أبو العباس محمد بن يزيد (الأزدي) الثحوي، المعروف بالمُبَرِّد رحمه الله تعالى:

دعانا إلى تأليف هذا الكتابِ واجتلابِ محاسن من تكلم في أسباب الموت من المواعظ والتعازي والمراثي على قدر ما يحضر، فإننا ابتدأناه عن غير خَلوةٍ بفكرٍ ولا تمييزٍ لكُتُب، وإنما اقتضينا اقتضاباً ثمةً بالله وتوكلاً عليه مصابنا برجل استخفنا لذلك وبعثنا عليه، وهو أبو إسحاق القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم<sup>(١)</sup>. وإنما نسبناه انتماساً للتبويه باسم سلفه الصالحين.

ولقد كانَ - رحمةُ الله عليه - في أنثر الأمور أنجع وأنفع. ولو غَدَ كاملٌ لا سقطَ فيه لكان إياه، لكن الله جل ثناؤه جعل في المخلوقين النقص، وجعلهم ضعفاءً، وحكم بأنهم لم يؤثروا من العلم إلا قليلاً. ولقد كانت أُنصباؤه في ذلك القليل كالمحتوية على أكثره - رحمة الله عليه - مع ما جمع الله جلَّ وعزَّ فيه من حكمٍ عادلٍ، ورأيٍ فاضلٍ وأدبٍ بارعٍ، ولُبِّ ناصعٍ، وتَصَرُّفٍ في العلوم، وجلم يُربي على الحلوم، وفي الله تعالى ذُكْرُه خَلْفَ من كل هالكٍ وعزاء من كل مصيبة. وبرسول الله ﷺ الأُسوة والقُدوة، وكلَّ حَظَبٍ، إذا ذُكِرَتْ وفاته، صغيرٍ، وكل رزءٍ حقيقٍ؛ عليه رحمة الله وبركاته.

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي: فقيه مالكي جليل التصانيف من بيت علم وفضل كان من نظراء العبَّاد ولي قضاء العدائن وبغداد والنهر واثان ثم قضاء القضاة توفي فجأة ببغداد وكان موته سبب تأليف كتاب التعازي والمراثي (٢٠٠ - ٢٨٢ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٣١٠).

يروى عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - من وجوه، سمعنا ذلك وبعضها يزيد على بعض، أنه قال: لما نزل في رسول الله ﷺ تولى غسله العباس، وعلي، والفضل، فقال علي: لم أراه يعاد فأه في الموت ما كنت أراه في أفواه الموتى. ثم لما فرغ علي من غسله وأذنته في أكفانه، كشف الإزار عن وجهه، ثم قال: بأبي أنت وأمي، طبت حياً، ولبت ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والانباء، خصصت حتى صيرت مسلياً عمّن سواك، وعظمت حتى صارت المصيبة فيك سواء. ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفذنا عليك الشؤون ولكن ما لا يدفَع كمد وإدبار محالفان (وهما داء الأجل، وقلاً لك. بأبي أنت أومي). أذكرنا عند ربك، واجعلنا من همك. قال: ثم نظر إلى قذاة في عينه فلقها بلسانه ثم رد الإزار على وجهه.

وقال رسول الله ﷺ: «تَعَزَّوْا عَنْ مَنَّاكُمْ بِي».

وهذا كلام تلقاه عنه المؤمنون ثم أدوه إلى من بعدهم من إخوانهم المؤمنين، فاحتذى هذا المثال يقيناً وإيماءً جماعة كلهم سلكته فاهتدى، ووصفه فأحسن، فمنهم عبد الله بن أراكمة الثقفي: فإنه أصيب بابن له فأسرف أخوه عبد الله بن عبد الله في البكاء فوعظه وعزاه فقال:

[الطويل]

وَقُلْتُ لِغَيْبِ اللَّهِ إِذْ جَدُّ بَأْسِيَا:	تَعَزَّوْا وَمَا الْعَيْنُ مُنْهَمِلٌ يَجْرِي
لَعَمْرِي لَيْنٌ أَتْبَعْتَ غَيْبِيكَ مَا مَضَى	بِهِ الدُّهُرُ أَوْ سَاقِ الْجَمَامِ إِلَى الْغَيْرِ
لَسْتَ تَقْدِرُ مَاءَ الشُّوونِ بِأَنْسِرِهِ	وَلَوْ كُنْتَ تُسْرِيهنَّ مِنْ تَبِجِ الْبَحْرِ
تَأْمَلُ فَإِنَّ الْبُكَاءَ رُدَّ هَالِكَا	عَلَى أَحَدٍ، فَاجْتَهْدُ بِكَأَلِ عَلَى غَمْرٍ
وَلَا تَنْبِكُ مَيْتاً بَعْدَ مَيْتِ أَحْسُهُ	عَلِيٍّ وَعُغْبَاسَ وَالْأَبِي بَكْرٍ

## بَابُ مِنَ التَّعَاذِي

وهو أكثر ما تكلم فيه الناس، لأنه لم يَغْرَ أحدٌ من مصيبةٍ بحميم، ذلك قضاء الله على خَلْقِهِ. فكلُّ تكلم إما متعزياً وإما معزياً، وإما متصبراً محتسباً.

قال أبو الحسن المدائني<sup>(١)</sup>: كانت العربُ في الجاهلية - وهم لا يرجون ثواباً ولا يخشون عقاباً - يتحاضون على الصبر، ويعرفون فضله، ويُعبرون بالجزع أهله، يثاراً للمحزَم وتزنيماً بالجلم، وطلباً للمروءة، وفراراً من الاستكانة إلى حُسن العزاء، حتى إن كان الرجل منهم ليفقد حميمه فلا يُعرف ذلك فيه. يُصدّق ذلك ما جاء في أشعارهم، وثني من أخبارهم. قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّة<sup>(٢)</sup> في مَرْثِيَةِ أخاه عبد الله:

[الطويل]

قَلِيلُ الشُّكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَاقِظٌ مَعَ السَّيِّئِ أَنْبَارِ الْأَحَادِيثِ فِي عَدْبِ  
صَبَا مَا صَبَا حَتَّى إِذَا شَابَ رَأْسُهُ وَأَخَذَتْ جِلْمًا قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعُدِ

قال أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>: كان يونس بن حبيب<sup>(٤)</sup> يقول: هذا أشعر ما قيل في هذا

الباب.

وقال أبو جِراش الهذلي<sup>(٥)</sup>:

[الطويل]

(١) أبو الحسن المدائني: علي بن محمد بن عبد الله بصري انتقل من المدائن إلى بغداد فَعَرَفَ بالمدائني عالم إخباري. (١٣٥ - ٢٢٥ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٣٢٣).

(٢) دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ الجشمي البكري: شاعر فارس من قبيلة هوازن أدرك الإسلام ولم يسلم (... / ٨ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٢٩).

(٣) أبو عبيدة: ممتزج بين المثنى إمام اللغويين في البصرة (١١٠ - ٢٠٩ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٧٣).

(٤) يونس بن حبيب الضبي: كنيته أبو عبد الرحمن؛ إمام النجاة في البصرة (٩٤ - ١٨٢ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ٢٦١).

(٥) أبو جِراش الهذلي: خُوَيْلِدُ بن مَرَّةٍ مضرّي من بني هذيل شاعر فارس أسلم في زمن عمر (/ ١٥ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٢٥).

تَقُولُ زَاهٍ بَعْدَ عَزْوَةٍ لَأَهْبَاءِ  
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ  
وقال أبو ذؤيب<sup>(١)</sup>:

وَذَلِكَ رُزٌّ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ  
وَلَكِنْ صَبْرِي يَا أُمَّتِي جَمِيلُ

[الطويل]

زَانِي صَبْرَتْ النَّفْسُ بَعْدَ ابْنِ عَثْبِيسِ  
لَأَحْسَبُ جَلْدًا أَوْ لِيُنْبَأَ شَامِتُ  
وقال أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ<sup>(٢)</sup>:

وَقَدْ لَجَّ بَيْنَ مَاءِ الشُّؤُونِ لَجْوُجُ  
وَلِلشَّرِّ بَعْدَ الْقَارِعَاتِ فُرُوجُ

[المنرح]

أَيْشَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا  
وقال أبو ذؤيب:

إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

[الكامل]

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرِيهِمْ

أَنِّي لِرِزْبِ الدَّعْرِ لَا أَتَضَغُّعُ

والشيء يُذكر بالشيء: يروي أن لحسين بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - دخل على معاوية وهو في عاية له غليظة، فقال معاوية: ساندوني ثم تمثل بهذا البيت:

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرِيهِمْ

أَنِّي لِرِزْبِ الدَّعْرِ لَا أَتَضَغُّعُ

فَسَلَّمَ الحسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ تَمَثَّلَ:

وَإِذَا الْمَبِيئَةُ أَتَقَبَّتْ أَظْفَارُهَا  
أَلْقَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

(فاستظرف الجواب كون البيتين من قصيدة واحدة).

وقال عمرو بن مغدي كَرَبٍ<sup>(٣)</sup>:

[مجزوء الكامل]

(١) أبو ذؤيب: حوبلد بن خالد مضرني من بني هذيل شاعر مخضرم شارك في فتوح أفريقيا وتوفي عائداً في مصر (-/٢٧ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٢٥).

(٢) أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ بن مالك التميمي: أبو شريح شاعر جاهلي من قبيلة تميم وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى. (٩٨ - ٢ ق هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣١).

(٣) عمرو بن معدني كَرَبٍ بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: أبو ثور فارس شاعر وفد على رسول الله وأسلم وارتد بعد وفاته ثم عاد إلى الإسلام شهد اليرموك والقادسية حيث قتل هناك (٢١/٢ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٨٦).



كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ      بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لِحَدَا  
 مَا إِنْ هَلَكَتْ لِقَفْئِهِ      لَيْسَ الْبُكَاءُ يَرْزُقُ زُنْدًا  
 أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ      وَخَلِيفَتُ يَوْمَ خُلِيفَتِ جَلْدًا  
 وقال حارثة بن بذر الغداني<sup>(١)</sup>:

[البيط]

الضَّبْرُ أَجْمَلُ وَالذُّنْيَا مُفْجَعَةٌ      مَنْ ذَا الَّذِي لَمْ يُجْرِعْ مَرَّةً حَزْنَآ؟  
 وما جاء في هذا أكثر مِنْ أَنْ يُؤْتَى تلى غابره.

وتعزيتك الرجل تسليتك إيَّاه. والعزاء هو السلو وحسن الصبر على  
 المصائب وخير من المصيبة العوض منها والرضى بقضاء الله والتسليم لأمره تَنْجُزًا  
 لما وَعَدَ من حسن الثواب، وجعل للمصابرين من الصلاة عليهم والرحمة. فإنه  
 يقول تبارك وتعالى: ﴿وَيُنشِرُ الضَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّ  
 إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾  
 [البقرة: ١٥٥]. وقال: ﴿وَيُنشِرُ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ  
 وَالضَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَتْهُمْ﴾ [الحج: ٣٤]. وقال تبارك اسمه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ  
 مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ﴾ [التغابن: ١١] - يقول الاسترجاع.  
 خبرني بذلك غير واحد من الفقهاء.

وروي أبو الحسن عن الفضل بن عيسى قال: قيل للضحك بن قيس<sup>(٢)</sup> من  
 قال عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون، كأن ممن أخذ بالتقوى وأذى  
 الفرائض؟ فقال: نعم، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة.

قال الأصمعي عن بعض العلماء: لو وُكِّلَ النَّاسُ بِالْجَزَعِ لَلْجَزَعِ إِلَى  
 الصبر.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ<sup>(٣)</sup> أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجْرَنَا عَلَى مَا لَا بُدَّ لَنَا

(١) حارثة بن بذر بن حصين التميمي الغداني: شاعر بصري مات غرقاً في حربه مع الخوارج (٤٠٤ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٥٨).

(٢) أبو بحر الضحك بن قيس بن معاوية التميمي: الأحنف سيد بني تميم موصوف بالحلم والدهاء (٣ ق هـ - ٧٢ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٢٧٦).

(٣) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد: أحد علماء وفقهاء البصرة (٢١ - ١١٠ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٢٦).

منه، وأثابنا على ما لو كَلَّفْنَا غَيْرَهُ لَصِرْنَا فِيهِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ .

قال الأصمعي وأبو الحسن: جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه أيوب فقال له رجلٌ من الفُرَّاء: يا أمير المؤمنين إنَّ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَظَنَّ أَنَّهُ يَغْرَى مِنَ الْمَصَائِبِ فِيهَا لَغَيْرِ جَيْدِ الرَّأْيِ . نَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا تَسَلَّى بِهِ .

وكان علي بن أبي طالب رضوان الله عليه يقول: عليكم بالصبر، فإن به يأخذ الحازمُ وإليه يعودُ الجازعُ .

وزوي عن أبي الحسن، عن أبي عمرو بن المبارك قال: دخل زياد بن عثمان بن زياد على سليمان بن عبد الملك، وقد توفي ابنه أيوب، فقال: يا أمير المؤمنين، إن عبد الرحمن بن أبي بكر<sup>(١)</sup> كان يقول: مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ فَلْيُؤْطِنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ .

قال أبو الحسن عن علي بن سليمان بن الحسن: الخَيْرُ الَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ الشُّكْرُ مَعَ الْعَافِيَةِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ . فَكَمْ مِنْ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ غَيْرُ شَاكِرٍ، وَمِنْ مُتَبَلِّغٍ غَيْرُ صَابِرٍ .

قال: ومن أحسن التَّعْزِيَةِ إِبْلَاحٌ فِي إِجْزَازِ . قال أبو الحسن: ومن أحسن ما سمعنا في ذلك عن أبي الحكم الليثي عن شَيْبَةَ بْنِ نَصَاحٍ<sup>(٢)</sup> قال: لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ صَرَخَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسٍ<sup>(٣)</sup>، فَتَادَتْ مُنَادٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، يَسْمَعُونَ حَسَّهُ وَلَا يَرُونَ شَخْصَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَعْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَبْكُونَ، أَمْ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ تَصْرُخُونَ؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: مَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَبْكَي وَلَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ تَصْرُخُ، وَلَكِنْ عَلَيَّ انْقِطَاعُ الْوَحْيِ عَنَّا . قَالَ: ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةٌ الْمَوْتِ، وَإِنَّمَا تُؤَنِّوْنَ أَجْوَرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُخِخَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» [آل عمران: ١٨٥] .  
إن في الله عزاء من كل مصيبة، وِعَوَاضاً مِنْ كُلِّ مَرْزِيَةٍ، وَذِكْراً مِنْ كُلِّ فَائِتٍ،

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر الثقفي: من أعيان التابعين توفي في البصرة (٩٦/هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٣٠٢) .

(٢) شَيْبَةُ بْنُ نَصَاحٍ الْمَخْزُومِيُّ الْمَدَنِيُّ: قَاضِي وَإِمَامُ الْمَدِينَةِ فِي الْقِرَاءَاتِ وَمِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ (١٣٠/هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ١٨١) .

(٣) أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْسٍ: صَحَابِيَةٌ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (٤٠/هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٣٠٦) .

وَحَلَفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ، فَبَالَه فَتَقُوا، وَإِيَّاهُ فَازْجُوا. الْمُخْبِرُ مِنْ حَبْرَةِ الشَّوَابِ،  
وَالْحَائِبُ مِنْ أَمِيرِ الْعُقَابِ.

قال أبو الحسن عن الحسن بن دينار<sup>(١)</sup> عن علي بن زيد<sup>(٢)</sup> عن أنس بن مالك<sup>(٣)</sup> أن رسول الله ﷺ وضع إبراهيم في حجره وهو يوجد بنفسه فقال: «لولا أن الماضي فرط الباقي وأن الآخر لا يبق بالاول لحزننا عليك يا إبراهيم». ثم دمعت عينه فقال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وأنا بك يا إبراهيم لمحزونون».

قال أبو الحسن: أخبرنا عن مسامة عن أبان عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لأن أقدّم فرطاً أحب إلي من أن أدع مئة مستلثم». وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من عزى مصاباً فله مثل أجره»<sup>(٤)</sup>.

قال أبو الحسن عن بعض أصحابه قال: عزى أبو بكر عمر على طفل له، فقال: «عوضك الله منه ما عوضه منك».

تفسير هذا أنه يقال: إن الطفل يعوض من أبويه الجنة.

قال أبو الحسن عن أبي بكر<sup>(٥)</sup> عن أبي المَلِيح<sup>(٦)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله جل ذكره: «إذا أخذت صفّي عدي فصير لم أرض له ثواباً دون الجنة»<sup>(٧)</sup>.

(١) أبو سعيد الحسن بن دينار البصري: اسم أبيه . عمل ولكنه نسب إلى زوج أمه دينار كان قديراً روى عن الحسن البصري وروى عنه سفيان الثوري . (لسان الميزان: ج ٢، ص ٢٠٣) (البيان والنتبين: ج ٢، ص ٤٩).

(٢) أبو الحسن علي بن زيد بن جعدان: فقيه بصري. ضرير من حفاظ الحديث (١٢٩/هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٢٨٩).

(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الحزرجي الأنصاري «أبو ثمامة» أو أبو حمزة خادم رسول الله ولد بالمدينة وتوفي بالبصرة (١٠ قبل الهجرة - ٩٣ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٤).

(٤) أخرجه الترمذي وأبو ماجه في السنن.

(٥) أبو بكر الهذلي: في البيان والنتبين اسمه «عبد الله بن سلمة»، وفي التهذيب «سلمى بن عبد الله بن سلمى وقيل اسمه روح» وهو من خطباء هذيل. (البيان والنتبين: ج ١، ص ٢٣٧).

(٦) أسامة بن عمير: كما جاء في البيان والنتبين واسمه في التهذيب عامر أو زيد بن أسامة وهو من خطباء هذيل. (البيان والنتبين: ج ١، ص ٢٣٧).

(٧) أخرجه الترمذي وابن ماجه في السنن.

## باب من الشعر

مراثي الجاهلية المشهورة المستحسنة المستجادة المقدمة معلومة موسومة.  
 منها قصيدة متمم بن نويرة<sup>(١)</sup> في أخيه مالك، على أن سائر أشعاره غير مذموم،  
 وإن تقدمت العينية التي أولها.

[الطويل]

لَعْمَرِي وَمَا ذَهْرِي بِتَأْيِيبِ هَالِكٍ وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا  
 ومنها قصيدة دريد في أخيه عبد الله التي أولها.

[الطويل]

أَزْتُ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَغْبَدٍ بِغَائِبَةٍ وَأَخْلَفْتُ كُلَّ مُؤَعِدٍ  
 ومنها قصيدة كعب بن سعد الغنوي<sup>(٢)</sup> يرثي فيها أخاه، وهي التي أولها:  
 نَقُولُ سُلَيْمَى مَا لَجَسْمُكَ شَاجِبًا كَأَنَّكَ بِخَمِيكَ الشَّرَابِ طَيِّبٍ  
 ومنها قصيدة أعشى باهلة، أبي قحافة<sup>(٣)</sup> وهي التي أولها:

إِنِّي أَتَشَنِي لِنِسَانٍ لَا أَسْرُبُ بِهَا مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبٌ مِثْهَا وَلَا سَحْرُ  
 ومراثي الخنساء ومراثي ليلى الأخيلية، وسنذكر من ذلك طرفاً ومن مراثي  
 أوس بن حجر في فضالة بن كلفة الأسدي<sup>(٤)</sup>، ومراثي ليبيد في أخيه أزيد،

(١) متمم بن نويرة بن جمره بن شداد البربري التميمي «أبو نهشل» شاعر فحل صحابي اشتهر في  
 الجاهلية والإسلام كان قصيراً أعوراً أشهر شعر، رثاه لأخيه «مالك» سكن في المدينة (٣٠٠ هـ)  
 (الأعلام: ج ٥، ص ٢٧٤).

(٢) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي: شاعر جاهلي من بني غنم قتل أخواه في ذي قار ومنزله في «رملة»  
 إنسان، موضع شرقي «الرجام» وهو اسم جبل (.../١٠ ق هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٢٧).

(٣) عامر بن الحارث بن رباح الباهلي: شاعر جاهلي من همدان يكنى «أبا قحافة» (.../...)  
 (الأعلام: ج ٣، ص ٢٥٠).

(٤) فضالة بن كلفة: شاعر جاهلي من بني أسد وصديق أوس بن حجر التميمي (.../...)

وعدي المهلهل فيمن بكاه من قومه اختباراتٍ بارعةً وثنبه على ما فيها ولمن  
اختيرت ثم ننحط إلى شعر الإسلام من قديم ومحدث وما بينهما إن شاء الله .  
ونفصل ذلك بالمواعظ كلاماً وشعراً والتعازي على ما يحضر ونوفق له إن شاء  
الله .

فمما اخترنا من قصيدة مُتَمِّم وكان الذي تولى قتل أخيه بأمر خالد بن  
الوليد بن المغيرة - ضرار بن الأزور الأسدي وحدثنا الثوري<sup>(١)</sup> في إسناده أن  
ضراراً هذا أتى رسول الله ﷺ لِيُسَلِّمَ ففعل وقال :

تَرَكْتُ الخُمُوزَ وَضَرَبْتُ القِدَا ح وَاللَّهُوَ تَضَلِيَةً وَابْتِهَالَا  
وَكَرَّرِي المَحْبُرَ فِي غَمْرَةٍ وَشُدِّي عَلَى المُشْرِكِينَ القِبَالَا  
فِيَارِبٌ لَا أَعْبَتُنْ ضَفْقِي فِي فَقَدْ بَنَتْ أَفْئِي وَمَالِي بِدَالَا  
فقال رسول الله ﷺ : مَا عَبَّتْ ضَفْقَتُكَ يَا ضَرَارَ .

ثم نرجع إلى اختيارنا من العينية، ففيها من حُرِّ الكلام وصادق المدح  
قوله :

[الطويل]

إِذَا ابْتَدَرَ القَوْمُ القِدَاخَ وَأَوَقَدَتْ لَهُمْ نَارَ أَيْسَارٍ كَفَى مَنْ تَضَجُّعًا<sup>(٢)</sup>  
بِمَشَى الأَيَادِي ثُمَّ لَمْ تُلَفْ مَالِكَا عَلَى الفَرْثِ يَحْيِي اللِّحْمَ أَنْ يَنْمُرَعَا<sup>(٣)</sup>  
وقوله :

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةً<sup>(٤)</sup> جَفْبَةً مِنْ الدُّهْرِ حَتَّى قَبِلَ لَنْ نُشْصَدَعَا  
وِعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الحَيَاةِ وَقَبِلْنَا أَصَابَ المَنِيَا زَهَطَ كِسْرَى وَثُبَعَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لِيَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا  
وفيهما مما يُختار :

= (الأعلام: ج ٥، ص ١٤٦).

(١) عبد الله بن محمد بن هارون الثوري من توزة بلدة بفارس من كبار علماء اللغة توفي سنة ٢٣٨ هـ.  
رغبة الأمل: ج ١، ص ١٦٩).

(٢) الأيسار: مفردهما يسر (المجتمعون على العيسر) وتضجع في الأمر: لم يقم به .

(٣) ينمزع: يفرق.

(٤) ندمانا جذيمة: نديمان لجذيمة الأبرش وهما مالك وعقيل قتلها بعد أن ناداهما دهرًا (الأعلام: ج  
٥، ص ٢٧٤) ترجمة متمم بن نويرة.

وَعَثِيثٌ يَسْحُ الْمَاءَ حَتَّى تَرْتُبَعَا<sup>(١)</sup>  
 ذَهَابَ الْعَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا<sup>(٢)</sup>  
 تُرْسُخٌ وَسِمِيئاً مِنَ الثَّبِيبِ خِرْوَعَا<sup>(٣)</sup>  
 وَأَضْحَى ثُرَاباً فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلْقَعَا  
 رَأَيْنَ مَجْزَأً مِنْ فَصِيلٍ وَمَضْرَعَا<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا حَثَّتِ الْأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا  
 وَنَادَى بِهِ الثَّاعِي السَّبِيحَ فَأَسْمَعَا

أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السُّنَانِي فِي رَبَابِهِ  
 سَقَى اللَّئِمَةَ أَرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكِ  
 وَأَثَرَ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ بِسَيْمَةِ  
 نَجِيَّتِهِ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِبِيَا  
 فَمَا وَجَدَ أَطَارِ ثَلَاثَ زَوَائِمِ  
 يُذَكِّرُنَ ذَا الْوَجْدِ الْقَدِيمِ بِوَجْدِهِ  
 بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مَالِكاً  
 يريدُ بالسَّبِيحِ : المسموع .

ومعاً يُسْتَحْسَنُ مِنْ شِعْرِهِ فِيهِ :

[الطويل]

وَأَيْفَاعٌ صِدْقٍ لَوْ تَمَلَّيْتُهُمْ رَضَى  
 كَدَّابٌ ثُمُودٍ إِذْ رَعَا سَفِيهَهُمْ ضَحَى<sup>(٥)</sup>  
 مَا كَلَّهْمُ يُعْنَى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى  
 عُثِيثٌ فَلَمَّ أُنْجَسَ لَوْ لَمْ أَتَبَلَّدِ

كُهِولٌ وَمُرْدٌ مِنْ بَنِي عَمِّ مَالِكِ  
 سَفُوا بِالْعُقَارِ الصَّرْفِ حَتَّى تَتَابَعُوا  
 إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَى لِعَظِيمَةٍ؟  
 وهذا يشبه قولَ طرفة :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَى؟ جَلَّتْ أُنْيِي  
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي أُخْرَى :

[الطويل]

كَسَا قِطْعَةً إِحْدَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَبَلِ<sup>(٦)</sup>  
 وَلَا ظِلَّ إِلَّا أَنْ تُعَدَّ مِنَ السُّخْلِ  
 وهذا مِنْ جَيِّدِ الْكَلَامِ لِصَحَّةِ مَعْنَاهُ، وَلِأَنَّهُ وَافِقٌ حَقًّا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

وَكُلُّ فَتَى فِي الثَّاسِ يَغْدُو ابْنَ أُمِّهِ  
 وَيَنْغُضُ الرِّجَالَ تَحْلَةً لَا جَنَى لَهَا

(١) الرَّبَابُ: السحاب والثرثيع: التردد.

(٢) الذَّهَابُ: مفردها ذُهبة: السحابة الغزيرة.

(٣) الوَسْمِيُّ: أول النبات والخِرْوَعُ: اللين من كل شيء.

(٤) الأَطَارُ: جمع ظئر المرصعة لغير ولدها من الناس والإبل والرواثم: التي تعطف على الرضيع وتدز له.

المجر والمصرع: مصدران من الجَرِّ والصَّرْعِ.

(٥) السَّفْبُ: ولد الناقة.

(٦) الخَبَلُ: قطع البد أو الرجل.

«الناس كإبلٍ مِثَّةٍ، لا تكادُ ترى فيها راحلةً» وقد قال الآخر لشجراتٍ ضربَ بهنّ مثلاً:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيكَ نَظْرٌ وَلَا جَنَى      فَأَبْعَدَكَ نُّوَالَةُ مِنْ شَجَرَاتِ  
والرجل - رحمه الله - الذي أنشأنا هذا الكتاب بسببه، ومن أجل وفاته،  
نأمن أن يلحق وصفنا إياه تزئيداً أو تكلف لإجماع العامة فيه على قول الخاصة.  
فكان شيء وقع إلهاماً، وكان مادحه يستملي مدحه من قول القائل:

جَلْتُ مُصِيبَتَهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ      فَالْأَسْرُ فِيهِ كَلُّهُمُ مَا جَوْرُ  
وَالْأَسْرُ مَا أَتَمُّهُمُ عَلَيْهِ وَاحِدٌ      فِي كُلِّ دَارٍ رُتَّةٌ وَرَفِيسُ  
تَجْرِي عَلَيْكَ دُمُوعٌ مِنْ لَمِ تَوْلِهِ      خَيْرٌ لَأَنَّكَ بِالْأَسْنَاءِ جَدِيرُ  
ويشاكل هذا المعنى قول عمارة بن عقيل<sup>(١)</sup> لخالد بن يزيد بن مزيد<sup>(٢)</sup>:

أَرَى النَّاسَ طَرّاً حَامِدِينَ لِخَالِدٍ      وَمَا كَلَّمَهُمْ أَقْضَتْ إِلَيْهِ ضَابِعُهُ  
قال: النصب في «كلهم» أحب إلي، والرفع جيد.

وَلَنْ يَنْزُكَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَحْمَدُوا الْفَنَى      إِذَا كَرُمْتَ أَعْرَافَهُ وَطَبَائِعُهُ  
فَتَى أَسَمَعْتَ ضَرَاوَهُ فِي عَدْوِهِ      وَخَصَّتْ وَعَمَّتْ فِي الصَّدِيقِ مَنَابِعُهُ  
وإن سليم أخذ من أن يكون له عدو فإسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه الله  
عليه، ذلك الرجل. ولكن من سليم من أن يعادى لجناية فغير سالم من خاسد  
بأغ.

وحدثني الرياشي<sup>(٣)</sup> قال: حدثني محمد بن عبد الله الأنصاري<sup>(٤)</sup> في إسناد  
قال: صلى أبو بكرٍ رحمه الله عليه صلاة الصُّبْحِ يوماً، فلما انفتل قام مُتَمِّمٌ بِنُ  
نُورَةٍ فِي آخِرِ النَّاسِ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْوَرَ دَمِيمًا، فَاتَّكَأَ عَلَى قَوْسِهِ ثُمَّ قَالَ:

(١) عمارة بن عقيل بن بلال بن جريو بن عطية: من أحفاد جرير الشاعر سكن بادية البصرة ومدح  
الخلفاء العباسيين أخذ عنه النحويون وعمي قبل موته (١٨٢ - ٢٣٩ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص  
٣٧).

(٢) خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني: أمير ووالي عباسي جواد وهو ممدوح أبي تمام توفي سنة ٢٣٠ هـ  
(الأعلام: ج ٢، ص ٣٠١).

(٣) أبو الفضل العباس بن الفرح بن علي بن عبد الله الرياشي البصري: لغوي ورواية عالم بأيام العرب  
قتل في فتنه الزنج في البصرة (١٧٧ - ٢٥٧ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٦٤).

(٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن المثنى بن أنس بن مالك: فقيه تولى قضاء البصرة ثم بغداد أيام  
الرشيد رجع إلى البصرة وتوفي فيها (٢١٥ هـ) (تاريخ بغداد: ج ٣، ص ٤٠٨).

بِعَمِّ الْقَسِيلِ، إِذَا الرِّيحُ تَنَاقَحَتْ      خَلَفَ البُيُوتِ، قَتَلَتْ يَا بِنَّ الْأَزْوَِرِ  
أَدْعَوْتَهُ بِاللهِ ثُمَّ غَدَزْتَهُ      لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرْ

وأما إلى أبي بكر، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله ما دعوته ولا غدرت  
به، ثم اتكأ متمم على سببة قومه حتى دمعث عينه العوراء، ثم أتم شعره فقال:

لَا يُمَسِّكُ العَوْزَاءُ تَخَتْ بُيَابِهِ      حَلَوُ شَمَائِلُهُ عَنيفُ المِسْزَرِ  
وَلْيَبْغَمْ حَشْوُ الذُّرْعِ كُنْتُ وَحَابِرًا      وَلْيَبْغَمْ مَأْوَى الطَّارِقِ المُتَشَوِّرِ

فقام إليه عمر فقال: لَوِدِدْتُ أَنْكَ رَثَيْتَ أَخِي بِمَا رَثَيْتَ بِهِ أَخَاكَ. فقال له:  
يا أبا حفص، لو أعلم أن أخي صارَ حيثُ صارَ أخوك ما رثيتهُ يقول: إن أخاك  
قُتِلَ شهيداً. فقال عمر: ما عزاني أحدٌ بمثلِ تعزيتك.

وفي حديثٍ آخر أنه رثي زيد بن الخطاب<sup>(١)</sup> فلم يُجِدْ، فقال له عمر: لم  
أركُ رثيتَ زيداً كما رثيتَ أخاك مالكاً، فقال: إنه والله يُحزكني لِمَالِكٍ ما لا  
يُحزكني لِزَيْدٍ. وقال له عمر يوماً: إِنَّكَ لَجَزَلٌ فَأَيْنَ كَانَ أَخُوكَ مِنْكَ؟ فقال: كان،  
والله، أخي في الليلة ذات الأزيز والأصوات والصراخ، يركبُ الجمَلُ الثقالَ بين  
المزادتين المثلونتين، ويخُتِبُ الفرسَ الجروز<sup>(٢)</sup>، وعليه الشملةُ القلوت<sup>(٣)</sup>، وفي  
يده الرمحُ الثقيلُ حتى يصبحُ متَهَلِّلاً، ولقد أسزْتُ مرةً في بعضِ أحياءِ العربِ  
فمكثتُ فيهم سنةً أحدتهم وأعتيهم، فما أطلقبوني. فلما كانَ بعدُ، وقَفَ عليهم  
مالكٌ في شهرٍ من الأشهرِ الحرمِ، فحادثهم ساعةً ثم استوهبني منهم وهم لا  
يعرفونه فوهبوني له، فعلمتُ أن ساعةً من مالكٍ أكثرُ من حَوْلٍ مني.

قال: وأما مرثيةُ دُرَيْدِ بنِ الصِّمَّةِ فكانَ الأصمعيُّ يقدِّمُها جِذاً، وهي أهلُ  
ذاك. وكانَ سببُ هذه المرثيةِ أَنَّ أخاهُ عبد الله بن الصِّمَّةِ أحدَ بني جُشَمِ بن بكرِ  
ابن هَوَازِنِ، غزا قبائلَ غطفانِ بن سعد بن قيس بن مُرَّة، وفزازةً وأشجعَ وعيسَ بن  
بَغِيضِ. فاكْتَسَحَ أموالهم وانصرفَ، فلم يجاوزْ بعيداً حتى أُنَاخَ وأمرَ بالإبلِ تُنْحَرُ،  
فقالَ له أخوه دُرَيْدُ: يا أبا فُرْعَانَ، إِنَّ غطفانَ غيرُ نائمةٍ عن أموالها فتقدمُ شيئاً ثم

(١) زيد بن الخطاب: قتل في البعامة وكانت الربة معه فحزن عليه عمر كثيراً كان زيد أسن منه وأسلم  
قبله (١٢/٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٥٨).

(٢) الفرس الجروز: الذي لا يكاد يتقاد مع من يجنبه وإنما يجر الحبل.

(٣) الشملة القلوت: التي لا تكاد تنبت على حاملها.



أَنْحُ. فقال: لا والله لا أرىم حتى آخذ ميزباعي<sup>(١)</sup> وأنتفع نقيعتي، فأمر بالإبل فُجِرَتْ، وأجلسوا ربيبتهم<sup>(٢)</sup> فلما سطعت الدواخِرُ قال له الربيبة: إني أرى عبرة قد ارتفعت أكثر من هذه الدواخِرِ. قالوا: فتأمل ماذا ترى. قال: أرى قوماً على خيلهم كأنهم الصبيان. قالوا: هذه فزازة، لا بأس، فتأمل. قال: أرى قوماً كأنهم عُمسوا في الجأب<sup>(٣)</sup> فقالوا: تلك أشجع ولا بأس، تأمل. قال: أرى قوماً كأننا يتقلعون من صخر، يقلعون دوابهم بيوادهم. قالوا: تلك عبسٌ وائموت. فلم ينشؤا أن التقى القوم فاقتلوا شيئاً، ثم نادوا: أردى، والله، فارس هو أبو فرعان، فأقبل دريد فإذا به صريعاً، وأصاب دريداً جراحات. وله خير في ذلك اليوم ليس من هذا. ففي ذلك يقول في كلمته هذه:

وَرَهَيْتُ أَبِي السُّودَاءِ وَالْقَوْمَ شُهْدِي  
فَلَمَّا يَسْتَبِينُوا التُّضْعَ إِلَّا ضَحَى الْعِدِ  
عَوَايَتُهُمْ وَأَنْسِي عَيْرٌ مُهْتَدِ  
عَوِيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ عَزِيَّةٌ أُرْشِدِ  
سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارِيسِي الْمُسَرِّدِ  
فَقُلْتُ: أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرُّدِي؟  
إِلَى جِذْمٍ مِنْ جَلْدِ سَقَبٍ مُقَدِّدِ<sup>(٤)</sup>  
كَوْفِ الصِّيَاصِي فِي النَّسِيحِ الْمُمَدِّدِ<sup>(٥)</sup>  
فَمَا كَانَ وَقَافاً وَلَا طَائِشَ السَّيْدِ  
بَعِيدٍ مِنَ السُّوءَاتِ طَلَأُ أَنْجِدِ  
مَعَ الْيَوْمِ أَذْيَازَ الْأَحَادِيثِ فِي عَدِ  
كَذَّبْتُ، وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

وَقُلْتُ لِعَارِضٍ وَأَضْحَابِ عَارِضِ  
أَمْرَتُهُمْ أَمْرِي بِمُتَعَرِّجِ السُّوَى  
فَلَمَّا عَصَرْتَنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى  
فَمَا أَنَا إِلَّا مَنْ عَزِيَّةٌ إِنْ عَوْتُ  
فَقُلْتُ لَهُمْ: ظَنُّوا بِالْفِي مَقَاتِلِ  
فَنَادَا وَقَالُوا: أَرَدْتَ الْخَيْلَ فَارِساً  
فَجِئْتُ كَأَمِّ الْبُورِ رِيْعَتْ فَأَقْبَلْتُ  
فَمَا زَاغَنِي إِلَّا الرِّمَاحُ تُسُوْسُهُ  
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَائِهِ  
كَمَيْشِ الْإِزَارِ خَارِجٍ بَضْفُ سَاقِهِ  
قَلِيلُ التُّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظُ  
وَعَوْنٌ وَجِدِي أَنْسِي لَمْ أَقْلُ لَهُ:

وأشعار الجاهلية مشهورة معروفة، وإنما نملي منها العيون. ألا ترى إلى قوله «قليل التشكي للمصيبات» ثم وصله بقوله «حافظ مع اليوم أذباز الأحاديث

(١) العرياب: ربع الغنمة والبقعة ما نحر من النهب قبل القسمة.

(٢) الربيبة: العين والحارس.

(٣) الجأب: طين أحمر يصعب به.

(٤) جذم: قطع.

(٥) صياصي: مفردها صيبية: شوكة الحائك التي يسوي بها السداة واللحمة.

في غدا» كيف قرآن فيه معنى ظريفاً بأخر مثله في الظرافة التي لا يمتنع اللبيب من قبولها واستحسانها والمعرفة بحقيقة ما فيها كما قلنا في الذي قبله.

وكذلك قول كعب بن سعد الغنوي:

وَدَاعُ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى السُّدَى؟ نَدَمٌ يَسْتَجِدُّهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ  
فَقُلْتُ: ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّرْتَ وَرَفَعَةً لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ<sup>(١)</sup> بِمَنْكَ قَرِيبٌ  
ألا ترى ما وصفه به من الجود الذي هو عادة يجتمع عليها ثم لم يعدل به  
أحداً؟.

وكذلك قول أعشى بعلجة في مراثيه المُنْتَشِرِ بن وهب حيث يقول في  
جلده، إذ كان جُل ما فيه مما يمدح به فيما كان به موصوفاً:

مَا يَغْمِزُ السَّاقِ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ وَصْرِهِ وَلَا يَعْضُرُ عَنِّي شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ<sup>(٢)</sup>  
مَاضِي الْغَزِيمِ عَلَى الْغَزَاءِ مُضْطَلِّدٌ بِالسَّقُومِ لَيْلَةً لِأَمَاءٍ وَلَا شَجَبِ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّهُ عِنْدَ صِدْقِ السَّقُومِ أَسْمَنُهُمْ بِالْيَأْسِ تَلْمَعُ مِنْ قَدَامِهِ الْبُذْ

ولا نعلم بيتاً في هذا المعنى من يمين النقية وبركة الطلعة أبرع من هذا،  
فإنما نملي هذا الضرب من العيون. ومثل ذلك قوله:

لَا يَشَارِي لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا تَزَاهُ أَسَامُ السَّقُومِ يَفْتَنِيهِ<sup>(٤)</sup>

قال أبو العباس: وحدثنا الرِّياشي في إسناد ذكره قال: أنشد مُنْبِذُ أَبَا بَكْرٍ  
الصدِّيق (رضي الله عنه) قولاً زهير في هَرَمِ بن سنان:

أَنْ نَسْعَمَ مَعْتَرِكُ الْجِيَاعِ إِذَا حَبَّ السَّفِيرِ وَسَابِيءُ الْخَمْرِ<sup>(٥)</sup>  
وَتَبَعَمَ حَسُو السَّدْعِ أَنْتَ إِذَا دَعَيْتَ: تَزَالُ وَتُجَّ فِي السَّدْعِ  
وَمُرَهَّقُ الشِّيرَانِ يُسْحَسِدُ فِي السَّلَاوِءِ غَمِيرٌ مُلْعِنُ الْقَدْرِ<sup>(٦)</sup>

فجعل أبو بكر يقول عند كل بيت: هكذا كان رسول الله ﷺ حتى أنشده:

(١) أبو المغوار: آخر كعب الذي يرثيه.

(٢) الشُّرْسُوفُ: رأس الضلع مما يلي العنق.

(٣) المصطت: الماضي في الحوائج.

(٤) يتأرى: يحس ويقترق: يتعرق العظم.

(٥) معترك الجياع: موضع اجتماعهم والسفير: ورق الشجر نظيره الريح. وسابيء الخمر: مشربها.

(٦) مرهَّق الشيران: موقدها ليلاً تبعثر إليها الضيف.

وَالسُّنْبُزُ دُونَ السَّفَاجِشَاتِ وَمَا يَلْفَاكَ دُونَ الْخَيْبِرِ مِنْ سُنْبُرٍ  
فَقَالَ: هَكَذَا، وَاللَّهِ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ثم قال: أَشْعُرُ شعرا نكم  
زُهَيْر.

ويُروى من غير وجد - حدثناه مسعود بن بشر وغيره - أنه لما مات  
مُخَلَّدُ بن يزيد بن المهلب<sup>(١)</sup>، حضره عمر بن عبد العزيز وصلى عليه ثم قال:

[الكامل]

بَكُوا حَذِيْفَةَ لَا تُبَكُّوا مِثْلَهُ حَتَّى تَمِيذَ فَبَانِلُ لِمِمْ تُخَلِّوْ  
ثم قال: لو أراد الله بيزيدَ خيراً لأبقيَ له هذا الفتى. فهذا من الأبيات  
الجامعة كنحو ما ذكرنا.

ولقد أحسنت الكِنْدِيَّةُ في تولها في إختوتها:

[الطويل]

أَبْوَا أَنْ يَفْرُوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ نَمَاتُوا وَأَطْرَافُ الْقَنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا  
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةً وَلَكِنْ زَاوَا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمَا  
هَوَتْ أُمَّهُمُ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ حَسْرَعُوا بِخَيْشَانٍ مِنْ أَسْبَابٍ مَجْدٍ نَصْرَمَا<sup>(٢)</sup>  
والقاتل:

[الوافر]

أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالسِّيَامِي وَلَهْفَ الْبَاكِيَاتِ عَنِّي قُصِي  
لَعَنُوكَ مَا خَشِيْتُ عَلَى قُصِي مَيِّتَةٌ بَيْنَ سَلْعٍ وَالسُّلَيْ<sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنِّي خَشِيْتُ عَلَى قُصِي جَرِيرَةٌ زُفَجِهِ فِي كُلِّ حَسِي

فأحسنُ الشعرِ ما خلطَ مدحاً بتفجع، واشتكاءً بفضيلة، لأنه يجمع التوجع  
الموجعَ تفرجاً، والمدحَ البارِعَ اعتذاراً من إفراط التفجع باستحقاق المرثي. وإذا  
وقع نظمُ ذلك بكلامٍ صحيحٍ ولهجةٍ معربةٍ ونظمٍ غيرٍ متفاوتٍ فهو الغاية من كلام  
المخلوقين.

(١) مُخَلَّدُ بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة: أمير للامويين مات بالشام (١٠٠ هـ) قال فيه عمر بن  
عبد العزيز: هذا فتى العرب. (الأعلام: ج ٧، ص ١٩٤).

(٢) خَيْشَان: مدينة وكورة باليمن ينسب إليها الحُفْر السود (معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٠٠).

(٣) سَلْعُ وَالسُّلَيْ: سلع جبل في ديار هذيل والسلي موضع في بلاد عام (معجم البلدان: ج ٣، ص  
٢٣٧) و (ج ٣، ص ٢٤٤).

واعلم أن قول الخنساء من أجمل الكلام حيث تقول:

[البيط]

وَإِنْ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسَيِّدُنَا      وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لِنَحَارِ  
وَإِنْ صَخْرًا لَنَاتَتْهُمُ الْهَدَاةُ بِهِ      كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ  
فجعلته موضعاً للسودد ومعنيّاً بأمر العشيرة لقوله: «لوالينا وسيدنا»، وجواداً  
مفضلاً نحاراً في وقت الإفتار والشّوة، ثم قالت: «وإن صخرًا لتأتّم الهداة به»  
فجعلته إمام الأئمة، ثم جعلته علماً - والعلم: الجبل -، فلم تقتصر على ذلك  
حتى جعلت في رأسه ناراً، شهرة في الكرم، وناراً على علم في الهداية.

وقول الله عز وجل: «وله الجوّاري المُنشآت في البّخر كالاعلام»<sup>(١)</sup> إنما  
هي الجبال. وقال جرير:

إِذَا قَطَنَرَ عَلِمًا بَدَأَ عِلْمُ

ومن عجيب ما قيل قول النابغة في حضي بن حذيفة<sup>(٢)</sup> إكباراً لشانه،  
واستعظاماً لموته، وتعجباً من ذهاب مثله:

[الطويل]

يَقُولُونَ حَضْرًا ثُمَّ تَأْبَسُ نُفُوسُهُمْ      وَكَيْفَ بِحَضْرٍ وَالْجِبَالِ جُنُوحُ؟  
وَلَمْ تَلْفِظِ الْمَوْتَى الْقُبُورَ وَلَمْ تَزُلْ      نُجُومَ السَّمَاءِ وَالْأَيْمُ صَحِيحُ  
فَعَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَجْأَ نَعْبُهُ      فَظَلَّ نَدْبِي الْحَيِّ وَهُوَ يَنُوحُ

وذكرنا أوساً ومرثية في فضالة بن كلدة الأسدي. وكان من خبره معه أنه  
قصده من أرض بني تميم، فلما قارب منزله، جالت به ناقته فرمت به فكسرت  
فخذه. فأقام ليلته مكانه لا يريم حتى إذا أصبح نظر وهو في عام خصيب إلى  
جوار من صبيات بني أسد، قد خرجن يجتنبن الكمأة، فجعل ينسهن حتى وقف  
على ابنة فضالة، فقال لها: خذي هذا الحجر فأتي به أباك، فقول لي له: قد زارك  
ابن هذا، وخبريه بحالي، فلما أنته قال: أنا، والله، بمدح كثير أو بدم كثير.  
فأثاه، فضرب عليه قبة، ولم يزل يعالجه حتى برأ.

قال الأصمعي: وفي بني أسد حداقة بالجبر. قال: وسمعت أعرابياً من بني

(١) سورة الزحمن: الآية ٢٤.

(٢) حضي بن حذيفة بن بدر الفزاري: قائد قبيلة ذبيان في يوم شعب جبلة يضرب بأبيه العثل في سرعة  
السير (البيان والتبيين: ج ٣، ص ٣٧).

أسد يقول: أنا أجبرُ الناس لِفَكَ أَوْ تَرْقُوةً. قال الأصمعي: وهما أشدُّ ما يُجَبَّرُ. ففي ليلته تلك يقول:

[المقارب]

خُذِلْتُ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةٌ      بِصُخْرَاءِ شَرْجٍ إِلَى نَاطِرَةٍ  
تُرَادُ لَيْلِي فِي طُولِهَا      فَلَيْسَتْ بِطَلْقِي وَلَا سَاكِرَةٍ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ أَطَاوِلَ شَوْكِ السِّيَالِ      تَشْكُ بِهِ مَضْجَعِي شَاجِرَةٍ<sup>(٢)</sup>  
وفي حليلة بنت فضالة بن كعدة التي ذهبت إلى أبيها برسالته يقول:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا ذُمْتُ سِوَاهُ نَوِيهَا      حَلِيمَةٌ إِذْ أَلَقْتُ مَرَابِييَ مُقْعِدِ  
وَلَكِنْ تَلَقْتُ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانِي      وَحَلُّ بَفَلَجٍ فَالذُّيْنَةَ عُوْدِي<sup>(٣)</sup>  
وَلَمْ تُلْهَمَهَا الشُّكَايِفُ إِثْمَا      كَمَا بَشِئْتُ مِنْ أَكْرُومَةٍ وَتَخْرُدِ<sup>(٤)</sup>  
سَاجِرِيكَ أَوْ يَجْرِيكَ عَنِّي مُثُوبٌ      وَقَضْرُكَ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي  
فأقام عند فضالة مدةً يسيرةً ثم مات فضالة فففيه يقول قصائد نذكر بعضها والمختار منها:

قال أبو عبيدة: كان أوس بن حجر شاعرَ مَضْرٍ في الجاهلية حتى نشأ زهير والنابعة فوضعا منه، ولكنه شاعرٌ تميمٍ غير مدافعٍ فمما قال فيه:

[المنسرح]

أَيْتُهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا      إِنَّ الَّذِي تَخَذَرِينَ قَدْ وَقَعَا  
إِنَّ الَّذِي جُمِعَ السَّمَاحَةُ وَالنُّدُ      خِدَّةً وَالْبَأْسُ وَالْقَوَى جُمِعَا  
الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الظُّ      نُّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا  
وَالْمُثَلِّفُ الْمُخْلِفُ الْمُرْزَأُ لَمْ      يُنْتَعِ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمُتْ طَبَعَا  
وَالْحَافِظُ النَّاسِ فِي تَحْوِطٍ إِذَا      لَمْ يُرْسِلُوا خَلْفَ عَائِدِ رَبَعَا  
وَعَزَّتِ الشُّمَالُ الرِّيَاحُ وَقَدْ      أَمْسَى كَمِيعِ الْفَتَاةِ مُلْتَفِعَا  
وَشَبِهَ الْهَيْدُبُ الْعَبَامُ مِنَ الْأَفْ      حِوَامٍ سَفِيحاً مُلْبَساً فَرَعَا  
وَكَاثِبِ الْكَاعِبِ الْمُمْتَعَةُ الْخُ      سِنَاءُ فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبَعَا  
لِيَبْكِكَ الشُّرْبُ وَالْمُدَامَةُ وَالْفِ      شِيَانٌ طَرّاً وَطَامِعٌ طَبَعَا

(١) ساكرة: ساكنة الريح.

(٢) شاجرة: طاعة.

(٣) الضماعة: العاعة. وفلج والذنية: موضعان.

(٤) الخريدة: البكرة.

وذاث هذم عار نواشزها تضيث بالفاء تؤلباً جدعا  
تأويل ما في هذه القصيدة مما ليس بواضح إلا بعد نظر :  
قوله :

أيتها النفس اجعلي جزءا إن الذي تحذرين قد وقعا  
تقول العرب : «الْحَذَرُ أَشَدُّ مِنَ الْوَقِيعَةِ» . وإنما حَقُّ الشيءِ الْمُتَخَوِّفُ أن  
يكون صاحبه مُرتاعاً جَذَرٌ وقوعه، فإذا وقع البأس ارتفع ذلك الحذرُ .  
ومن ذلك ما يتدارسه الصالحون : إذا استأثر الله عزَّ وجل بشيءٍ قاله  
عنه .

ويُحكى عن بعض الأعاجم من ملوكهم أنه مات له ابنٌ فلم يجزغ عليه،  
وأقبل على شأنه، فسئل عن ذلك فقال : إنما الروعةُ قبلَ وقوعِ المَخُوفِ، فإذا  
وقع فعلى اللبيب الأُتَسَّبُ إلى الوقوفِ متفكراً في إثرِ مالا يُدْرِكُ، ولكن ليزجر  
النفسَ عن خطائِها، ويعمل الشغلَ فيما يُجدي عليه .  
وقوله :

الألمعي الذي يظنُّ لك الظنَّ من كأن قد رأى وقد سمعا  
الألمعي : الحديدُ القلبِ الذي يوقع الشيءَ موقعه . وهذا مثلٌ لا نعلمه  
لأحدٍ قبله . وكان مولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوله  
بأوضح من هذا . كان يقول : لا يعيش يعلمُ أحدٌ حتى يعيش بظنه، وقال  
الزُّبَيْرُ بن العوام : لا عاشَ بخيرٍ من لم يره ظنه ما لم تره عينه . وقال عمرو بن  
العاص : ظنُّ الرُّجُلِ قطعةٌ من علمه، ولسانه قطعةٌ من عقله .

وقونه : «المُخْلِيفُ المتبلفُ» قد جمع فيه ما يغني عن التفسير والتزيُّد إذ  
يقول : يتلفُ جوداً وكرماً، ويُخلفُ نَجْدَةً واكتساباً .

وقوله : «لَمْ يُمْتَعِ بِضَعْفٍ» أي لم يُقرَّنْ به . تقول : أمتع اللُّهُ بفلانٍ أي أبقاه  
الله حتى يتمتع به أحباؤه . وكما قال جرير لعبد العزيز بن الوليد :

[الوافر]

إذا جَدَّ الرَّحِيمُ بنا فَرُحْنَا فأحسنَ ذو الجلالِ بِكَ المَتاعا  
وقوله : «ولم يمت طيناً» يقال : طبعَ يُطَبِّعُ طبعاً إذا غلبَ عليه الحرصُ حتى  
يُغْطِي على قلبه . ويقال : طَبَّيعَ السيفُ إذا ركبهُ الصداُ حتى يغطي على صميمِ

الحديده. وقوله: «والحافظُ الناسَ في تحوط» يقال للسنة الجديده: «تحوط» و «قحوط» بالثاء والقاف جميعاً. وقوله: «إذا لم يُرسلوا خلفَ عائذِ رَبِّعا» العائذ: التي معها ولدها، فإذا كانت السنة الجديده نحرروا الفِصَال لثلاثاً تُضَرُّ بالأمهات. وقوله: «وعزّت الشمالُ الرياحَ» يقول: غلبت الرياحُ وتلك علامةُ الجذبِ والقحطِ، لأن الجنوبَ هي التي تأتي بالندى والمطرَ. ويقال عز فلاناً فلاناً إذا قهره. وقول الله جل ثناؤه: «وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ»<sup>(١)</sup> أي كان أعزُّ مني في المخاطبة. وقولهم في المثل: «مَنْ عَزَّ بَرٌّ» أي من غلبَ كان استلب. و «الكميع»: الضجيع. يقال: كامعها. يقال: أضحي كميغها ملتفعاً. والمُلتفع: المُلتحف. فهو منتقبضٌ عنها مشغولٌ بما يلاقي من القُر. وقوله: «وكانت الكاعبُ الممنعةُ الحسناءُ» الكاعب: التي كعبَ ثديها. قال الله جلَّ وعزَّ: «وكواعبُ أترابا»<sup>(٢)</sup> والممنعة: المحفوظة المخياء، كانت كالسبعِ في زادِ أهلها، وإنما من شأنها أن تُتْرَف وتُنعم إذا كانت في هذه الصفة.

وقوله: «وَشِبَّةُ الْمُهَذَّبِ الْغِيَامُ» فالهذبُ: المسترخي. والغيامُ: الثقل الذي لا يكاد ينبعثُ، فشبهه في انقباضه بالسُّقْب، وهو ولدُ الناقةِ إذا كان ذكراً، وإن كان أنثى فحائلٌ. «مُلْبَساً فَرَعاً» أي قد جُعِل عليه جلدُ الفَرع، وهو فصيلٌ كانوا يتقربون به في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ: «لا فَرعَ» فأبطله الإسلامُ.

وقوله: «وذات هذم» فا (لأهدام) خُلِقَانُ الشياِب، فيصِف الفقيرةَ وأنه كان لها ملجأ. وقوله: «عَارِ نواشِرُها»: من الضَّر والجوع والبؤس. والنواشِرُ: عروقي الذراع، كما قال زهير:

وَدَارَ لَهَا بِالرُّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا      زَوَّاجِعُ وَشِمٍ فِي نَوَاشِرِ مَغْضَمٍ  
وقوله «تُضْمِتُ بالماء» أي تسكُنُ طفلها بالماء، وتسكنه إذ لم يكن له ثَقْلٌ. و «الجِدْعُ»: السّيءُ الغداء، وكذلك الجِجْنُ والقَيْيُنُ. ومما قال فيه مما اخترناه:

أَلَمْ تُكْسِفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَالذُّ      كَوَاكِبُ لِنَجَبِلِ الزَّوْاجِبِ  
لِفَقْدِ فِضَالَةٍ لَا تَسْتَوِي أَلْ      فُفْقُودُ وَلَا خَلَّةُ الدَّاهِبِ  
أَلْهَفَا عَلَى حُسْنِ أَخْلَاقِهِ      عَلَى الْجَابِرِ الْعَظْمِ وَالْخَارِبِ

(٢) سورة النبا: الآية ٣٣.

(١) سورة ص: الآية ٢٣.

عَلَى الْأَزْوَاعِ السَّقْبِ لَوْ أَنَّه  
 لِأَضْبَحَ زُتْمًا دَقَاقَ الْخِصْيِ  
 وَرَفَقْتِيهِ حَنَمَاتِ الْمُلُو  
 وَيَكْفِي الْمَقَالَةَ أَهْلَ الرِّحَا  
 وَيَخْبُو الْخَلِيلَ بِخَيْرِ الْجِبَا  
 بِرَأْسِ الثَّجِيبَةِ وَالْعَبْدِ وَالْ  
 وَيَأْأَذِمُ تُحْدَى عَلَيْهَا الرُّجَا  
 فَمَنْ يَكُ ذَا نَائِلٍ يَنْسَعُ مِنْ  
 هُوَ الْوَاهِبُ الْعَلَقُ عَيْنَ الثَّيْبِ  
 نَجِيحُ مَلِيحُ أَخْوَمَاقِطِ  
 فَأَبْرَحَتْ فِي كُلِّ خَيْرٍ قَمَا  
 وهذه القصيدة أمليناها بأسرها لأنها جمعت تقدم كل بيت منها وكثرة  
 المعاني والاختصار .

قوله : «لِلْجَبَلِ الْوَاوَجِبُ» فالواجب : الساقط، يقال للبعير إذا بَرَكَ فُسِمِعَ  
 صوت كزركته<sup>(١)</sup> . (وَجِبَ)، وكذلك كل ساقط . قال أبو عبيدة : وأظن قولهم في  
 الشيء : وَجِبَ أي وقع . وقوله «لِفَقْدِ فَضَالَةٍ» ثم قال : الْأَزْوَاعِ السَّقْبِ، يعني  
 فضالة . وهذا كقولك : إني لأُنْثِي على زَيْدٍ، ثم تقول : على الشريف الكريم،  
 وأنت تعنيه . و «السَّقْبُ» : الطويل . وله مواضع هذا أحدها . و «الْحَلَّةُ» : الخَلَلُ  
 الذي قد تركه، وكان مسدوداً به . وأصلُ الحَلَّةُ : الثلثة . يقال : فلان به حَلَّةٌ أي  
 ليس أمره مستويًا، وفلان مُخْتَلٌ الجسم كذلك .

وقوله «لا تستوي الفُقودُ»، أي المصائب لاختلاف أوزان أهلها . فمن ذلك  
 من يوجد منه العوض، ومنهم من يعسر وجود مثله . وأقول أنا : كمن أنشأنا هذا  
 الكتاب من أجله، يتعد في الوهم إدراك نظيره ومدانيه، فضلاً عن مساويه .

و «الصاقب» - الذي ذكر - : جبل معروف بعينه . يقول : فلو تحامل عليه .  
 وليس «يقوم» من القيام على القدم، من قولك : «فلان يقوم بأمر أهله»، «ويقوم  
 بهذا الأمر» أي يدافع عنه . فيقول : لو دافع الجبل العظيم متحاملاً عليه لأصبح

(١) الكزبرة : رحي زور البعير والناقة وهي إحدى الفئات الخمس وقبل هو الصدر من كل ذي حنف .



الجبلُ رُثْمًا كظَهرِ النبي - وهو رمل بعينه - من الكائب، أي كمكان هذا من هذا. ومثله أبو عبيدة فقال: كقولك كظهر المربرد من البصرة، و «المرتوم» المحظوم المدقوق. يقال: رُثِمَ أنفه أي دَقَه.

وقوله «دَقَاقَ الحَصَى» أي دقيق، مثل قولك: رجل طَوَالٌ وطَوِيلٌ وَجَسَامٌ وَجَسِيمٌ وَخَفَافٌ وَخَفِيفٌ.

وقوله «ورُقبته حَتَمَاتِ الملوك» يقول: إذا أحتَم على الملوك أمراً أو في أمر يخافه، أطاعه الملك وأجاب. ويقول بعضهم: هي الحُتْمَةُ، وينشده حُتَمَاتٌ مثل ظُلْمَةٌ وَظُلْمَاتٌ. وذكر قرب مكانه من الملوك فقال: بين السُّرادقِ والحاجِبِ. وقوله «ويَكْفِي المِقَالَةَ أهل الرحال» يقول: إذا حضر اسْتُعْتِي به عن غيره لبيانهِ وصوابه، فقد كَفَى مَنْ وراءه غير معيب عندهم ولا عائب لهم. وهذه الأبيات إذا اعتُبرت فأكثرها يشتملُ البيتُ منه على معانٍ. وقوله:

وَيَخْبُو الحَلِيلَ بِخَيْرِ الجِبَا ۚ غَيْرَ مُكِبٍّ وَلَا قَاطِبٍ  
أي يُتَبِع ما يفعله بأجملِ البشرِ ولا يُكَبِّ مُفَكِّراً يندم على ما فعل، ولا طالباً حيلة يدفع بها السائل، كما قال القائل:

لَا يَنْكُتُونَ الأَرْضَ عِنْدَ سؤَالِهِمْ لِيَسْطَلِبَ العِيَالَتِ بِالعِيدَانِ  
وقوله «وبالسُّؤُولِ في الفَلَقِ العائِبِ» يقول: يُعْطِيهَا في أحسن حالاتها. والفَلَقُ: المَطْمَئِن من الأرض، وهو موضع الكَلَالِ لاستقرار الماء به. وكانت العرب تقول للرجل إذا حَسُنَتْ إبلُهُ وَسَمِنَتْ: أَخَذَتْ إبلُهُ رَمَاحَهَا، وَأَخَذَتْ إبلُهُ سَلاخَهَا. واستنجدت عليه أي مَنَعَتْهُ أَنْفُسَهَا من أن توهب أو تُنَحِرَ ضَمَانًا بِهَا، كقول القائل:

[الخفيف]

لَا أَخُونُ الصُّدِيقَ مَا خَفِظَ العَهْدَ ۚ ذُو لَأ تَأْخُذُ السُّلَاحَ لِقَاحِي  
وقال رسولُ الله ﷺ: «هَلَكَ المُدَادُونَ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرَسَلَهَا»<sup>(١)</sup>، أي من أعطاهَا بسهولة ومع امتناعها لحسنها. وهو وقت نَجْدَتِهَا عليه.

(١) نَجْدَتِهَا وَرَسَلَهَا: عَسَرَهَا وَبَسَرَهَا.

وقال عليه السلام لقيس بن عاصم<sup>(١)</sup>: «نعم المأل الأربعون، والكُثر الستون، وهلك أصحاب المثين إلا من نحر سميتها وأقر ظهرها، ومَنَحَ غزيرتها، وأطرق فحلها، وأعطاهما في نجدتها ورسليها».

وقالت ليلي الأختية:

[الطويل]

وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْجِلَادَ سِلَاحَهَا      لِشَوْبَةٍ فِي صِرِّ الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ  
الغدادون: أصحاب الإبل الكثيرة.

وقوله «نَجِيحٌ مَلِيحٌ أَخُو مَأْقِطٍ» يقول: هو في السلم سهل مُبْتَدَلٌ خَلُوَ مقبول، ولا يمتعه ذلك من أن يكون جلدًا في الحرب. وَالْمَأْقِطُ: موضع مُجْتَلَدُ القوم. وهو مع هذا قَطْنٌ طَبْنٌ، مُتَقَبِّ طَوَافٌ ببدنه وفكره، يَطْنُ قَيْصِب. فذلك قوله «يُخْبِرُ بِالْغَائِبِ».

وقوله «نَقَابٌ» أي مُتَقَبِّ في الأمور، كما قال الله جلَّ وعز: ﴿فَتَقَبَّبُوا فِي الْبِلَادِ، هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال امرؤ القيس:

[الوافر]

وَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْآفَاقِ حَسَى      رَضِيْتُ مِنَ الْعَنِيَمَةِ بِالْإِيَابِ  
ومن هذا قيل للطرقات في الجبل: الثُّقُوبُ والنُّقَابُ، واحدها نَقْب. وقال ابن الأيهم التغلبي<sup>(٣)</sup> يصف خيلاً:

[الخفيف]

وَتَرَاهُنَّ شُرْبًا كَالشَّمَالِي      يَسْطَلْنَنَ مِنْ ثُغُورِ الشُّقَابِ  
وقال أيضاً يرثيه:

[الكامل]

أَبَا ذَلِيحَةَ مَنْ لِحِي مُفْرَدٍ      صَقِيعٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي سُرْوَالِ؟  
وَإِذَا ذُكِرَتْ أَبَا ذَلِيحَةَ أَسْبَلْتُ      عَيْنِي قَبْلُ وَكَيْفَهَا سِرْبَالِي

(١) قيس بن عاصم بن سنان المتقري «أبو علي» أحد أمراء العرب وعقلائهم شاعر وفارس شجاع وقد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد نعيم قال في النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد أهل الوبر واستعمله على صدقات قومه توفي نحو ٢٠ هـ (الأعلام: ج ٥، ص ٢٠٦).

(٢) سورة ق: الآية ٣٦.

(٣) ابن الأيهم التغلبي: اسمه عمير شاعر إسلامي كان نصرانياً قبل للاختل وهو يموت: من تخلف على قومك؟ قال: عمير بن الأيهم. (الأمالي لأبي علي إسماعيل القالي: ج ١، ص ٤٥).

وَمُعْضَبِينَ عَلَى نَوَاجٍ سُدَّتْهُمْ  
 وَقَوَارِصٍ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ تُثْقَى  
 لَأَزَالَ رِيحَانٌ وَقَفْعُ نَاصِرٍ  
 فَلْيَنْعَمْ وَقَدْ الْخَيُّ يَنْتَظِرُونَهُ  
 وَلْيَنْعَمْ مَاؤَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا  
 وَمِثْلَ الْقِسِيِّ ضَوَامِرٍ بِرَحَابِ  
 ذَاوَيْثَهَا وَسَمَلَتْهَا بِسِمَالِ  
 يَجْرِي عَلَيْكَ بِمُسْبِلِ هَطَالِ  
 وَلْيَنْعَمْ حَشْوُ الدُّرْعِ وَالسَّرْبَالِ  
 وَالخَيْلُ خَارِجَةٌ مِنَ الْقَنْطَالِ

قوله «مُعْضَبِينَ» يعني ملوكاً قد غَضِبُوا بالتيجان. و «النواجي»: الخيل  
 الشراع. وقوله «صَقِعَ من الأعداء في شوال»، الصَّقِعُ: المُتَخَيِّرُ الذي لا يدري أين  
 يتوجه. يقال: صَقَعَ وَصَعَقَ، وبنو تميم تقول: صِيعَ، هي لغتهم. فكأنه الذي  
 أصابته الصاعقة فتحير لتوقُّع الغارة كما يتحير المتوقع الصاعقة. وقال «في شوال»  
 لأنه شهرُ جِلٍّ، ففيه يُغَيَّرُ الناس بعضهم على بعض. فإن قال قائل: أفليس شهر  
 الحلِّ ثمانية، فما باله حَصُصَ هذا؟ فالجواب في ذلك أنه إذا ذُكِرَ الشيءُ غَيْرُ  
 المقصود دخل ما كان نظيره في حكمه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ  
 اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. ولم يقل على ظهورهم ولم يذكر الارتفاق  
 لأنه يُعْلَمُ أن الأمر في ذلك واحد. وكذلك قوله جل وعز: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ  
 وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>. ولم يذكر البرد. وقوله:

وَقَوَارِصٍ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ تُثْقَى  
 ذَاوَيْثَهَا وَسَمَلَتْهَا بِسِمَالِ  
 يقال: سَمَلَّ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ إِذَا أَصْلَحَ، فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ السَّيِّدَ الَّذِي يَأْتَمِرُونَ  
 بأمره. و «الْفَعْوُ»: نَوْرُ الحنَاءِ، يقال له الفَعْوُ والفاغية. وهو من أَطْيَبِ الرِّيحَانِ  
 رائحةً. قال أبو عبيدة: قوله «يجري عليك بمسبل هطال» قال: يعني: مع مسبل،  
 أي مع غيث مسبل. قال: فالباء تقوم مقام «مع» يافتى، قال أبو العباس: والذي  
 قال صواب وتفسيره أقرب مما قال. وتأويل هذا عند النحويين أن الباء للإلصاق،  
 و «مع» للمقاربة، فهما يلتقيان في هذا الموضع. تقول: مررت بزيد، فالباء  
 ألصقتُ مُروري به. وكذلك: كتبتُ بالقلم أو ضربتُ بالسيف. فهذا حقيقة معناه.  
 وقوله «وَلْيَنْعَمْ حَشْوُ الدُّرْعِ وَالسَّرْبَالِ» أي نعم الشيء في الأمن والفرج.  
 و «المستضيف»: الملجأ، يافتى. يقال: أرهق فلان فدعا لمضوفة، كما قال  
 الشاعر:

[الطويل]

(٢) سورة النحل: الآية ٨١.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَنْضُوقَةٍ أَشْمُرُ حَتَّى يَنْصَفَ السَّاقَ بِمِزْرِي  
ويقال «قَنْطَلٌ وَقَسْطَالٌ» لما يثور من الغبار.  
وقال أيضاً يرثي فضالة قصيدة أولها:

[البسيط]

عَيْتِي لَا بُدَّ مِنْ سَكْبٍ وَتَهْمَالٍ

اخترنا منها أبياتاً نادرة كما شرطنا في أول الكتاب. من ذلك قوله:

جُمًّا عَلَيْهِ بِمَاءِ الشَّانِ وَاحْتِفَالًا  
أَمَّا حِصَانٌ فَلَمْ تُحْجَبْ بِكَلْتِهَا  
على امرئٍ سَوْقَةٍ بِمَنْ سَمِعَتْ بِهِ  
أَوْقَبَ مِنْهُ لِيَذِي أَثَرٍ وَسَابِغَةٍ  
وَخَارِجِي يَزُمُ الْأَلْفَ مُعْتَرِضًا  
أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ يُؤْصِي بِأَزْمَلَةٍ  
أَمْ مَنْ يَكُونُ حَطِيبَ الْغَزْمِ إِذْ حَفَلُوا  
أَمْ مَنْ لِقَوْمٍ أَضَاعُوا بَعْضَ أَمْرِهِمْ  
خَافُوا الْأَمِيلَةَ وَاعْتَلَّتْ مَلُوكُهُمْ  
أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ يَكْفِي التَّعْبِيرَةَ إِذْ  
أَمْ مَنْ لِأَهْلِ لُؤْيٍ فِي مُسْكَعَةٍ  
أَمْ مَنْ لِعَادِيَةِ تُزْدِي مُلْمَمَةٍ  
وَمَا خَلِيحٌ مِنَ الْمَرْوَبِ ذُو حَدَبٍ  
يَوْمًا بِأَجْرُودٍ مِنْهُ جِينٌ تَسْأَلُهُ  
لَيْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْبُرْدِيِّ هَبْرِيَّةٌ  
يَوْمًا بِأَجْرًا مِنْهُ حُدَّ بِأَدْرَةٍ

(١) الهوثة: الفرس المطوعة والأحجال: جمع حجل: بياض في قائمة الفرس.

(٢) ضلال: التقيح التقشف أو العاري من الثياب.

(٣) القسوط: الجور والعدول عن الحق. أزوال: جمع زؤل الشجاع.

(٤) مسكعة: مضلة لا يهتدي فيها.

(٥) مللمة: مجموع بعضه إلى بعض.

(٦) المغب: الأسد. وتزج: مأسدة.

(٧) عيال: متيختر.

(٨) المهور: السيف الرقيق. وفضال: قاطع.

لَا زَالَ مِنْكَ وَرِحَانٌ لَهُ أَرْجُ  
يَسْقِي صَدَاكَ وَمُنْسَاةٌ وَمُضْبِحَةٌ  
وَزَنْبِي وَذَاقُوا وَخَلَّتْهُمُ  
فَلَنْ يَزَالَ ثَنَاتِي غَيْرَ مَا كَذِبٍ  
لَعَنُ مَا قَدَّرَ أَجْدَى بِمَضْرَعِهِ  
قَدْ كَانَتْ الثُّغْمُ لَوْ سَامُوا الْفِدَاءَ بِهَا

هذا آخر الشعر. قال أبو العباس: قوله: «لِذِي أَثْرٍ» يعني سيقاً له فِرْنَدٌ وهو الرونق. «بِزُومِ الْأَلْفِ» أي يتقدمها كأنه يقودها، يعني فرساً. و «الخارجي»: الذي يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ. أنشدني الرياشي لأعرابي يمدح عبد الله بن جعفر الهاشمي:

[الوافر]

أَبَا الْعَبَّاسِ، لَسَنْتَ بِخَارِجِي وَمَا إِنْ بَخَرُ جُودِكَ بِانْتِحَالِ  
وقوله: «ذَاتُ شَمْرَاخٍ» فإنما يعني فرساً ذات عُرَّة. و «الشمرآخ» من الغرر: السائلة في الوجه إذا دقت وطالت.

وقوله «لَأَشْعَثُ ذِي طَمْرِينٍ» إنما يريد أنه يجبر الفقير. و «الأطلس»: الأغبَر، ومن ثم قيل للذئب: اطلس. وإنما نسب الفقير إلى الطَّلَسَةِ لسوء حاله ودناءة لبسته.

و «الأقوال»: الملوك، واحدهم قَيْل، وأصله قَيْلٌ فحففوه كما قالوا في المَيْتِ: مَيْتٌ، وفي الهَيْنِ وَاللَّيْنِ: هَيْنٌ وَلَيْنٌ. وقالوا في الجَمْعِ: أقوال كما قالوا في المَيْتِ: أموات، ويقونون: هو من مَقَاوَلَةٍ كَنَدَةٌ.

و «القُسُوطُ»: العصبان. يُقَالُ: قَسَطَ يَقْسِطُ إِذَا جَازَ وَخَالَفَ. قال الله عز وجل: «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا»<sup>(١)</sup>. ويقال: أَسَطَ يَقْسِطُ إِذَا عَدَلَ، والله يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ. وقيل: «بين القُسُوطِ وبين الدِّينِ». يقول: هم بين الطاعة وبين المعصية. و «الأزوال»: هُمُ الْمُتَصَرِّفُونَ. يقال: رَجَسَ زَوْناً وَقَرِمَ أَزْوَالًا. وأنشدني التوزنجي:

[الرجز]

وَمَقْدُ أَقْسُودٍ - أَسْكَبْتُمْ الْأَزْوَالَ  
مَعْدِيًا لِذَاتِ لَوِزٍ شِمْلَانِ

(١) سورة الجن: الآية ١٥.

وقوله «واعتلث ملوكهم» أي لم يعطوهم شيئاً. فذلك قوله «خافوا الأصيلَةَ  
وَاعْتَلَثَ مُلُوكُهُمْ» أي خافوا أن يستأصلوا. وقوله: «وحملوا» أي لزمتهم حمالات  
وَعَزَمٌ، فهو كان يُصلح هذا كله بالنَّجْدَةِ وَالغُرَمِ.

وقوله: «وَذَاتُ أُوْعَالٍ» هي هَضْبَةٌ معروفة بعينها و «المَرَوْت»: أرض بعينها  
فيها نبات ومسائل، وهي من أرض العالية<sup>(١)</sup>.

وقوله «يرمي الضَّرِيرَ بِخُشْبِ الطَّلْحِ وَالضَّالِّ»، الضَّرِيرُ: الوادي، وهو  
ناحيته. وقوله: «كالمَرْزَبَانِي» يريد كسرى، وإنما يعني هاهنا الأسد، فيقول هو  
منفرد بِغِيضَتِهِ تهابه الأسد أن تُتْرِكَ مَعَهُ كما قال أبو زُبَيْد:

[البسيط]

أَقْرَبُ عَنهُ بَنِي الْخَالَاتِ جُرَأَتُهُ لَأَ الصَّيْدِ يَمْتَعُ مِنْهُ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ  
وقوله: «رَفْهًا» يقول: دائماً، في كل يوم يسقي صدهاء. وقوله: «حَمَلْتَنِي وَذَ  
أَقْوَامٍ» يعني أهل بيت فُضَالَةَ.

---

(١) أرض العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمارها إلى نهامة فهي العالية  
ودون ذلك السافلة (معجم البلدان: ج ٤، ص ٧١).

## وهذا باب من التعازي والمواعظ

ثم نعود إن شاء الله إلى الشعر وَنَصَلَهُ بِمِثْلِ هَذَا وَالْقُوَّةَ لِلَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ .

يُزَوِّي عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ <sup>(١)</sup> أَنَّهُ قَالَ : مَاتَ أَحَخُّ لِبَعْضِ مَلُوكِ الْيَمَنِ فَعَزَّاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ فَقَالَ فِي تَعَزِيَّتِهِ : اعْلَمْ أَنَّ الْخَلْقَ لِلْخَالِقِ . وَالشُّكْرَ لِلْمُنْعَمِ ، وَالتَّسْلِيمَ لِلْقَادِرِ ، وَلَا بَدُّ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَجُوعِ مَا قَدَفَات . وَقَدْ أَقَامَ مَعَكَ مَا سِيذِهُبُ عَيْتِكَ أَوْ سَتَتَرَكَهَ ، فَمَا الْجَزَعُ مِمَّا لَا بَدَّ مِنْهُ ، وَمَا الطَّمَعُ فِيمَا لَا يُرْجَى ؟ وَمَا الْحِيلَةُ فِيمَا سَيُنْقَلُ عَيْتِكَ أَوْ تَنْتَقِلُ عَنْهُ ؟ قَدْ مَضَتْ لَنَا أَصُولٌ نَحْنُ فِرْعَوْنُهَا ، فَمَا بَقَاءُ الْفِرْعَ بَعْدَ أَصْلِهِ . وَأَحَقُّ الْأَشْيَاءُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ الصَّبْرُ . وَأَهْلُ هَذِهِ الدُّنْيَا سَفَرٌ لَا يَحْطُونَ الرُّكَّابَ إِلَّا فِي غَيْرِهَا . فَمَا أَحْسَنَ الشُّكْرَ عِنْدَ النِّعَمِ ، وَالتَّسْلِيمَ عِنْدَ الْغَيْرِ . فَاعْتَبِرْ بِمَنْ قَدْ رَأَيْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَزَعِ ، هَلْ رُدَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ مِنَ الْمَصِيبَةِ سُوءَ الْخَلْفِ مِنْهَا . وَإِنَّمَا ابْتِلَاكُ الْمُنْعِمِ وَأَخْذُ مَنْكَ الْمُعْطِي . وَمَا تَرَكَ أَكْثَرَ . فَإِنَّ نَسِيَتِ الصَّبْرَ فَلَا تَغْفُلْ عَنِ الشُّكْرِ ، وَكَلَّا فَمَا تَدْعُ . وَمَا أَصْفَرَ الْمَصِيبَةُ الْيَوْمَ مَعَ عَظَمِ الْمَصِيبَةِ فِي غَدٍ ، فَاسْتَقْبِلِ الْمَصِيبَةَ بِالْحَسَنَةِ تَسْتَخْلِفُ بِهَا نِعْمًا فَإِنَّمَا نَحْنُ فِي الدُّنْيَا أَغْرَاضٌ تَنْتَضِلُ فِيهَا الْمَنَائِبُ ، وَتَهْبُ الْمَصَائِبُ ، مَعَ كُلِّ جَرَعَةٍ شَرَقَتْ وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَضَصٌ . لَا تُنَالُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى وَلَا يَسْتَقْبِلُ مُعْمَرٌ يَوْمًا مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا بِهَذَا مِنْ أَجَلِهِ ، وَلَا تُحَدِّثُ لَهُ زِيَادَةً فِي أَكْلَةٍ إِلَّا بِنِفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقٍ ، وَلَا يَخِيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ . فَتَحْنُ أَعْوَانَ الْحَتُوفِ عَلَى أَنْفُسِنَا ، وَأَنْفُسَنَا تَسُوقُنَا إِلَى الْفَنَاءِ ، فَمَنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ وَهَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ لَا يَرْفَعَانِ مِنْ شَيْءٍ شَرَفًا إِلَّا أَسْرَعَا فِي هَدْمِ مَا رَفَعَا وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

(١) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي «أبو عبد الله» الملقب بالصادق سادس الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية من أجيال التابعين أخذ عنه أبو حنيفة ومالك له أخبار مع الخلفاء العباسيين كان جريئاً صدادعاً بالحق له رسائل في كتاب يقال إن جابر بن حيان جمعها مولده ووفاته في المدينة (٨٠ - ١٤٨ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٢٦).

فاطَلِبِ الخَيْرِ وَأَهْلَهُ، وَاَعْلَمْ أَنَّ خَيْراً مِنَ الخَيْرِ مُعْطِيهِ، وَشِراً مِنَ الشَّرِّ فَاعْلَهُ.  
وَالسَّلَامُ.

قال أبو العباس: وعن جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماء<sup>(١)</sup> عن عمه أَنَّ إِخْوَةَ ثَلَاثَةِ شَهْدُوا  
يَوْمَ «تَسْتَرٍ»<sup>(٢)</sup>، فَاسْتَشْهَدُوا، فَخَرَجَتْ أَمَّهُمْ إِلَى السُّوقِ يَوْمَاً لِبَعْضِ شَأْنِهَا، فَتَلَقَّاهَا  
رَجُلٌ قَدْ حَضَرَ أَمْرَهُمْ فَعَرَفَتْهُ فَسَأَلَتْهُ عَنْ بَنِيهَا. فَقَالَ: اسْتَشْهَدُوا. فَقَالَتْ: أَمَقْبَلِينَ  
أَمْ مُذْبَرِينَ؟ فَقَالَ: بَلْ مُقْبَلِينَ. فَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَالُوا الْفَوْزَ وَحَاطُوا الدَّمَارَ،  
بِنَفْسِي هُمْ وَأُمِّي وَأَبِي.

وقال خالد بن عطية قال عمر عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك: الحمد  
لله الذي جعل الموت حتماً واجباً على خلقه، ثم سوى فيه بينهم، فقال: ﴿كُلُّ  
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾<sup>(٣)</sup>. فَلْيَعْلَمْ ذَوُو النَّهْيِ أَنَّهُمْ صَاتِرُونَ إِلَى قُبُورِهِمْ، مُفْرَدُونَ  
بِأَعْمَالِهِمْ، وَاَعْلَمُوا أَنَّ عِنْدَ اللَّهِ مَسْأَلَةً فَاحْصَةٌ فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿قَوْرَبِكُمْ لِنَسْأَلَتِهِمْ  
أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه: اسْتَشْهَدَ ابْنُ أَبِي أَمَامَةَ  
الْحَمِصِيِّ فَكُتِبَ عَمْرٌ إِلَى أَبِي أَمَامَةَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى آيَاتِهِ وَقَضَائِهِ وَحَسَنِ بِلَاتِهِ.  
قَدْ بَلَغَنِي الَّذِي سَأَقُّ اللَّهَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَمَامَةَ مِنَ الشَّهَادَةِ. فَقَدْ عَاشَ بِحَمْدِ  
اللَّهِ مَأْمُوناً، وَأَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ شَهِيداً، وَقَدْ وَصَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ».

وقال يزيد بن عمر الكلابي: قال رجل لعمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه  
عبد الملك:

[الطويل]

تَعَزُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَبِإِنَّهُ لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ وَيُولَدُ  
هَلْ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَيْثِيَةِ مَوْرِدُ  
وقال أبو البيداء الأسدي عن شيخ من أهل الحرة<sup>(٥)</sup>، أن عمر بن عبد

(١) جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماء بن عبيد الصبيعي البصري: كان ثقة عالماً بالحديث (ل/ ١٧٣ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٤٨).

(٢) نُشْتُرُ: أعظم مدينة في خوزستان اليوم وهو تعريب شوشتر (معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٩٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٥ وسورة الأنبياء: الآية ٣٥ وسورة العنكبوت: الآية ٥٧.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩٢.

(٥) الحرة: إحدى حرتي المدينة الشرقية حرة واقم (معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٤٩).



العزیز خطب الناس بعد وفاة ابنه عبد الملك، ونهى عن اليكاه عليه، وقال: إن الله جلّ ذكره لم يجعل لمسيء ولا لمُحسِن خلوداً في الدنيا، ولم يَرْضَ بما أعجَبَ أهلها ثواباً لأهل طاعته، ولا ببلائها عقوبةً لأهل معصيته، فكلُّ ما فيها من محبوب متروك، وكلُّ ما فيها من مكروه مُضْمَحَلٌّ. كُتِبَ على أهلها الفناء، وأخبر أنه يرث الأرض ومن عليها. فاتَّقوا الله، واعملوا ليومٍ ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾<sup>(١)</sup>.

ودخل عمرُ بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك - وكان موثقه بالطاعون، وكانوا يقولون: إذا مُسَّ الطاعون، وهو قرحه، فَوُجِدَ لَيْتِنًا طَمَعٌ لصاحبه في البرء منه، وإن كان خشناً يُتَسَّ من صاحبه، فدخل عمر على ابنه فقال: دعني أَمَسَّ قرحتك، فكرة عبد الملك أن يمسها أبوه فيجزع، وكانت خشنة، فقال: أو تُغْفِينِي يا أمير المؤمنين؟ فعلم عمر لِمَ مَنَعَهُ، فقال: وَلِمَ يا بني؟ فوالله لأن أقدَمَكَ فأجدك في ميزاني أحب إليّ من أن تُقدَمَنِي فتجدني في ميزانك. فقال: وأنا والله يا أمير المؤمنين لأن يكون ما تحبُّ أحب إليّ من أن يكون ما أحبُّ. فلمسها فقال: يا عبد الملك، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وروى عبد الله بن مسلم<sup>(٤)</sup> وغيره أن خنساء دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدارٌ من شعر، فقالت لها: يا خنساء، أتتخذين الصدار وقد نهى رسول الله ﷺ عنه؟ فقالت: يا أم المؤمنين، إن زوجي كان رجلاً مبتلاً فأملقنا فقال: لو أتيت معاوية فاستعته؟! فلقيني صخرٌ أخي فقال: أين تريدين؟ فأخبرته، فشاطرنِي ماله فأتنغه زوجي، ففعل ذلك ثلاث مرات، فقالت امرأته: لو أعطيتها من شرارها، تعني الإبل، فسمعتة يقول:

[مشطور الرجز]

وَالله لَا أَمْنُحُهَا شِرَارَهَا      وَلَوْ هَلَكْتُ غَطَّلْتُ جِمَارَهَا  
وَأَتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ جِدَارَهَا

(١) سورة لقمان: الآية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٠.

(٣) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

(٤) أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء المصري، فقيه من أصحاب مالك جمع بين الفقه والحديث والعبادة توفي بمصر (١٢٥ - ١٦٧ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١٤٤).

فلما هلك اتخذت هذا الصدار، ونذرت لا أضعه حتى أموت.

وقال أبو محمود: قالت الخنساء: كنت أبكي صخرأ على ما فاته من الحياة. فإنا اليوم أبكي له من النار.

ويروى أن عائشة رضي الله عنها أشدتها الخنساء بعض أشعارها في صخر، أحسبه قولها:

[الوافر]

أَلَا يَا صَخْرُ إِنْ أَبْكَيْتَ عَيْنِي      لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَفْعاً طَوِيلاً  
بَكَيْتُكَ فِي نِسَاءِ مُغْرِبَاتٍ      وَكُنْتُ أْحَقُّ مَنْ أَبْدَى الْعَوِيلاً  
دَفَعْتُ بِكَ الْخَطُوبَ وَأَنْتَ حَيٌّ      فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَا؟  
إِذَا قُبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ      زَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا  
فَقالت لها عائشة: أتبكين صخرأ وإنما هو جمرأ في النار؟ قالت: يا أم المؤمنين، ذلك والله أشدُّ لجزعي عليه.

وقال مسلمة<sup>(١)</sup>: لما قُتل عبد الله بن عامر بن مسمع بالزاوية<sup>(٢)</sup> أتوا الحجاج برأسه، فقال: اذهبوا برأسه إلى عامر بن مسمع يعني أباه فأتوه به، فجمعه في ثوبه وأقبل به إلى الحجاج وهو يبكي، فقال: أجزعت عليه؟ فقال: لا، بل جزعت له من النار. فإن رأى الأمير أن يأذن لي في دفنه، فأذن له، فدفنه.

وقال مسلمة بن محارب: قُتل معاوية بن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في الحرب التي كانت بين قتيبة<sup>(٣)</sup> وبين سفيان بن معاوية. فلما ولي سفيان البصرة أرسل إلى خالد بن صفوان<sup>(٤)</sup> أن ابنك قُتل، وقُتل ابني. فأرسلت

(١) مسلمة بن عبد الله بن محارب الفهري البصري النحوي: صاحب فصاحة (لسان العيزان: ج ٦، ص ٣٤).

(٢) الزاوية: موضع قرب البصرة كانت فيه الوقعة بين الحجاج وابن الأشعث (٨٣ هـ) (معجم البلدان: ج ٣، ص ١٢٨).

(٣) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الجاهلي «أبو حفص» أمير فائح ولي الرابي أيام عبد الملك وافتتح أكثر بلدان ما وراء النهر وفي خلافة سليمان بن عبد الملك نزع الطاعة فقتله وكيع بن حسان التميمي (٤٩ - ٩٦ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ١٨٩).

(٤) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التميمي المتقري: من فصحاء العرب المشهورين له أخبار مع عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ولد وتشا بالبصرة (-/١٣٣ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٤٧).

إنك أنتعزى بك وتتعزى بي. فقال: أصلح الله الأمير، أنا وأنت كما قالت  
الباكية:

[المجث]

أَسْمِدْنَسِي أَخْوَاتِي فَأَلْوِزِلُ لِي وَلَكُنَّة  
فقال سفيان: جَدَّدْتُ لِي حَزْناً. فقال: أصلح الله الأمير، فَلْيَسَلْ عَنْكَ مَا  
جَدَّدْتَ لَكَ الْعِلْمُ بِأَنَّكَ غَيْرُ بَاقٍ.

وقال كَلَيْبُ بْنُ خَلْفٍ: قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ الْمَازِنِيُّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
الْأَهْتَمِ<sup>(١)</sup>: كَيْفَ كَانَ جِزْعُكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ؟ فَقَالَ: مَا تَرَكَ حُبَّ الْعَدَاءِ وَالْعَشَاءِ  
فِي قَلْبِي حَزْناً عَلَى أَحَدٍ.

وقال يَزِيدُ بْنُ عِيَاشِ بْنِ جُعْدَبَةَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ إِذَا أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ  
يَقُولُ: إِنَّ ابْتُلَيْتُ فَقَدْ قُتِلَ أَبِي وَإِمَامِي عِثْمَانُ. فَصَبَّرْتُ.

وقال قَاتِلُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: أَأَدْرَكْتَ قَتْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانَ؟  
فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ جِزْعُكَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: شَغَلَنِي الْحَقُّ لِأَنَّ أَدْرِكَ بِئَارَهُ  
عَنِ الْحَزَنِ عَلَيْهِ.

وقال أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعِجْلَانِيُّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَسَارٍ<sup>(٢)</sup>: مَاتَ ابْنُ  
لِزْطَاةَ بْنِ سُهَيْبَةَ الْمُزَيَّنِيِّ<sup>(٣)</sup>، مِنْ غَطَفَانَ، يُقَالُ لَهُ عَمْرُو، فَأَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَوْلًا،  
يَأْتِيهِ كُلُّ غَدَاةٍ فَيَقُولُ: يَا عَمْرُو، هَلْ أَنْتَ غَادٍ مَعِي؟ فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ الْحَوْلِ تَمَثَّلَ  
قَوْلُ لَيْدٍ:

[الطويل]

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْنِكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ  
ثُمَّ تَرَكَ قَبْرَ ابْنِهِ.

(١) عبد الله بن عبد الله بن الأهتم: من بني منفر ولي خراسان ووفد على الحلفاء وخطب عند الملوك  
وأولاده خطباء. (البيان والتبيين: ج ١، ص ٢٣٦).

(٢) إسماعيل بن يسار النسائي: أصله من سبئي فارس ومن موالى تميم بن مرة ثم انقطع إلى آل الزبير  
حيث وفد مع عروة بن الزبير ومدح عبد الملك بن مروان ثم أولاده من بعده توفي نحو ١٣٠ هـ  
(الأعلام: ج ١، ص ٣٢٩).

(٣) أرطاة بن سهبة القرظي: يكنى أبا الوليد وينسب إلى أمه «سهبة» شاعر فارس عاش في دولة بني أمية  
عمر قبيل وفاته (هـ/ ٦٥) (الأعلام: ج ١، ص ٢٨٨).

وقال أبو عمرو بن يزيد: مات أخ لمالك بن دينار<sup>(١)</sup> فبكى وقال: يا أخي لا تقرُّ عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النار، ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك.

وقال مسلمة بن محارب: لما أتت معاوية وفاةً يزيد استرجع وقال:

[الطويل]

وأفردت سهماً في الكفانة واجداً سيئاً مني به أو يكسر السهم كاسيز

وقال أبو زكريا العجلاني وغيره أن معاوية نعى إليه سعيد بن العاصي<sup>(٢)</sup> وعبد الله بن عامر<sup>(٣)</sup> فاسترجع وقال:

[الطويل]

إذا مات من خلف امرئ وأمامه وأفرد من جيرانه فهو سائز

وقال عبد الله بن مسلم: بكى رجل على شاة له أصيب بها فأكثر، فرآه رجل من باهلة يقال له الحارث بن حبيب فقال:

[السرير]

يا أيها النباكي على شاة يبكي بكاء غبير إنزار

إن الرزاقات وأمثالها ما لقي الحارث في الذار

دعا نسي من رثياعهم فكلهم يغذو بمخفار

وكان للحارث المذكور عشرة بنين، فحلب يوماً في علبه ووضعها ففتح فيها

أسود صالح، فبعث بالعلبة إلى بنيه. وهو لا يدري، فشربوها فماتوا جميعاً.

وقيل: بل كانوا سبعة، فسقط عليهم حائط فقتلهم.

وقال خالد بن يزيد بن بشر: جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه

أيوب، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إن رجلاً حدث نفسه بالبقاء لغير جيد

الرأي.

(١) مالك بن دينار البصري: أبو يحيى من روة الحديث بكتب المصاحف بالأجرة توفي بالنصرة نحو ١٣١ هـ (الأعلام: ج ٥، ص ٢٦٠).

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي: صحابي من الولاة العاتجين ولاء معاوية. حديثه حتى مات (٣ - ٥٩ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٩٦).

(٣) عبد الله بن عامر بن ربيعة الأموي أبو عبد الرحمن: ولد في مكة أمير فاتح وني البصرة

من سنة ١٠٠ هـ ثم صرفه معاوية عنها فرجع إلى مكة وتوفي فيها (٢ - ٥٩ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١٩٤).

وقال صدقة بن عبد الله المازني<sup>(١)</sup>: مات حنظلة بن عبد الله الأسدي فجزعت عليه امرأته، فنهتها جاراتها وَقَلَرُ لها: إن هذا يُخِيطُ أجْرَكَ، فقالت:

[السريع]

تَعْجَبُ الدُّهْرُ لِمَحْزُونَةٍ      تَبْكِي عَلَيَّ ذِي شَيْبَةٍ شَاحِبِ  
 إِنَّ تَسْأَلِيْنِي الْيَوْمَ مَا شَفَيْنِي      أَخْبِرْكَ قَوْلًا لَيْسَ بِالْكَاذِبِ  
 إِنَّ سَوَادَ الْعَيْنِ أَوْذَى بِنِهِ      حُزْنُ عَلِيٍّ حَنْظَلَةُ الْكَاتِبِ  
 وكان حنظلة قد كتب لرسول الله ﷺ.

وقال إسحاق بن أيوب وعامر بن حفص<sup>(٢)</sup> ومسلمة بن مُحارب: قدم عروة بن الزبير<sup>(٣)</sup> على الوليد بن عبد الملك معه محمد بن عروة<sup>(٤)</sup> فدخل مُحَمَّد دار الدواب، فضرته دابة فخرَّ ميتاً، ووقعت في رجل عروة الأكلة<sup>(٥)</sup>، ولم يدع ورده تلك الليلة. فقال له الوليد: اقطعها، وإلا أفسدت عليك جسدك، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير. ولم يمسه أحد. وقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾<sup>(٦)</sup>.

وقدم على الوليد في تلك السنة قوس، من بني عَبَس، فيهم رجلٌ ضير فساله الوليد عن عينيه فقال: يا أمير المؤمنين، بثَّ ليلةً في بطنٍ وإدٍ ولا أعلم عَبَسِيًّا يزيد ماله على مالي؛ فَطَرَقْنَا سَيْلٌ فَذَهَبَ بِمَا كَانَ لِي مِنْ أَهْلِ وَوَلَدٍ وَمَالٍ غَيْرِ بَعِيرٍ وَصَبِيٍّ مَوْلُودٍ. وكان البعير صَغْبًا فَتَدُّ. فوضعت الصبي واتبعته البعير، فلم أجاوزه إلا قليلاً حتى سمعتُ صيحة ابني، فرجعت إليه ورأس الذئب في بطنه وهو يأكله، ولحقته البعير لأحبسه فنفضني برجله على وجهي فحطمه وذهب بعيني فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر. فقال الوليد: انطلقوا به إلى عُرْوَةَ ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاءً.

(١) صدقة بن عبد الله المازني: محدث دمشقي كبير توفي سنة ١٦٦ هـ (مرأة الجنان: ج ١، ص ٣٥٢).

(٢) عامر بن حفص: عالم بالأنساب ينقب بشخيم (١٩٠/١) (الأعلام: ج ١، ص ٢٥٠).

(٣) عروة بن الزبير بن العوام: «أبو عبد الله» أحد الفقهاء السبعة بالمدينة (٢٢ - ٩٣ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٢٢٦).

(٤) محمد بن عروة: مارع الجمال يدعى زين الموائب (الوافي بالوفيات: ج ٤، ص ٩٤).

(٥) الأكلة: داء يقع في العضو فيأكل منه.

(٦) سورة الكهف: الآية ٦٢.

وشَخَّصَ عروءةً إلى المدينة فأتته قريشُ والأنصارُ فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله: أبشِر يا أبا عبد الله، فقد صنع الله بك خيراً، والله ما بك حاجةٌ إلى المشي. فقال: ما أحسن ما صنع الله إليّ، وهب لي سبعةً بيني فمتعني بهم ما شاء، ثم أخذ واحداً وترك ستة، وهب لي ست جوارح، فمتعني بهن ما شاء، ثم أخذ واحدة ثم ترك لي خمساً: يذنين ورجلاً وسمعاً وبصراً، ثم قال: اللهم لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت.

وكثر الموت سنةً بالبصرة، فقيل للحسن: يا أبا سعيد، ألا ترى؟ فقال: ما أحسن ما صنع ربنا. أفلع مُذنبٌ، وأنفق مُسكٌ، ولم يُغلط بأحد.

وقال مخلد بن حمزة عن عبد الملك بن عمير: قال دخل عبد الله بن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر، فقال لها: يا أمّهُ، قد خذلتني الناس فما بقي معي إلا من ليس عنده من الصبر أكثر من ساعة، والقَوْمُ يُغطونني ما أردتُ، فما رأيك؟ قالت: أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض على حقك، ولا تمكّن غلمانَ بني أمية من نفسك، فقال: وفُكِّك الله، هذا رأيي، وإني لحسن الظنِّ بربي، فإن هلكت فلا يشتد عليّ جزعك، فإن ابنك لم يتعمد إتيان ذنبيه، ولا عملاً بفاحشة، ولم يجز في حكم، ولم يسع بغدر، ولم يكن شيء أثّر عنده من رضى ربه. اللهم، إني لا أقول هذا تزكيةً لنفسي وأنت أعلم بي، ولكنني أقوله لتسلو عني.

وقال علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون: دخل عبد الله بن الزبير على أمه: فقال: كيف أصبحت يا أمّهُ؟ قالت: إني لوجعة، قال: إن في الموت لراحةً. قالت: والله ما أحب أن أموت حتى آتني على أحد طرفيك: إما ظفرت فقرت عيني، وإما قتلت فاحتسبتك، وإن أحبهما إليّ أن تكون تصلي عليّ وتدفتني. فما دمعت عينه ولا عيها. فما ندري من أيهما نعجب.

ولقد قال: إني لا آمن إن قتلتُ أ، أصلب، فقالت له: يا بني إن الشاة لا تألم للسلخ. فحمل على أهل الشام وهو يتمثل:

[الطويل]

فَلَسْتُ بِمُشْبَعِ الْحَيَاةِ بِسَبِّهِ وَلَا مُرْتَقِي مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْخَا

قال أبو الحسن المدائني: وأخبرنا يزيد بن عياض قال: لما مات علي بن الحسين ضربت امرأته على قبره فسطاطاً، فأقامت فيه حولاً ثم رجعت إلى بيتها. فسمعوا قائلاً يقول: أدركوا ما طلبوا. فأجابته مجيب: بل يشوا فانصرفوا.

قال: وأخبرنا علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه قال: عزى رجل عمر بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك، فقال عمر: الذي نزل بعبد الملك أمرٌ كنا نتظره، فلما وقع لم نُتكره.

قال: وأخبرنا بشر بن عبد الله بن عمر قال: قام عمر على قبر ابنه عبد الملك، فقال: رحمك الله يا بُني، لقد كنت ساراً مولوداً، وباراً ناشئاً، وما أُحِبُّ أني دعوتك فأجبتني؟!!

وقال الأصمعي: دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وهو يجود بنفسه، فقال: كيف تجِدُك يا بُني؟ قال: أجدني في الموت، فاحتسبني يا أمير المؤمنين، فإن ثواب الله خير لك مني. قال: رضي الله عنك يا بُني، فإنك لم تزل تُسِّرُ أباك وأنت في الجِزْق، وما كنت قط أسراً إليّ منك حيث يصيرك الله في ميزاني، فرضي الله عنك وعن كل شاهد وغائب دعا لك بخير. فجعل الناس يدعون له رجاء أن يدخلوا في دعوة عمر. وعاش عمر بعده أربعين يوماً ثم هلك.

وقال الأصمعي: قال عمر: إنما الجزع قبل فوات الشيء فإذا فاتك الشيء فأنه عنه.

وقال الأصمعي: كتب رجلٌ إلى عمر يعزيه، فأجابه: إني لم أزل في صحة منه وسلامة، موطئاً نفسي على فراقه. والسلام.

وأخبرنا أبو الحسن عن حدثه عن مسلمة قال: لما مات عبد الملك كشف أبوه عن وجهه وقال: رحمك الله يا بُني، سررت بك يوم بُسرت بك، ولقد عُمرت مسروراً بك وما أتت علي ساعة أنا بك فيها أسراً مني بك من ساعتى هذه، أما والله إن كنت لتدعو أباك إلى الجنة.

وتحدث المدائني عن سليمان بن أرقم أن عمر بن عبد العزيز قال لأبي قلابة<sup>(١)</sup> - وكان وليّ غسّل ابنه -: إذا غسّلته وكفنته فأذني به قبل أن تُغطي وجهه. فنظر إليه فقال: رحمك الله يا بُني وغفر لك.

وتحدث عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه قال: استشهد أبو

(١) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي أبو قلابة، ناسك من أهل البصرة ومن رجال الحديث الثقات وعالم بالقضاء والأحكام تهرب من القضاء إلى الشام ومات هناك (١٠٤/هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٨٨).

لأبي أمانة الحمصي فكتب عمر إلى أبي أمانة: «الحمد لله على آلائه وقضائه وحسن بلائه. فقد بلغني الذي ساق الله إني عبد الله بن أبي أمانة من الشهادة، فقد عاش بحمد الله في الدنيا مأموناً، وأفضى إلى الآخرة شهيداً، وقد وصل إليكم من الله خير كثير إن شاء الله».

وتحدث عن جعفر بن هلال بن -باب عن أبيه قال: كتب عمر إلى عماله: «إن عبد الملك بن عمر كان عبداً من عبده الله أحسن إليه وإلى أبيه فيه، أعاشه ما شاء ثم قبضه إليه. وكان ما علمت - والله به أعلم - خيراً، من صالحه شباب أهل بيته قراءةً للقرآن وتحريراً للخير. وأعوذ بالله أن تكون لي محبةً في شيء من الأمور تُخالف محبة الله، فإن ذلك لا يحسن بي في إحسانه إليّ، وتتابع نعمه عليّ. وقد قلت عند الذي كان بما أمر الله عز وجل أن أقول عند المصيبة ثم لم أجد بحمد الله إلا خيراً، ولا أعلم ما بكت عليه بائسة، ولا ناحث عليه نائحة، ولا اجتمع لذلك أحد، فقد نهينا أهله الذين هم أحوّ بالبكاء عليه».

وتحدث عن محمد بن عباد<sup>(١)</sup> إذ بلغه أن عبد الملك بن عمر لما مات، فخرج بسريره ليصلي عليه، صفّ عمر الناس خلفه ثم قام جيالاً صدره أو رأسه ثم قال: هكذا يقوم وليّ الرجل من الرجل، ومن المرأة يقوم جيالاً وسطها. فلما صار إلى القبر دخل فيه وأخذ برأس ابنه حتى وضعه في اللحد. ثم قال: هكذا يصنع وليّ الرجل بالرجل. ثم قام على قبره وجعل القبر بينه وبين القبلة. فلما رآه الناس قائماً قاموا، فقال: اجلسوا، فإنما يجب القيام على أولياء الميت.

وتحدث عن مسلمة بن عثمان أنّ سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز: هل يكون المؤمن في حالة تنزل به المصيبة فلا يألم لها؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، لا يكون أن يستوي عندك ما حجب وما تكرر، أو تكون الضراء والسراء عند أحد سواء. ولكن معول المؤمن الصبر.

وقال عن عبد الله بن الأسود: لما مات عاصم بن عمر بن عبد العزيز جزع عليه أخوه عبد الله فراثه. وأنشدني هذا الشعر الرياشي:

[الطويل]

إِنْ تَلَّكَ أَحْزَانٌ وَقَائِضٌ غَبْرَةٌ      أَتْرَبُ ذِمًّا مِنْ دَاخِلِ الْجُوفِ مُنْقَعًا

(١) محمد بن عباد بن كاسب: كاتب زهير ومولى بجيلة من سبي دابق وكان شاعراً راوية وطلابة للعدل علامة (البيان والنبين: ج ١، ص ٣٥).



نَجَزَعْتُهَا فِي عَاصِمٍ فَأَخْتَسَبْتُهَا      لَأَعْظُمُ مِنْهَا مَا اخْتَسَى وَتَجَرَعَا  
 فَلَيْتَ الْمَنَايَا كُنُّ صَادِقِينَ غَيْرَهُ      فَعِشْنَا جَمِيعاً أَوْ ذَهَبِينَ بِنَا مَعَا  
 وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>      بِنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ  
 يَرِي أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>:

[البيط]

أَبَا الْمُنَازِلِ يَا عُبَيْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ      يُفْجِعُ بِمِثْلِكَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِعَا  
 اللَّهُ يَغْلُمُ أَنِّي لَوْ خَشِيتُهُمْ      وَأَوْجَسَ الْقَلْبَ مِنْ خَوْفِ لَهُمْ فَرَعَا  
 نَمْ يَفْتُلُوكَ وَلَمْ أُنَلِّمْ أَحِي لَهُمْ      حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعاً أَوْ نَمُوتَ مَعَا  
 وَكَانَ قَتْلُهُ فِي الْمَعْرَكَةِ عَيْسَى بْنُ مَوْسَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>  
 وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ إِبْرَاهِيمَ أَخَاهُ.

وقال أبو الحسن: أخبرنا العباس بن معاوية قال: عزى محمد بن الوليد بن  
 عتبة بن أبي سفيان عمر بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك فقال: يا أمير  
 المؤمنين، ليشعلك ما أقبل من الموت إليك عمن هو في شغل عما دخل عليك،  
 وأغيد لما ترى عدة تكون لك جنة من الحزن ويشترأ من النار. فقال عمر: فهل  
 رأيت حزناً ينكر أو غفلة أنه لها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن رجلاً ترك تعزية  
 رجلٍ ليعلمه وانتباهه لكتته، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين.

وقال أبو الحسن: دخل مسلمة<sup>(٤)</sup> على عمر في مرضه، فقال: يا أمير  
 المؤمنين، ألا توصي؟ قال: وهل لي ما. وصي فيه؟ فقال مسلمة: هذه مئة ألف  
 أبعث بها إليك فهي لك أوص فيها. قال: فهلاً غير ذلك يا مسلمة؟ فقال: وما

(١) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن طالب: «الطالبي» أحد الأمراء الأشراف  
 الشجاعة كان شاعراً عالمياً بأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم قتل في وقعة هائلة بين شيعة وجيوش  
 المنصور على أبواب الكوفة (٩٧ - ١٤٥ هـ). (الأعلام: ج ١، ص ٤٨).

(٢) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن طالب: «أبو عبد الله الملقب بالنفس الزكية»  
 كان غزير العلم شجاعاً حازماً وسخياً طلبه المنصور وقتل بعض أقاربه فثار محمد وقتل في المدينة  
 (٩٣ - ١٤٥ هـ). (الأعلام: ج ٦، ص ٢٢٠).

(٣) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله (ابن أخي السفاح) تولى على الكوفة سنة ١٣٢ هـ  
 استنزل المنصور عن ولاية العهد وعزله عن الكوفة سنة ١٤٧ هـ (١٠٢ - ١٦٧ هـ). (الأعلام: ج  
 ٥، ص ١١٠).

(٤) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد من أبطال عصره من بني أمية في دمشق يلقب  
 بالجرادة الصفراء له فتوحات مشهورة كان أولى بالخلافة من إخوته (١٢٠/.. هـ). (الأعلام: ج  
 ٧، ص ٢٢٤).

ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: تردّها من حيث أخذتها. فبكى مسلمة وقال: يرحمك الله، فقد أُلّنت مئاً قلبوا كانت قاسية، وزرعت لنا في قلوب المؤمنين مودّة، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً.

وقال أبو الحسن عن سعيد بن عامر<sup>(١)</sup> عن محمد بن عمرو بن علقمة<sup>(٢)</sup> قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعاضه من ذلك الصبر إلا كان ما عوّضه أفضل مما انتزع منه. ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال مقسم، وهو مولى لبعض أهل المدينة، يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

[البيسط]

لَوْ أَعْظَمَ الْمَوْتُ خَلْقًا أَنْ يَلَاقِيَهُ      لِأَعْظَمَ الْمَوْتُ أَنْ يَلْقَاكَ يَا عَمْرُ  
لَهَيْبِي عَلَيْكَ وَلَهَيْبِ الْمُوجَعِينَ مَعِي      عَلَى الْعُدُولِ الَّتِي تَغَيَّرَ لَهَا الْجَفْرُ  
ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى عَيْنٌ لَهُمْ شَبَهًا      تَضُمُّ أَعْظَمَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْجُدْرُ  
فَقَدْ بَلَغْتَ وَلَمْ تَبْلُغْ فَعَالَهُمْ      مَا قَوَّضَهُ لِإِمَامٍ مُنْصَرٍ بَصْرُ

قال أبو الحسن: قال محمد بن حرب الهلالي: كان رسول الله ﷺ إذا عزى يقول: أجركم الله ورحمكم. وإذا منأ قال: بارك الله لكم وبارك عليكم.

وقال ابن الأعرابي<sup>(٤)</sup>: وقف جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس على قبر أخيه محمد بن سليمان فقال: اللهم إني أمسيت أرجوك له وأخافك عليه، اللهم فصدّق رجائي وأمرّ خوفي، إنك على كل شيء قدير.

قال الأصمعي: ولّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعب بن سؤر<sup>(٥)</sup> قضاء

(١) سعيد بن عامر بن جليل الجمحي: صحابي ولاء عمر إمره حمص كان زاهداً توفي بحمص (٢٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٩٧).

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني: ثقة روى عنه مالك في موطأه توفي سنة ١٤٤ هـ (البيان والنبين: ج ٣، ص ١٤٣).

(٣) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٤) أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي: راوية نسبة علامة في اللغة كوفي (١٥٠ هـ - ٢٣١ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ١٣١).

(٥) كعب بن سؤر بن بكر الأزدي: تابعي بعثه عمر قاضياً لأهل البصرة وبقي إلى وقعة الجمل حيث قتل بسهم (٣٦٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٢٧).

البصرة. قال أبو العباس: وكان سبب ذلك أنه حضر مجلس عمر، فجاءت امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي «سؤام»، قوام. فقال عمر: إن هذا لَرَجُلٌ صالح، ليتني كنتُ كذا. فزُدت عليه الكلام فقال عمر كما قال. فقال كعب بن سور الأزدي: يا أمير المؤمنين، إنها تشكو زوجها، تخبر أنه ليس لها منه حظ. فقال: عليّ بزوجها. فأنتي به، فقال له: ما بالها تشكوك، وما رأيت امرأة أكرم شكوى منها؟ فقال: يا أمير المؤمنين:

[الرجز]

إِنِّي امْرُؤٌ أَفْرَعْنِي مَا قَدْ نَزَلَ فِي الْجَنْجِرِ وَالشُّخْلِ وَفِي الشُّبُعِ الطُّوْلِ  
فقال له كعب:

[الرجز]

إِنَّ لَهَا عَلَيْنِكَ حَقًّا يَا بَعْلُ فَأَوْفِهَا الْحَقُّ وَصُمْ نُمْ وَصَلْ  
فقال عمر لكعب: أفض بينهما. فقال: نعم، يا أمير المؤمنين، أحل الله للرجل أربعاً، فأوجب لكل واحد ليلة، فلها في كل أربع ليال ليلة، ويصنع بنفسه في الثلاث ما شاء. فالزمه ذلك. وقال لكعب: اخرج قاضياً على البصرة.

قال أبو العباس: اتصل هذا بخبر الأصمعي.

فلم يزل عليها حتى قُتل عثمان فلما كان يوم الجمَل، خرج مع أهل البصرة وفي عنقه مصحف، فقتل هو. رُمِذ وثلاثة إخوة له أو أربعة. فجاءت أمهم فوجدتهم في القتلَى، فحملتهم ووجدت تقول:

[المتقارب]

أَيَا عَيْنٍ بَكِّي بِذَمْعِ سَرِبٍ عَلَى فِئِيَةٍ مِنْ خِيَارِ الْعَرَبِ  
فَمَا ضَرُّهُمْ غَيْرُ حَيْنِ الثُّغْوِ مِنْ أَيِّ أَمِيرِي فَرِيضٍ غَلَبِ  
وقال أبو الحسن: أخبرني مخبر قال: كتب غيلان<sup>(١)</sup> إلى رجل من إخوانه أصيب بابنه فجزع عليه: أما بعد. فإن الله أعطاك هبته، وجعل عليك أذبه ومؤنته، وأنت تخشى فنتته، فاشتد بذلك سرورك. فلما قبض الله هبته، وكفأك أذبه ومؤنته، وأمِثت فنتته، اشتد لذلك جزعك، فأقسم بالله أن لو كنت تقياً لَعَزَيْتْ

(١) غيلان بن مسلم الدمشقي وأبو مروان: كاتب، بليغ صلب على باب كيسان بدمشق بعد فتوى الأوزاعي بصلبه ناسب إليه الغيلانية وهي فرقة من الفدرية (ل/ ١٠٥ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص

على ما هُنْتُت عليه، وَلَهُنْتُت على ما نَزَيْتُ عليه. فإذا أتاك كتابي فاصبر على الأمر الذي لا غنى بك عن ثوابه، ولا «سير لك على عقابه». واعلم أن كل مصيبة لم يذهب فرحُ ثوابها حزنها، فذلك الحزن الدائم.

وقال أبو الحسن: لما هلك ابن عمر بن دُرٍّ<sup>(١)</sup> وقف عليه أبوه وهو مُسَجِّي فقال: يا بني، ما علينا من موتك غضاضة، وما بنا إلى أحد سوى الله من حاجة. فلما دُفِنَ قام على قبره فقال: يا دُرُّ غفر الله لك، لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، لأننا لا ندري ما قلت وما قيل لك. اللهم، إني قد وهبت له ما قَصُرَ فيه مما افترضته عليه من حقِّي، فهَبْ لي ما قَصُرَ فيه من حقك، واجعل ثوابي عليك له، وزدني من فضلك فإني إليك من الراغبين! فسئل عنه فقيل: كيف كان معك؟ فقال: ما مشيتُ معه بليلٍ قط إلا كان أمامي، ولا بنهارٍ قط إلا كان خلفي، وما علا سطحاً قط وأنا تحته.

قال أبو الحسن: أخبرني بعض قريش، يرفع الحديث إلى ابن عباس قال: هلك رجل من أهل المدينة فشهد جنازته عبد الله بن العباس رضي الله عنهما فلما دُفِنَ الرجل قال بعض من شاهده: ليت شعري إلى ماذا صار صاحبنا؟ فسمعه ابن عباس فقال: أما تدري؟ قال: لا والله، قال: لكنني والله، أدري، قال الله جل ثناؤه: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وليس صاحبنا من المكذبين الضالين. فإن أخطأه أن يكون من المقربين فلن يخطئه أن يكون من أصحاب اليمين. قال: ففرح جميع القوم بما سمعوا.

وقال عن عوانة<sup>(٣)</sup>: لما بلغ خالد بن الوليد موثُ أبي بكر رضي الله عنه قال: الحمد لله الذي أمات أحبَّ خلقه إليّ، واستخلف أبغض الأمة إليّ. وقد استخلف عليكم أمين أمتكم، يعني أبا عبيدة بن الجراح.

وقال الأصمعي: قام خالد بن الوليد على رأس أبي عبيدة، فستره بردائه من

(١) عمر بن دُرٍّ: من رجال الحديث كوفي من رؤساء المرجئة (-/١٥٣ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٤٦).

(٢) سورة الواقعة: الآية ٨٨ - ٩٣.

(٣) عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض «أبو الحكم» مؤرخ كوفي كلبى ضريب عالم بالأنساب والأشعار اتهم بوضع الأخبار للأمويين (-/١٤٧ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٩٣).

الشمس، فقيل له: ما أردت إلى هذا؟ قال: أردت إعزاز الإسلام.

وقال أبو الحسن عن محمد بن الفضل عن أبي حازم<sup>(١)</sup> قال: مات عقبه بن عياض بن عَثمَ اليهري فعزى رجل أباه فقال: لا تجزع عليه، فقد قُتل شهيداً - وكان من سادة الجيش - فقال: وكيف لا أصبر وقد كان في حياته زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات النصالحات.

وأخبر عن عامر بن الأسود قال: استشهد لمولى لبني نوفل بنوناً، فعزاه رجلٌ فقال: أجرك الله في الباقيين، ومتعك بالفانين. فقال له رجلٌ: لعلك غلظت. فقال: لا، إن الله يقول: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأخبر عن عمر بن مجاشع قال: قال نافع، مولى عمر بن الخطاب: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: نسأل الله تمام النعمة. فقال: أتدري ما تمام النعمة؟ إن تمام النعمة النجاة من النار.

وسمع ﷺ رجلاً يقول: اللهم، ارزقني صبراً. فقال: يا عبد الله، سألت بلاءاً، فأسأل الله العافية.

وعن عمر بن مجاشع قال: قال رجلٌ لابن عمر وعزاه: أعظم الله أجرك. فقال ابن عمر: نسأل الله العافية.

قال: وهذا حديثٌ نُمليه وقد مضى في صدر الكتاب ناقصاً فأتممناه في هذا الموضوع ليتوَقَّر ويتصل به ما بعده:

تحدث المدائني عن يعقوب بن داود<sup>(٣)</sup> عن بعض أشياخه أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب<sup>(٤)</sup> كان عاملاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام على اليمن، فخرج إلى علي، واستخلف على صنعاء عمَرو بن أراكة الثقفي. فوجه

(١) سلمة بن دينار (أبو حازم): عالم المدينة يقال له الأعرج كان عالم المدينة زاعداً عادياً ومحدثاً ثقة (الأعلام: ج ٣، ص ١١٣).

(٢) سورة النحل: الآية ٩٦.

(٣) يعقوب بن داود بن عمر السلمى ولاء أبو عبد الله كاتِب عباسي حبسه المهدي وأخرجه الرشيد أقام في مكة بعد أن ذهب بصره حتى مات (١٨٧ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ١٩٧).

(٤) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو محمد كان أصغر من أخيه عبد الله بسنة ولاء علي بن علي اليمن وكان على مقدمة الحسن إلى معاوية مات في المدينة وكان سخياً جواداً (١ - ٨٧ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١٩٤).

معاوية بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، فقتل عمرو بن أراكة فيمن قتل .  
فجزع عليه أخوه عبد الله . فقال أبوه :

[الطويل]

لَعُمْرِي لَيْتَ أَتَبَعْتَ عَيْنَيْكَ مَا مَضَى      بِهِ الدُّهُرُ أَوْ سَاقَى الجِمَامِ إِلَى القَبْرِ  
لَسْتَنُفِيْدَنَّ مَاءَ الشُّؤُونِ بِأَسْرِهِ      وَلَوْ كُنْتُ تُمْرِيهِنَّ مِنْ تَبِجِ البَحْرِ  
لَعُمْرِي لَقَدْ أُرْدَى ابْنُ أَرْطَاةٍ فَارِسًا      بِصَنْعَاءِ كَاللَّيْنِ الْهَزْبِرِ أَبِي الأَجْرِ  
فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ إِذْ حَنَّ بِأَكْبِيَا      تَعَزُّ، وَمَاءَ العَيْنِ مُنْحَدِرٌ يَجْرِي  
وَأَنْشَدَنِي التُّوزِي عَنْ أَبِي زَيْدٍ: إِذْ حَنَّ بِأَكْبِيَا .

تَبِيْتُ قَبْلَ أَنْ كَانَ البُكَارُ زُدَّ هَالِكَا      عَلَى أَحَدٍ، فَاجْهَدُ بِكَأكَ عَلَى عَمْرُو  
وَلَا تُبِكْ مَيْتًا بَعْدَ مَيْتِ أَجْنُهُ      عَلَيَّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

قال أبو العباس: وكان بسر قد قتل خُلُقًا باليمن . يقول بعضهم: حتى  
أَخَاضَ الخَيْلَ فِي الدَّمَاءِ . وكان في من قتل طفلان لِعَبِيدِ اللهِ بن العباس أخذهما  
من الكُتَابِ . قُرُوِي أَنَّهُ قَتَلَهُمَا وَهِيَ يَقُولَانِ: يَا عُمُ لَا نَعُودُ! وَأَمَّا الرَوَايَةُ الفَاشِيَةُ  
التي كأنها إجماع، فإنه أخذهما من تحت ذيل أمهما وهي امرأة من بني  
الحارث بن كعب<sup>(١)</sup>، ففي ذلك تقول لما خرج بهما من عندها:

[مجزوء الوافر]

أَلَا مَنْ بِيْنَ الأَخْوِيْ —      بِنِ أُمَّهُمَا هِيَ التُّكْلِي  
تُسَائِلُ مَنْ رَأَى ابْنَيْهَا      وَتَسْتَبْنِي فَمَا تُبْنِي  
وقالت أيضاً:

[البيط]

يَا مَنْ أَحْسَ بُنْيِي اللَّذِيْنَ هُمَا      كَالذُّرْتِيْنِ تَشْطَى عَنْهُمَا الصَّدْفُ  
يَا مَنْ أَحْسَ بُنْيِي اللَّذِيْنَ هُمَا      قَلْبِي وَطَرْفِي فِقْلَبِي اليَوْمِ مُخْتَطَفُ  
يَا مَنْ أَحْسَ بُنْيِي اللَّذِيْنَ هُمَا      مُخَّ العِظَامِ، فَمُخِّي اليَوْمِ مُرْذَهْفُ  
تُبْنْتُ بَسْرًا وَمَا صَدَّقْتُ مَا ذَكَرُوا      مِنْ قَوْلِهِمْ وَمِنَ الإفْكَ الَّذِي افْتَرَفُوا  
أَنْحَى عَلَى وَدَجِي شِبْلِي مُرْهَفَةً      بَغِيَا، كَذَا وَعَظِيمِ البَغْيِ يُفْتَرَفُ

(١) جويرية بنت خالد بن قارظ الكنانية أم حكيم من أجمل النساء زوجة عبدة الله بن العباس . فتد  
بسر بن أرطاة ولديها . (مروج الذهب: ج ٣، ص ٣١).

قال أبو الحسن: مات الحسن بن الحُصَيْن، أبو عبيد الله<sup>(١)</sup> بن الحسن - وعبيد الله يومئذ قاضي البصرة وأميرها - فتذاكروا ما يتبين به جزعُ الرجل من صبره، فأجمعوا على أنه إذا ترك شيئاً كان يصنعه فقد جزع، فأتاه صالح المرزي<sup>(٢)</sup> فعزاه فقال له: يا هذا، إن كانت مصيبتك أحدثت لك عظةً في نفسك فنعم المصيبة مصيبتك. وإن كانت لم تحدث لك عظةً في نفسك فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك بأبيك.

وأخبر عن عامر بن حُصَيْن والمثنى بن عبد الله قالوا: مات أخٌ لمحمد بن سيرين<sup>(٣)</sup> فجزع عليه، فلما كان في مؤخر الدار ذكر أنه لم يسرح لحيته. فجلس ودعا بمشط، فسرحَ لحيته ورأسه ثم خرج.

وقال الأصمعي: كان ابن سيرين يترجّل غبياً، فجاءه نعي أخيه في يوم ترجّله فترجّل.

وأخبر أبو الحسن عن عبد الله بن مُرّة عن بعض أشياخه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للخنساء: ما أقرّحَ مآقي عَينيك؟ قالت: بكائي على السادات من مُضراً! قال: يا خنساء، إنهم في النار. قالت: ذاك أطولُ لعويلي عليهم.

وقال عن أبي محمود: قالت الخنساء: كنت أبكي لصخر على الحياة فأنا اليوم أبكي له من النار.

وأخبر عن محمد بن عبد الحميد قال: نعى رجلٌ لرجل ابنه فقال: قد نعي بُني قبل ذلك. قال: ومن أعلمك بموته، وما نعاه غيري ممن يعرفك؟ قال: نعاه لله حيث يقول لنيّته: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وأخبرني عن أبي المقدم، وكان كبيراً، أدرك سعيد بن المسيّب<sup>(٥)</sup>

(١) عبيد الله بن الحسن بن الحُصَيْن العنبري: فقيه عالم بالحديث ولي قضاء البصرة وتوفي فيها (١٠٥ هـ - ١٦٨ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١٩٢).

(٢) صالح بن بشير المرزي البصري «أبو بشير» من رواة الحديث توفي سنة ١٧٢ هـ (مرآة الجنان: ج ١، ص ٣٦٨).

(٣) محمد بن سيرين البصري: تابعي من أشراف الكتاب روى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا استكنبه أنس بن مالك بفارس مولده ووفاته بالبصرة (٣٣ - ١١٠ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ١٥٤).  
(٤) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٥) سعيد بن المسيّب بن حُزْن بن أبي وهب القرشي: تابعي وأحد الفقهاء السبعة في المدينة كان فقيهاً محدثاً ورعاً توفي في المدينة سنة ٩٤ هـ (الأعلام: ج ٣، ص ١٠٢).

قال: بلغني أن أبا مُسلم الخَوْلاني<sup>(١)</sup> كان يقول: لأنّ أقدّم سَقَطاً أحبُّ إليّ من أن أدع مئةً من خَوْلان، ولأنّ أقدّم فَرَطاً أحبُّ إليّ من أن أخلف خَوْلان كلّها.

---

(١) عبد الله بن ثوب الخولاني «أبو مسلم»: يعني الأصل أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ فقبّ نعتة الذهبية بريحانة الشام كان فقيهاً عابداً وفاته بدمشق وقبره بدارينا ( . . . / ٦٢ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٧٥).



## وهذا باب من التعازي والتعزي في الأشعار

قالت ليلي الأخيلية، قال أبو العباس: قرأته على الرياشي:

[الطويل]

أَقْسَمْتُ أَبْكِي بَعْدَ تَوْبَةٍ<sup>(١)</sup> هَالِكَا  
لَعْمُوكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارَ عَلَى الْقَتَى  
فَلَا الْخَيَّ مِمَّا يُخْبِتُ الدُّهْرُ سَالِمًا  
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى بَلَى  
فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ هَالِكَا  
فَأَقْسَمْتُ لَا أَتَّفُكُ أَبْكِيكَ مَا دَعَتْ  
فَتِيلَ بِنِي عَوْفٍ قِيَا لَهْفِي لَهْ

قال أبو العباس: وأشعار المراثي كثيرة، وإنما نختار عيوناً من جميعها ومن الشيء أحسنه. وكذلك الكلام غير الشعر. ولم تكن ليلي الأخيلية امرأة تنوبة، ولا بينهما نسب لاصق إلا أنهما جميعاً من بني عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وكانت تحبه ويحبها. وَوَزَّوت الرواة أنه خلا بها مرة فأرادها على ما يريد الرجال، فأبت واشمأزت. ففي ذلك تقول:

[الطويل]

وَذِي حَاجَةٍ قُلْنَا لَهُ لَا تَبْخُ بِهَا  
فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيْثُ سَبِيلُ  
لَنَا صَاحِبٌ لَا يَتَّبِعُنِي أَنْ نُخَوِّنَهُ  
وَأَنْتَ لِأَخْرَى صَاحِبٌ وَخَلِيلُ  
فَأَقَامَا دَهْرًا عَلَى حُبِّ عَفِيفٍ، وَهِيَ السُّنَّةُ الْجَارِيَةُ فِي الْعِشَاقِ الْمَاضِينَ مِنْ  
بَنِي عُذْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ.

(١) تنوبة بن الخنثير بن حزم بن كعب بن خفاجة المُقْبِلِي العَامِرِي «أبو حرب» شاعر من العشاق المشهورين كان بهوى ليلي الأخيلية ولما خطبها رده أبوها فشبب بها في شعره واشتهر أمره قتله بنو عوف بن عقيل (.../ ٨٥ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٨٩).

وكان سبب قتل توبة أن بني عوف كانوا يطلبونه فأحسوه، وقد قدم من سفر  
ومعه عبيد الله بن الحُمَيْر، أخوه، وقابض، مولاه. وبينه وبين الحَيِّ ليلة، فأتوه  
طروقاً<sup>(١)</sup>، فهرب صاحبه وأسلمناه فقتل. ففي ذلك تقول ليلي:

[الطويل]

دَعَا قَابِضًا وَالْمُزْمَعَاتُ تَنُوْثُهُ      فَتَبُّخَتْ مَدْعُوًّا زَلَّيْتِ ذَاعِيَا  
فَلَيْتَ عَبِيْدَ اللّٰهِ حَلَّ مَحَلُّهُ      فَأَوْدَى وَلَمْ أَسْمَعْ لِثَوْبَةٍ نَاعِيَا

وقالت:

[الطويل]

أَعْيَنِي أَلَا فَابِكِي عَلَى ابْنِ حُمَيْرٍ      بِدَمْعِ كَفَيْضِ الْجَذْوَلِ الْمُشْفَجِرِ  
لَيْتُكَ عَلَيْهِ مِنْ حَفَاجَةٍ نِسْوَةٌ      بَمَاءِ سُؤْوِي الْعَبْرَةِ الْمُتَحَدِرِ

حَفَاجَةٌ بِنِ عَقِيلٍ.

سَمِعْنَا بِهَيْجَا أَوْجَعَتْ مَذَكْرَتَهُ      وَقَدْ يَبْعَثُ الْأَخْرَانَ طَوْلَ الشُّذْكَرِ  
كَأَنَّ فَتَى الْفَيْثِيَانِ تَوْتَةٌ لَمْ يُبْنِخْ      بِتَجْدٍ وَلَمْ يَطْلُغْ مَعَ الْمُتَمَوِّرِ  
وَلَمْ يَرِدِ الْمَاءَ السُّدَامَ إِذَا بَدَا      سَنَا الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ أَخْضَرَ مُذِيرِ

السُّدَامُ: الْأَبَارُ الْقَدِيْمَةُ الْمَنْدَفَةُ. وَجَمَعَهَا سُدُومٌ. وَقَوْلُهَا: «سَنَا الصُّبْحِ»،  
السَّنَا: مِنَ الضُّوءِ، مَقْصُورٌ كَقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: «يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ  
بِالْأَبْصَارِ»<sup>(٢)</sup>. وَالسَّنَاءُ: مِنَ الشَّرَفِ، مَمْدُودٌ.

وقولها: «في أعقاب أخضر مذير»، تعني الليل، تريد بأخضر: أسود.  
وجعلته مدبراً لورود الصبح.

وَلَمْ يَفْدَعْ الْخَضْمَ الْأَلْدُ وَيَمْلَأُ الْهَدْمَ      جِفَانٌ سَدِيْفًا يَوْمَ نَكْبَاءِ صَرْصَرِ  
النَّكْبَاءُ: الرِّيحُ بَيْنَ الرِّيحِيْنَ. وَالسَدِيْفُ: شَقُّ السَّنَامِ، وَالصَّرْصَرُ: الرِّيحُ  
الشَّدِيْدَةُ الصَّوْتِ، الْبَارِدَةُ.

أَلَا رُبُّ مَكْرُوبٍ أَجَبَتْ وَنَائِلِ      فَعَلَّتْ، وَمَغْرُوفٍ لَدَيْكَ وَمُنْكَرِ  
فَيَا تَوْبٌ لِمَوْلَى، وَيَا تَوْبٌ لِلثُدَى      وَيَا تَوْبٌ لِلْمُسْتَشْبِحِ الْمُتَمَوِّرِ

فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ: مَا كَانَ تَوْبَةً كَمَا ذَكَرْتَ. وَقَلَّتِ «فَتَى الْفَتِيَانِ» وَمَا  
كَانَ كَذَاكَ. فَقَالَتْ: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَأَسْأَلُ اللَّهَ عَشْرَكَ<sup>(٣)</sup>، وَأَدَامَ فَعْرَكَ. كَانَ

(١) طرق القوم طروقاً: أتاهم بالليل. (٢) سورة النور: الآية ٤٣. (٣) العشر: أصابع اليدين.

والله شديد الجزة<sup>(١)</sup>، لئن العطفة، يُرضيه أقل مما يُسخطه.

وقالت أيضاً:

[الطويل]

نَظَرْتُ وَرُكُنْتُ مِنْ أَبَانِيْنِ دُونَهُ  
كَأَنَّ قَسَى الْفَيْثِيَانِ تَوْبَةٌ لَمْ يُبْنِغْ  
وَلَمْ يَبْنِ أَبْرَاداً عِتَاقاً لِفَيْثِيَّةِ  
قَسَى لَا تَحْطُطُهُ الرِّفَاقُ وَلَا يَسْرِى  
فَإِنْ تَكُنِ الْفُثْلَى بَوَاءَ فِائِكُمْ

البواء: الأمثال. يقال: باه فلان بفلان إذا قُتِلَ به. تقول: فإن تكن القتلى بيوء بعضها ببعض، فإن توبة فوق ذلك.

وأما قوله جل وعز: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾<sup>(٢)</sup>، إنما هو إن فعلت أن تحتمل الإثمين المتساويين: الذي رُدَّ عليك قربانك فلم يُقبَل من أجله، وتقلت إياي، وكان كل واحد منهما كفاء الآخر. هذا اشتقاق هذا المعنى. ومن ذلك قول مهلهل بن ربيعة حين قُتِلَ بُجَيْرَ بن الحارث بن عباد: بُوُ بِشِنَعِ كُتَيْبِ، فقبيل للحارث بن عباد: إن ابنك بُجَيْراً قَدْ قُتِلَ. قال: إنه لأعظم فتيل بركة إن أصلح الله به بين ابني وإثلي. قيل: إن مهلهلاً لما قُتِلَ قال: بُوُ بِشِنَعِ كُتَيْبِ. فعند ذلك دخل الحارث في حربهم ولم يكن دخلها.

رَجَعِ الشَّعْرُ

وَالْأَيُّكُنْ فِيهَا بَوَاءَ فِائِكُمْ  
وَكُنْتُ إِذَا مَوْلَاكَ خَافَ ظُلَامَةٌ  
وَقَدْ كُنْتُ مَرْهُوبَ الْجَنَانِ وَبَيْنَا  
فَيَنْعَمُ الْفَقْسَى إِنْ كَانَ تَوْبَةً فَاجِرًا  
أَتَتْهُ أَلْمَنَايَا دُونَ دِرْعِ حَصِيَّةِ  
فَبِاللَّهِ تَبْنِي بِنْتَهَا أُمُّ عَاصِمِ

وروت الرواة أنها زارت قبره، فجعلت تقول: يا توبة، يا توبة! ثم أقبلت

(٢) سورة المائدة: الآية ٢٩.

(١) الجزة: القوة.

على مَنْ معها بعد أن سلمت على القبر. فقالت: ما كذبتني قبلها. فقيل: فيم  
ذاك، وما تبيّنا منه كذباً. قالت: لأذنه قال في بعض قوله:

[الطويل]

ولو أن لئلي الأخيلىة سأمت عسي ودوني تُزينة وُصفائح  
لَسَلُمْتُ تَسْلِيمَ النِّشَانَةِ أَوْ زَفَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَائِحُ  
قال: وهذا الكلام غاية المدح. لا لأنها جهلت حال الموتى ولكنها دلت  
على أنه لم تُعرَف منه كذبة قط حتى يُدَّع عليه بها ميتاً.

وقال سليمان ابن قُتَيْبَةَ<sup>(١)</sup>، وهو مولى لبني تميم، وانقطاعه إلى بني هاشم -  
يذكر يوم الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

[الطويل]

مَرَزْتُ عَلَى أُنْيَابِ آلِ مُسَدَّدٍ قَلِمٌ أَرَهَا كَعَهْدِهَا يَوْمَ حَلَّتْ  
فَلَا يُنْعِدُ اللُّهُ الدِّبَارَ وَأَهْدِيهِ وَإِنْ أَصْبَحْتَ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتْ  
وَكَانُوا زَجَاءَ نَمِ عَسَادِهَا زُرِّيَّةٌ فَقَدْ عَظَمْتَ بِلَكَ الرُّزَايَا وَجَسَدِ  
وَإِنْ قَتِيلَ الطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتْ  
وَعِنْدَ غَنِي قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِنَا سَنَجْزِيهِمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتْ  
إِذَا افْتَقَرْتُ قَيْسِرَ بِنْرِنَا فَمِيْرَهَا وَتَقْتَلْنَا قَيْسِرَ إِذَا التُّغْلُ رَلَّتْ

قال أبو العباس: أنشدنيها الرُّياشي، وأنشدني ما بعدها مما أمليه إلى  
انقطاعه.

وقال الفرزدق يذكر ابني مسمع، وكان قد قتلها معاوية بن يزيد بن المهلب  
بعد قتل ابنه، وكانا مروانيين، وكان سائر بكر بن وائل مع يزيد بن المهلب،  
وكان «المُتُوف» مولى بني قيس بن ثعلبة، على شرطة يزيد، فقتل لسبب عنده مع  
يزيد فبكته بكر بن وائل وهو مولى وأعرضت عن ابني مسمع وهما صليبة. فقال  
الفرزدق:

[الطويل]

نُبَكِّي عَلَى الْمُتُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَتَنْهَى عَن ابْنِي مِسْمَعٍ مَن بَكَاهُمَا  
غُلَامَانِ شَبَا فِي الْحُرُوبِ وَأَذْرَكَا كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَضَلِّ لِحَاهُمَا

(١) سليمان ابن قُتَيْبَةَ البصري: نسبته إلى أمه «قُتَيْبَةَ» من كبار الشعراء وصديق أسد بن عبد الله القسري  
المتوفى سنة ١٢٠ هـ (تاريخ الطبري: ج ٨، ص ١٢٠).

وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكُ وَإِبْنُ مَالِكِ إِذْ أَوْقَدَا نَارَيْنِ يَغْلَو سَنَاهُمَا  
وقال الفرزدق أيضاً يرثي ابنين له ماتا في مدة يسيرة:

[الطويل]

رَزِيَّةُ شَيْبَلِي مُخَدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ  
وَأَنْ عَاشَ أَيَّاماً طَوَالاً بِسَالِمِ  
عَلَيْهِ الْمَنَايَا مِنْ ثَنَايَا الْمَخَارِمِ  
إِذَا ارْتَفَعَا فَوْقَ الشُّجُومِ الْعَوَائِمِ  
وَإِخْوَانَهُمْ فَأَقْنِي حَيَاءَ الْكَرَائِمِ  
وَعَمْرُو بْنُ كَلْشُومِ شَهَابِ الْأَرَاغِمِ  
وَعَمْرُو وَأَبُو عَمْرٍو وَفَيْسُ بْنُ عَاصِمِ  
وَمَاتَ أَبُو غَسَّانِ شَيْخَ اللَّهَازِمِ  
عَشِيَّةَ بَنَانَا، زَهْطِ كَنْعِبِ وَحَاتِمِ  
فَلَنْ يُرْجَعَ الْمَوْتَى حَنِينُ الْمَاتِمِ

بِغِي الشَّامِتِينَ الثُّرْبَ إِنْ كَانَ مُسْنِي  
وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ  
أَرَى كُلُّ حَيٍّ لَا تَزَالُ طَلِيغَةً  
يُبْذَرُنِي ابْنِي السَّمَكَانِ مَوْهِنَاً  
وَقَدْ رَزِيءَ الْأَقْوَامُ قَبْلِي بِنِيهِمْ  
وَمَاتَ أَبِي وَالْمُسْتَذِرَانِ كِلَاهُمَا  
وَقَدْ كَانَ مَاتَ الْأَقْرَعَانِ وَحَاجِبِ  
وَقَدْ مَاتَ بِسَطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ  
وَقَدْ مَاتَ جَبْرَاهُمْ فَلَمْ يَهْلِكَا هُمْ  
فَمَا ابْنَاكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاصْبِرِي  
ويقال: حَنِينٌ<sup>(١)</sup>.

وماتت امرأة له أيضاً وبها حمل، فقال:

[الطويل]

عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِبَا  
لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا أَرْجَأَتْهُ لِيَالِيَا  
وقال بعض الشعراء يعزي رجلاً عن ابنه:

وَجَفَنَ بِلَاحٍ قَدْ رَزِيْتُ فَلَمْ أَنْخِ  
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمِ دُو حَفِيظَةَ  
وقال بعض الشعراء يعزي رجلاً عن ابنه:

[الكامل]

وَاعْلَمِ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلِّدِ  
فَأَذْكَرُ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

اضْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلِّدِ  
وَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَمُصَابَهُ  
وقال الحكمي<sup>(٢)</sup> وأحسن جداً:

[الطويل]

وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةَ نَاشِرُ  
لَقَدْ أَيْسَسْتُ مِمَّنْ أُجِبُ الْمَقَابِرُ

طَوَى الْمَوْتِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدِ  
لَيْسَ أَوْحَشْتُ مِمَّنْ أُجِبُ مَنَازِلُ

(١) الحنين: صوت من الخيشوم.

(٢) الحكمي: أبو نواس.

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَخَذْتُ الْمَوْتَ وَخَذَهُ قَلِمَ يَبْقَى لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَازِرُ  
وهذا يشبه قول التيمي<sup>(١)</sup> في يزيد بن مزيد<sup>(٢)</sup>:

[الوافر]

لَقَدْ عَزَى زَبِيغَةً أَنْ يَوْمًا عَلَيْهِ مِثْلُ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ  
وقال حارثة بن بدر العُداني يرثي زياداً<sup>(٣)</sup>:

[البيط]

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى قَبْرِ وَطَهَّرَهُ عِنْدَ الثَّوْبَةِ يُنْفِى قَوْقُهُ الْمَوْرُ  
رَفَّتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعَشَ سَيْدِهَا فَالْجُودُ وَالْحَزْمُ فِيهِ الْيَوْمُ مَقْبُورُ  
أَبَا الْمُغِيرَةَ وَالْدُنْيَا مُفْجَعَةٌ وَإِنْ مَنْ عَزَبَتْ الدُّنْيَا لَمْ تَعْرُورُ  
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلتُّكْرَاهِ تَنْكِيرُ  
وَكُنْتُ تُغَشَى وَتُعْطِي الْمَالَ مِنْ سَعَةٍ إِنْ كَانَ بِأَبِكَ أَضْحَى وَهُوَ مَهْجُورُ  
فَالنَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ

وقال خُلَيْدٌ عَيْتِيْنِ<sup>(٤)</sup> يرثي المُنْذِرَ بن الجارود العَبْدِي<sup>(٥)</sup> وكانت بَحْرِيَّةُ ابنة  
المنذر تحت عبيد الله بن زياد، ومات المنذر بالسُّنْدِ في موضع يقال له  
«قُضْدَار»<sup>(٦)</sup>:

[السريع]

بَحْرِيٌّ، قُومِي قَائِدِي مُنْذِرًا وَإِبِكِي ابْنُ بَشْرِ سَيْدِ الْوَأْفِدِينَ  
وَإِبِكِي أَبَا الْأَشْعَثِ لَمَّا تَوَى بِالْهِنْدِ لَمْ يَنْفُلْ مَعَ الْقَافِلِينَ

(١) عبد الله بن أيوب «أبو محمد التيمي» شاعر عباسي مدح الأمين والمأمون (٢٠٩/هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٧٣).

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني «أبو خالد» أمير شجاع ووالٍ على أرمينية وأذربيجان وأخباره كثيرة في الشجاعة والكرم قتل ابن طريف وتوفي ببردعة (من بلاد أذربيجان) (١٨٥/هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ١٨٨).

(٣) زياد بن أبيه.

(٤) خُلَيْدٌ بن عبد الله بن دارم بن مالك «من عبد القيس» نزل بأرض تعرف بالعيتين في البحرين فنسب إليها «الشعر والشعراء» ص ٤٣٤.

(٥) المنذر بن الجارود العبدى: أمير جواد ولاء علي بن أبي طالب اصطخر وعزله ثم ولاء عبيد الله بن زياد بن أبيه شعر الهند ومات فيها (١ - ٦١ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٩٢).

(٦) قُضْدَارٌ أو قُزْدَارٌ: من نواحي الهند بينها وبين بشت تمانون فرسخاً (معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٤١).

جَاوَزَ قُضْدَارَ وَأَكْنَافَهَا  
 فِي جَدْبِ عَافٍ، بِمَهْجُورَةٍ  
 فَأَضْبَحَ الْمَجْدُ بِهَا ثَاوِيَا  
 لَلَّهِ قُضْدَارَ وَأَكْنَافَهَا  
 قَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي فَمَا أَمْتَرِي  
 مَا الْحَيُّ وَالْمَمِيْتُ فِيمَا تَرَى  
 إِلَّا كَغَادِ رَاحٍ أَضْحَابُهُ  
 مَاتَ بِهَا الْجُودُ وَأُودَى التُّدَى

تَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيحُ مَوْرَ الدُّرَيْنِ<sup>(١)</sup>  
 نَاءٍ عَنِ الرُّوَابِ وَالْمَعَايِدِينَ  
 بَيْنَ صَفَا صُمَّ وَصَحْرِ زَيْنِ  
 أَيُّ قَتَى دُنْيَا أَجَلْتُ وَدِينِ  
 حَقًّا سَوَى الظَّنِّ وَقَوْلِ اليَقِينِ  
 مِنْ حَدْبِ الدُّغْرِ وَزَيْبِ المَنُونِ  
 أَوْ رَائِحِ فِي أَثَرِ الْمُغْتَدِينَ  
 وَأَنْقَطَعَ الخَيْرُ عَنِ السَّائِلِينَ

وقال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه :

[البيط]

نَعَى الثُّعَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا  
 حُمَلْتُ أَمْرًا عَظِيمًا فَاضْطَبَّرْتُ لَهُ  
 فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ

يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَا  
 وَتُنَّتْ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عَمْرَا  
 تَبْكِي عَلَيْنِكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

وقال بكير بن معدان اليزبوعي يرثي يحيى بن مُبَشَّرَ، وكان قُتِلَ بِمَسْكِنِ<sup>(٢)</sup>

مع مصعب بن الزبير :

[السريع]

صَلَّى عَلَى يَحْيَى وَأَشْيَاعِهِ  
 لَمَّا عَصَى الْمُضْعَبِ أَضْحَابُهُ  
 أَمْ عُبَيْدِ اللَّهِ مَخْرُوتَةٌ  
 يَا فَارِسًا، مَا أَتَتْ مِنْ فَارِسِ  
 قَوْلِ مَفْرُوفٍ وَقَوْلِهِ  
 لَا تَخْرُجْ الْأَضْيَافَ مِنْ بَيْتِهِ  
 مَنْ يَكُ لَا سَاءَ فَقَدْ سَاءَ نَسِي

رَبِّ عَفُورٍ وَشَفِيحِ مُطَاغِ  
 أَدَى إِلَيْهِ الكَيْلُ صَاعًا بِصَاغِ  
 مَا نُوْمَهَا بَعْدَكَ إِلَّا الرُّوَاغِ  
 مَوَطَّلِ النَّبِيَّ رَحِيْبِ الذَّرَاغِ  
 عَقَارَ مَثْنَى أَمْهَاتِ الرِّبَاغِ  
 إِلَّا وَهْمٌ مِنْهُ رِوَاءُ شِبَاغِ  
 تَرَكَ أَبَيْتَيْكَ إِلَى غَيْرِ رَاغِ

وحدثنا بعض جلساء القحذمي<sup>(٣)</sup>، وذكر امرأة من الأعراب، فقال: كان لها

(١) مور الدارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند (معجم البلدان: ج ٥، ص ٤٣٢).

(٢) مسكين: موضع عند دير الجائلين قتل فيه مصعب سنة ٧٢ هـ على نهر دجيل (معجم البلدان: ج ٥، ص ١٢٧).

(٣) أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام القحذمي: بصري توفي سنة ٢٢٢ هـ (البيان والتهيين: ج ٢، ص ١٩٢).

أربعة بنين، وكان يُمَرُّ بها إخوة أربعة غادون لشأنهم، وكانت تأنسُ بهم لمشاكلتهم بينها في العدد والأسنان، ثم أُصيب بنوها جميعاً إما بطاعون أو ما يشبهه فاجتنبها الإخوة الأربعة إبقاءً عليها من الحزن إذا رأتهم، ثم عزموا غزماً على المرور بها مرحاً وبغياً. فلما رأتهم ذرفت عينها وتمثلت:

[الكامل]

لَنْ يُلْبِثَ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا      لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ  
فاعتلَّ أحدهم فمات، فعَبَّرَ الثلاثة لا يقربونها، ثم فعلوا فلما رأتهم تمثلت:

[السريع]

كُلُّ بَنِي أُمِّ وَإِنْ أَتَيْتِ      يَوْمًا يَصِيرُونَ إِلَى وَاحِدٍ  
فلم يلبث واحد منهم أن مات. وعبَّرَ الاثنان لا يقربانها، ثم اجتازا بها على نحو ما فعلوا من المرح والدالة، فلما رأتهما قالت:

[الوافر]

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ      لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْقُرْدَانِ  
فمات أحدهما فاجتنبها الباقي دهرًا. ثم مرَّ بها فتمثلت:

[السريع]

وَالوَاجِدُ الْقُرْدُ كَمَنْ قَدْ مَضَى      لَيْسَ بِمَشْرُوكٍ وَلَا خَالِدٍ  
فقال: أقيليني جعلني الله فداك، فإني والله غير عائد.

قال أبو العباس: وهذان بيتان قديمان لا يعرف قائلهما. ويروى أن أبا بكر الصديق رحمه الله كان ينشدهما، فبعض الناس يقول: هما له:

[مجزوء الكامل]

تَنَفَّكَ تَنَمُّعٌ مَا حَبِيبَتْ      بِهَالِكِ حَسَى تَكُونُ  
وَأَمْرُهُ قَدْ يَزْجُو الرُّجَا      ءَ مُغْتَابًا وَالْمَوْتُ دُونُ  
وقال وضاح اليماني<sup>(١)</sup>:

[المسرح]

يَا مَوْتُ مَا إِنْ تَزَالَ مُغْتَابًا      لِأَمَلٍ دُونَ مُنْتَهَى الْأَمَلِ  
لَوْ كَانَ مِنْ قَرْبٍ بِشَكَ مُنْقَلَبًا      إِذْ لَأَوْشَكْتُ رِحْلَةَ الْجَمَلِ

(١) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال من آل خولان من جُمَيْر: شاعر غزلي جميل الطلعة قتله الوليد بن عبد الملك لتغزله بأُم البنين زوجته (.. / ٩٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٩٩).



وقال مغن بن أوس المُرزني<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

أَلَمْ تَغْلَمِي عَمْرًا وَسُفِيَانًا بَعْدَهُ  
أَوْلِيكَ لَا أَتُنُّنُ كَانُوا فَوَارِسِي  
فَأَضْبَحْتُ أَرْقِي الشَّامِتِينَ زِقَاهُمْ  
لِيَزْنُو طِفْلًا أَوْ لِيُجَبِرَ ظَالِمُ  
وَصَانَعْتُ فِي أَشْيَاءَ لَوْ أَنَّهُمْ مَعِي

قال: وحدثني الرّياشي في إسناده قال: أنشد عروة بن الزبير قوله «بههم كنت أستخشي العدا وأدفع»، فقال عروة: «فهلأ قال: «فبالله، أستخشي العدا وأدفع» ولا ينكسر عليه شعره.

قال الرّياشي: وأنشد عبد الله بن عمر قول حسان بن ثابت:

[المنسرح]

يَأْبَى لِي السُّيْفُ وَاللُّسَانُ وَقَوْ  
مَ لَمْ يُضَامُوا كَلِبْدَةَ الْأَسَدِ  
فقال: هلأ قال: «يأبى لي الله». ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال محمد بن حرب الهلالي: أتى حيّان بن سلمى العامري قبر عامر بن الطّفيل ولم يكن شهده فقال: أنعم صباحاً أبا علي، والله لقد كنت سريعاً إلى المولى بوعدك، بطيئاً عنه بإيعادك، ولقد كنت أهدى من النّجم، وأجرأ من السّيل. ثمّ التفت إليهم فقال: كان ينبغي أن يصيروا قبر أبي علي ميلاً في ميل.

وقال محمد بن علي المنسوب إلى أمه الحنفيّة<sup>(٢)</sup>: أيها الناس، إنكم في هذه الدار أغراضٌ تنتضلّ فيكم المنايا، لن يستقبل أحدٌ منكم يوماً جديداً من عمره إلاّ بأخرٍ من أجله، فأية أكلة ليس معها غصص، أم أية شربة ليس معها شرق؟ فاستصلحوا ما تقدّمون عليه بما تظعنون عنه، فإنّ اليوم غنيمة، وغداً لا يدري لمن هو. أهل الدنيا أهل سفر، يحلون عقد رحالهم في غيرها. قد خلّت من قبلنا أصول نحن فروعها. فما بقاء الفرع بعد أصله؟ أين الذين كانوا أطول منا أعماراً وأبعد منا آمالاً؟ أناك يابن آدم ما لا تردّه، وذهب عنك ما لا يعود إليك. فلا تعدّد عيشاً منصرفاً عيشاً مالك منه إلاّ لذّة تردلف بك إلى حمامك، وتقرّبك

(١) ممن بن أوس المُرزني: شاعر مجيد مخضرم كف بصره في آخر حياته (٦٤/٢ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٧٣).

(٢) محمد بن علي بن أبي طالب: أمه خولة بنت جعفر الحنفيّة ينسب إليها تمييزاً عن الحسن والحسين من أبطال الإسلام الأشداء (٢١ - ٨١ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٢٧٠).

من أجلك، فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والسواد المُخْتَرَم<sup>(١)</sup>. فعليك بذات  
نفسك، ودَع ما سواها، واستغن بالله يُغنك.

ومما يُستحسن من قول مُتَمِّم بن نويرة الدالُّ على صحة عقله وتمكُّن  
الحنن من قلبه، وقَلَّة نسيانه أخاه، أنه كان لا يمرُّ بقبر، ولا يُذكر الموت بحضرته  
إلا قال: «يا مالك» ثم فاضت عبرته، ففي ذلك يقول:

[الطويل]

وقالوا أتُبكي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ      لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنِ السُّوَى وَالدُّكَايِكِ  
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْبُكَاءَ      ذَرُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ  
ومن هذه المختصرات قولُ هشام بن عقبة<sup>(٢)</sup>، أخي ذي الرُّمة، وكان له  
إخوةٌ جماعةٌ فمات أكبرُهم، وكان يُقال له: «أُوفى» ثم مات ذو الرمة، وكان يُقال  
له: «غِيلان» فقال هشام:

[الطويل]

تَسَلَّيْتُ عَنْ أُوفَى بَغِيْلَانَ بَعْدَهُ      عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ بِالْمَاءِ مَشْرَعٌ  
وَلَمْ تُثْنِي أُوفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ      وَلَكِنْ نَكَةَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ  
فاختصر هذا اختصاراً يوفِّر على كلِّ واحد منهما نصيبه من الحزن.

ويروى من غير وجهٍ أنَّ حسان بن ثابت دخل على الثابغة الذبياني فتلقتَه  
الخنساء خارجةً من عنده، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

[الكامل]

أولادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ      قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ  
يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهْرُ كَلَابُهُمْ      لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السُّوَادِ الْمُقْبِلِ  
فقال: إنك لشاعر وإن أخت بني سليم ليكأاة.

قال أبو العباس: فمما قدمناه من شعرها واستحسانه من تخلصها قولها:

[المقارب]

أَعْيَيْتِي جُوداً وَلَا تَجْمُدَا      أَلَا تَبْكِيانِ لِصُخْرِ الثُّدَى؟  
أَلَا تَبْكِيانِ الْجَرِيءِ الْجَمِيلِ      أَلَا تَبْكِيانِ الْقَتَى السُّيْدَا؟

(١) المُخْتَرَم: اخترم فلان: مات.

(٢) هشام بن عقبة العدوي: شاعر أخو ذي الرمة «غِيلان» وهو الذي رياه وبينهما مساجلات في الشعر  
(.../١٢٠ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ٨٧).

فجعلته سادَ حداثاً ووكدت ذلك وزادت فيه وأوضحته بأن قالت:

لَمَوْلَى الْعِمَادِ عَظِيمِ الرُّمَا      إِسَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرِدَا  
ذَا الْقَوْمِ مَدُّوا يَأْيَدِيهِمْ      إِلَى الْمَجْدِ مَدُّ إِلَيْهِ يَدَا  
نَنَا الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ      مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ نَمَا مُضْعِدَا  
كَكَلْفُهُ الْقَوْمِ مَا عَالَهُمْ      وَإِنْ كَانَ أَضْغَرَهُمْ مَوْلِدَا  
رَى الْمَجْدَ يَهْوِي إِلَى بَيْتِهِ      بَرَى أَفْضَلَ الزَّادِ أَنْ يُحْمَدَا  
فقرنت له المجد بالحمد.

ويقال: بل صح أنه كان من دعاء سعد بن عبادة<sup>(١)</sup> - وهو سيد الخزرج -:  
لَهُمَّ ارزُقني مُجَدًّا وَحَمْدًا فَإِنَّهُ لَا مَجْدَ إِلَّا بِمَالٍ، وَلَا حَمْدَ إِلَّا بِعَمَالٍ.

وكان سبب ميته أخيها صخر أنه شهد حرباً فأبلى فيها وتقدم، فحمل عليه  
جل من القوم فطعنه في خاصرته، فتحامل في الجراحة فجوي منها ولم يقصد  
يخرج منها كمثل اليد، وأضتته حولاً أو حولين لا يتبعث، فسمع من يسأل امرأته  
عن علته، وأين بلغت منه، فقالت امرأته قولاً يدل على البرم به، والممل  
صحبته: «لا حيٌّ فيرجى، ولا ميت فيحتسب». والتفت إلى أمه فإذا دموعها  
جري فقال:

[الطويل]

رَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا      وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مُضْجَعِي وَمَكَانِي  
مَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً      عَلَيْنِكَ، وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ  
أَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بَأْمٍ حَلِيلَةٍ      فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شِقَا وَهَوَانِ  
عَمْرِي لَقَدْ تَبَهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا      وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ  
هُمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ      وَقَدْ جِئِلَ بَيْنَ الْعَيْبِ وَالسُّزُوانِ  
فلما رأى ذلك برم تلك الخراجة من جنبه، فأشاروا بقطعها ففعل، فلما  
نظعها تيس من نفسه، ففي ذلك يقول:

[الطويل]

جَارَتْنَا إِنْ أَلْمَنُونَ قَرِيبُ      مِنَ النَّاسِ كُلِّ الْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ

(١) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي «أبو ثابت» صحابي من المدينة وأحد الأمراء الأشراف  
في الجاهلية والإسلام كان سيد الخزرج ولقب بالكامل في الجاهلية خرج إلى الشام ومات بحوران  
(.../١٤ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٨٥).

كَأَنِّي وَقَدْ أَدْنَوْنَا إِلَيْي شِفَارَهُمْ      مِّنَ الْبُرْزُلِ أَحْوَى الصَّفْحَتَيْنِ تُكَيِّبُ  
 أَجَارَتُنَا لَا تُسَالِئِي فَبِنَسِي      مُقِيمٌ لِّغَمْرِي مَا أَقَامَ عَسِيبُ  
 قال أبو عبيدة: و «عسيب»: جبل معروف، فقبيره هناك معروف المكان.

قوله «من البرزُل»: يعني: كأني بعير قرُم من الإبل قد كُوي لداؤه، فيقول:  
 أحللت ذاك المحلّ لقطع ذلك اللحم وكيّه، وجعله أحوى الصفحتين، وهما  
 الخنثيان، لتتابع الهناء عليه ضناً به و «التكيب» و «الأتكب» واحد، وهو الحامل،  
 وذلك مما يوصف به الفحل أنه يحمل نشاطاً وتكبراً.  
 وكانت الخنساء تقول الأبيات اليسيرة، فلما أصيبت بأخيها صخر جدت  
 وأجادت، وجمعت نفسها وشهرت. فمما يستحسن من شعرها قولها في قصيدة  
 أولها:

[البيسط]  
 يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِ مِثْكَ تُغْزِرُ      وَإِنِّي لِبُصْحُرِ بَدْمَعِ مِثْكَ بِمِزَارِ  
 وَقَوْلُهَا:

إِنِّي أَرَفْتُ فَيْتُ اللَّيْلِ سَاهِرَةً      كَأَنَّمَا كُجِلَتْ عَيْنِي بِغُرَارِ  
 وَالغُورِ وَالعائِرِ سِوَاءَ،      وَهُوَ الْمُسْتَأْجِذُ، أَشَدُّ الرَّمْدِ وَأَغْلَبُ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:  
 [البيسط]

بِأَعْيُنٍ لَمْ يُصْنِبْهَا عَائِرُ الرَّمْدِ  
 وَكَمَا قَالَ الرَّاعِي<sup>(١)</sup>:

[البيسط]  
 غَضًا كَمَا نَظَرَ الْمُسْتَأْجِذُ الرَّمْدِ  
 أَزْعَى الثُّجُومِ وَمَا كَلَّفَتْ رَغِيئَتَهَا      وَتَسَاوَةً أَتَعَشَّى فَضْلَ أَطْمَارِ  
 إِنِّي سَمِعْتُ فَلَمْ أَبْهَجْ بِهِ خَبْرًا      فَخَبِيرًا جَاءَ يَنْشُو جَمْعَ أَخْبَارِ  
 قَالُوا: ابْنُ أَمِّكَ أَمْسَى فِي الضَّرْبِيقِ وَقَدْ      شَدُّوا عَلَيْهِ بِأَعْوَادِ وَأَخْجَارِ  
 أَذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ      تَرَائِكَ ضَيْمٍ وَطَلَابٍ بِأَوْتَارِ

(١) عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري «أبو جندل» شاعر فحل لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل عاصر الفرزدق وجريير وقد هجاه جرير لتفضينه الفرزدق (ل/ ٩٠ هـ) (الأعلام: ج ٤، ١١٨٨).

فَذُكُنتُ تَحْمَلُ قَلْبًا غَيْرَ مُؤْتَبِرٍ مُرْكَبًا فِي نَصَابِ غَيْبِ خَوَارِ  
الخَوَارِ: الضعيف.

وحدثني رجل من بني هاشم عن سعيد بن سلم الباهلي. قال: كنت مع أمير المؤمنين هارون الرشيد في سفر، فسأل عما حمل معه من الثلج، فاستقل، ما ذكر له فاغتاظ واحتد، فتركته حتى سكن غزبه ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إني أقول كلاماً والله ما أريد به ملقاً ولا تنبيهاً على نفسي لأنني فطنت إلى ما لم يقطن إليه من سواي، وما أقوله إلا بالتصيحة المخضة. فقال: هات. فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك قسمت الدهر شطرين، شطراً للحج، وشطراً للغزو؛ والمسافر يرد على ضروب من المياه، وسفرك أكثر من حضرك، فلو أن أمير المؤمنين عود نفسه الخشونة شيئاً فمتى احتاج إليها لم تنكرها النفس لثلك العادة. قال: فأطرق ثم قال: يا سعيد، بضح قلت، ولكننا نلبس العافية ما لبسنا، فإن اضطربنا رجعنا إلى أصل غير خوار.

رجع الشعر.

بِغَلِّ السَّنَانِ كَضَوْهِ الْبَدْرِ صَوْرَتُهُ  
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مَطْوُوقَةٌ  
وَلَنْ أَسْأَلِمَ قَوْمًا كُنْتُ حَزْبَهُمْ  
أَبْلَغَ خُفَافًا وَعَدِيفًا غَيْرَ تَنْصِرَةَ  
وَالْحَرْبُ قَدْ سَعِرَتْ حَرْبًا مُذْكَرَةً  
شَدُّوا: المآزر حتى تستقيذ لكم  
وَأَبْكُوا: فمتى الحين لاقتنه منيئته  
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَامَوْهُ بِجَمْعِهِمْ  
وَالشُّكِيمَةُ: شدة النفس وصحة العزيمة. والحديدة المحترضة في اللجام.

حَتَّى تَنْزُجَتْ الْإِلَاحُ نَسْنُ رَجُلٍ  
نَحِيشٌ مِثْلُ فَرَسٍ لِيَأْتِي مُزْبِدَةً  
لَوْ مِثْلَكُمْ كَانَ نَسْنَا لَمْ يُثَلِّ أَبَدًا  
لَعَسَى الَّذِينَ يَلْبَهُمْ كَانَ مُنْزِلُهُ  
فَجَدَلِ خَرَّ كَرْهًا غَيْرَ مُخْتَارِ  
بِمَانِيَةٍ مِنْ نَجْمِ الْجَوْفِ ثَوَارِ  
حَسْبِي تَلَاقُوا أُمُورًا ذَاتَ أَسَارِ  
هَلْ تَعْرِفُونَ ذِمَامَ الضَّيْفِ وَالنَّجَارِ؟  
تُعَاتِبُ خُفَافًا بِأُتْمَةٍ وَعَدِيفًا بِأَسَارِ  
وَهُمَا مِنَ الْمَعْدُودِينَ مِنَ

الفرسان. وكان خُفاف من فرسان العرب وأدرك الإسلام فأسلم.

لَا ضَلَحَ حَتَّى تُكْرُوا الْخَيْلَ عَابِسَةً      تُغْدُو وَتُزْمِي بِمَهْرَاتٍ وَأَمْهَارٍ  
فَتَغِيلُوا عَنْكُمْ عَارًا تَجَلَّلَكُمْ      غَسَلَ الْجَوَارِي حَيْضًا عِنْدَ أَطْهَارٍ  
قال: هذا مَثَلٌ.

وقالت أيضاً تروني صخرأ:

[المقارِب]

أَلَا مَا لِبَغِيْبِكَ أَمَّ مَالَهَا      لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا  
فَأَقْسَمْتُ أَسَى عَلَى هَالِكِ      وَأَسْأَلُ نَائِحَةً مَا لَهَا  
أَبْعَدُ ابْنِ عَمْرٍو (بن آل) الشَّريْبِ      بِدَحَلَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

معنى حَلَّتْ به الأرض أثقالها: من الجَلِيَّةِ: أي زَيَّنتْ به أثقالها، تعني الموتى. قال الله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾<sup>(١)</sup> قالوا: يعني الموتى.

لَعَمْرُ أَبِيهِ لَنَنْغَمَ الْقَتَى      تُحْسُ بِهِ الْحَرْبِ أَجْدَالَهَا  
أي توقد به الحرب أجذالها. والجِذْل: أصل الشجرة. فضربته مثلاً لشدة الأثقال، وأنه صاحب ذلك.

حَدِيثُ السُّنَانِ ذَلِيْقُ اللِّسَانِ      يَجَارِي الْمَقَارِيضَ أَمْثَالَهَا  
وَحَيْلٌ تَكْدُسُ مَشْيَ الوَعْرِ      لِ نَازَلَتْ بِالسَّيْفِ أَبْطَالَهَا  
بِمُعْتَرِكِ بَيْنَهُمْ ضَيْقِي      مَجَرِّ الْمَنِيَّةِ أَذْيَالَهَا  
تُقَابِلُهَا فإِذَا أَذْبَرَتْ      بَلَلَتْ مِنَ الطُّغْيَانِ أَكْفَالَهَا

الأكفَال: واحدها كِفْلٌ وهو الرِّدْف من الرجل والمرأة.

تُهَيِّنُ التُّفُوسَ وَهُوْنُ التُّفُوسِ      غَدَاةُ الْكُرَيْبَةِ أَوْفَى لَهَا  
يروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: رُبُّ مَنِيَّةٍ سَبِيهَا طَلَبُ  
الحياة، وحياة سببها التعرُّضُ للموت.

وَزَجْرَاجَةٍ قَوْقُهَا بَيْضُهَا      عَلَيَّهَا الْمُضَاعَفُ زَفْنَا لَهَا  
تعني بقولها: «زفنا لها» أي جتنا نمشي إليها هَوْنًا.

كَكْرَفِشَةِ الْعَيْثِ ذَاتِ الصُّبَيْرِ      تُزْمِي السُّحَابَ وَتُزْمِي نَهَا<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الزلزلة: الآية ٢.

(٢) الضبير: السحاب.

الكزفة واحدة الكرافيء وهو تكائف الغيم واسوداده.

قال: وحدثنا المازني<sup>(١)</sup> بإسنادٍ آخره رُوِيه بن العجاج قال: خرجت مع أبي، نريد الوليد بن عبد الملك، فاهدي لنا جَنب من لحم عليه كرافيء الشحم ووطب من لبن، فطبخنا هذا بهذا، فما زالت دُفْرَيَاي<sup>(٢)</sup> تَتَحَاي منه حتى رجعت. وإنما شُبَّه لكثرة الشحم وركوب بعضه على بعض بكرفة الغيم.

وَدَاهِيَةَ جَرَّهَا جَارِمٌ      تُبِيْلُ الْخَوَاصِرُ أَخْبَالَهَا  
كَفَيْتَ ابْنَ عُمَرَ وَنَمَّ تَسْتَعِينُ      وَلَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَذْنَى لَهَا  
وَعَيْرَانَةَ كَأَنَّانِ التَّمِيهِ      لِي غَادَرْتَ بِالْحَلِّ أَوْصَالَهَا

قولها: «وعيرانة» تعني: ناقة تُشَبَّه بالحمار الوحشي. و«أناؤ التميل»: صخرة تكون في الحوض معروفة. و«الميل»: بقية الماء. فتقول هي صلبة كصلاية هذه الصخرة. و«الحل»: الطريق في الرمل. فتقول: غادرتها هناك لشدة السير.

إِلَى مَلِكٍ لَا إِلَى سُوقِيَةٍ      وَمُخَصَّنَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ  
وَقَافِيَةٍ مِثْلِ حَذِّ السَّنَا      نَطَقْتُ ابْنَ عُمَرَ فَسَهَّلَتْهَا  
فَإِنَّ تَكَّ مَرَّةً أَوَدَّتْ بِهِ      فَزَالَ الْكَوَاكِبُ مِنْ قَفْدِهِ  
فَمَنْتُ بِتَفْسِي كُلَّ الْهُمُومِ      لِأَخْبِيلَ تَفْسِي عَلَى آلِيَةٍ  
ومما يُؤَيَّرُ وَيُتَفَنَّى مِنْ قَوْلِهَا:

[البيسط]

قَدَى بَعْدِيْنِكَ أَمْ بِالسَّنِيْنِ عُوَازُ      أَمْ أَوْحَشْتَ أَنْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الذَّارُ  
وَيُنَشِّدُ بَعْضُهُمْ: قَدَى بَعِيْنِكَ، وَهُوَ أَقْدَمُ لِلْبَيْتِ، وَزِيَادَةُ الْأَلْفِ فِي قَوْلِهَا:  
قَدَى؟ أَبْلَغُ. وَلَا صَرَرَةٌ فِيهِ وَلَكِنَّهُ مَخْرُومٌ.

(١) بكر بن محمد بن حمد بن بقرية (أبو عثمان المازني) من أئمة النحو البصريين (٢٤٩ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٦٩).

(٢) الذفري: العظم الشاحص - قال الأذن:

تَبْكِي لِصُخْرٍ هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ تَبَكَّلَتْ  
لَا بُدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ  
يَا صُخْرُ وَرَأَدَ مَاءٌ قَدْ تَنَادَرَهُ  
وَهَذَا بَيْتٌ يُسْأَلُ عَنْهُ كَيْفَ تَنَادَرَهُ أَهْلُ الْمِيَاهِ وَلَا عَارَ فِيهِ . فَالْمَعْنَى أَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ .

مَشَى السَّبَيْتِي إِلَى هَيْجَاءٍ مُغْضَلَةٍ لَهُ سِلَاحَانٍ : أَنْيَابٌ وَأَظْفَازُ  
يُقَالُ لِكُلِّ جَرِيءٍ الصَّدْرُ : سَبَيْتِي وَسَبَيْتِي بِالتَّاءِ وَالدَّالِ ، وَالْأَغْلَبُ عَلَيْهِ  
النُّجْرُ .

عَسَلُ الدَّرَاعِيْنَ قَدْ تَخَشَى بِوَادِرُهُ  
فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوْنِ طَيْفٍ بِهِ  
تَرْتَعُ مَا غَفَلَتْ حَتَّى إِذَا اذْكُرْتَ  
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مَيْتِي حِينَ فَارَقْتَنِي  
وَإِنَّ صُخْرًا لَوَالِيْنَا وَسَيِّدْنَا  
وَإِنَّ صُخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاءُ بِهِ

الْعَلْمُ هُنَا هُنَا : الْجَيْلُ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْمَفْسُورُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلُّ وَعَزُّ : ﴿وَلَهُ  
الْجَوَارِي الْمُنشَأَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾<sup>(١)</sup> . وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

[الرجز]

إِذَا قَطَعْنَا عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ

طَلَّقَ الْبَيْدِينَ بِفِعْلِ الْخَيْرِ ذُو فَخْرٍ  
مِثْلَ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَنْفُذْ سَبِيئَتُهُ  
لِيَبْكِيكَ مُفْتِرٌّ أَقْنَى خَلْوَتُهُ  
وَرَفَقَةٌ حَارَ هَادِيَهُمْ بِمَهْلِكَةٍ  
لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْسِي بِسَاحَتِهَا

فَقَوْلُهَا : «كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ» أَحَدُ مَا قُدِّمَتْ بِهِ .

فَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمَا رَضِيَتْ أَنْ تَجْعَلِيهِ عِلْمًا حَتَّى  
جَعَلْتِ فِي رَأْسِهِ نَارًا . ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، يَرِيدُ : الْبَيَانَ وَالِدَلَالَهَ .

(١) سورة الرحمن : الآية ٢٤ .



وقال عمر في قول الحطيئة:

[الطويل]

مَتَى تَأْتِيهِ تَغَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ      تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ  
«كَذَّبَ الحطيئة. تلك نارُ موسى ﷺ». وهذا من نوادر الشعر.

وقالت أيضاً:

[الوافر]

كَأَنَّ العَيْنَ خَالَطَهَا قَنَاطُهَا      بَعُورٍ فَمَا تَقْضِي كَرَامَا  
عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ فَتَى كَصَخْرٍ      إِذَا مَا الثَّابُّ لَمْ تَرَأَمْ طَلَاهَا  
قولها «إذا ما الثاب لم ترأَمْ طلاها»: الطلا: الصغير من أولاد الوحش  
والثعم، ويقال ذلك في الآدميين، وإنما تريد زمن الصر والبرد.

خَلَفْتُ بَرَبٌ صُهَبٍ مُغْمَلَاتٍ      إِلَى البَيْتِ المُحَرَّمِ مُنْتَهَاهَا  
لَيْسَ جَزَعَتْ بَنُو عَمْرٍو عَلَيْهِ      لَقَدْ رَزَقَتْ بَنُو عَمْرٍو فَتَاهَا  
فَتَى الفِثْيَانِ مَا يُغْمَلَى مَدَاهَا      وَلَا يُكْهَدِي إِذَا بَلَّغَتْ كُدَاهَا

يقال: أكدى، إذا أقل. وأضل ذلك في البئر تحفر، فإذا بلغ منها إلى حَجَرٍ  
أَوْ كَذَّانٍ<sup>(١)</sup> استصعب على الحافر. وقيل: قد بلغت كُدَيْتَهَا - وجمعها كُدَى - فلا  
يُخْرَجُ من الثراب إلا السير، فلذلك قيل للذي يُعْطَى قليلاً: أكدى. قال الله جل  
وعز: «وَاعْطَى قَلِيلاً وَأكْدَى»<sup>(٢)</sup> فقالت: إذا بلغ الجهد من الناس لم يكن عطاؤه  
قليلاً ولا نزرأ.

لَهُ كَفٌّ يَشِيدُ بِهَا وَكَفٌّ      تَحَلَّبُ مَا يَجْفُ تُرَى نَدَاهَا  
فَمَنْ لِلضُّيْفِ إِنْ هُبْتُ شِمَالَ      مُزْعَزَعَةٌ يُجَاوِبُهَا ضَبَاهَا  
وَأَلْجَأَ بَرَزْدَهَا الأَشْوَالَ حُدْبَا      إِلَى الحُجْرَاتِ بَارِزَةٌ كُلاهَا  
يقول: لا شحم عليها.

هُنَالِكَ لَوْ نَزَلْتُ بِأَلِ صَخْرٍ      قَرَى الأَضْيَافِ شَحْمًا مِنْ دُرَاهَا  
هذا على مخاطبتين. قالت: «هُنَالِكَ لَوْ نَزَلْتُ» للذي تخاطبه ثم خبّرتَه  
فقالت: «قَرَى الأَضْيَافِ» فتأويل هذا على ضربين، أحدهما على حذف المفعول  
كأنها قالت: لو نزلت به لرأيتَه يَقْرِي الأَضْيَافِ، ويكون على أنها جعلته وغيره

(١) الكذّان: الحجارة التي ليست بصلبة.

(٢) سورة النجم: الآية ٣٤.

على مخاطبتين، تتناول من إحداهما إلى الأخرى كقول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجُزَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾<sup>(١)</sup>، وكقول عنترة:

[الكامل]

شَطَطَتْ مَرَاژَ الْعَائِثِقِينَ فَأَضْبَحَتْ      عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةُ مَخْرَمٍ  
ومثل هذا كثيرٌ جداً.

أَمْطَعِمَكُمُ وَحَامِلَكُمُ تَرْكُتُمُ      لَدَى غَبْرَاءٍ مُنْتَهِدِمْ رِجَالَهَا  
تَرَى الشَّمَطَ الْجَحَاجِجَ مِنْ سُلَيْمِ      تَبْلُ دُرَى مَدَامِيهَا نُحَاهَا  
لِيَبْنِكَ الْخَيْزُ ضَخْرًا مِنْ مَعْدُ      ذُوو أَحْلَابِهَا وَذُوو نُهَاهَا  
وَخَيْلٍ قَدْ لَفَقَتْ بِجَمْعِ خَيْلٍ      قَدَاذَتْ بَيْنَ كَبْشِيهَا رِحَامَا  
مُحَافِظَةً وَمَخِيَّةً إِذَا مَا      نَبَا بِالْقَوْمِ مِنْ جَزَعِ نَظَاهَا

وقالت:

[الوافر]

أَلَا يَا عَيْنُ فَانْتَهَمِلِي بِعُزْرٍ      وَفِيضِي غَبْرَةً مِنْ غَيْرِ نَزْرٍ  
وَلَا تُغْزِي عِزَاءً بَعْدَ صَخْرِ      فَقَدْ غَلِبَ الْعِزَاءُ وَعَيْلُ صَبْرِي  
لِمَرْزُوقَةٍ كَأَنَّ الْجَوْفَ مِثْلَهَا      بُغَيْدِ الثُّومِ يُسْفِرُ حَرَّ جَنْبِرِ  
عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ قَتَى كَصَخْرِ      لِعَانِ عَائِلٍ عَلِقَ بِوَتْرِ  
وَلِلْأَصْيَافِ إِنْ طَرَفُوا هُدُوءًا      وَلِلْكَوْلِ الْمُبْرِزِ وَكُلِّ سَفْرِ  
إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ سِنَّةٌ جَمَادٍ      أَتَى بِالذُّرِّ لَمْ يُكْسَعِ بِغَسْرِ

كان من شأنهم، إذا أجدبت السنة أو خافوا الجذب، أن تُنصَحَ الضُّرُوعُ بالماء البارد ليبقى اللبنُ فيها أذخاراً واستعداداً وبخلاً من بعضهم. فلذلك يقول الحارث بن حلزة:

[السريع]

لَا تَكْسَعِ الثُّوْلُ بِأَعْيَارِهَا      بِشُكِّ لَا تُسْذِرِي مَنْ انْتَابِحِ  
الْعُزْرُ: بقية اللبن، وغابر كل شيء. بانيه. ويقول: لَا تَبْخُلْ فَمَعِيسَ لَيْبِكَ. فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لِمَنْ يَكُونُ ذَلِكَ اللَّبْنُ، أَلَيْكَ أَمْ لَوَارِثِكَ أَمْ لَسُعِيرِ عَيْنِكَ.  
وَاضْبَحَتْ لِأَصْيَافِكَ أَلْبَانَهَا: فَإِذَا سُرَّ السُّبْحَانَ السُّوَالِحِ

(١) سورة يونس: الآية ٢١.

وكلُّ مَرْدُودٍ مَكْسُوعٍ .

لَمَنْ أَرَسَى إِلَيْهِ غَيْرَ وَغَيْرِ  
وَأَشْجَعَ مِنْ أَبِي شَيْبَلٍ هَزْرِبِ  
عَدَا لَمْ تُنْهَ عَدُوَّتُهُ بَزْجَرِ  
سَمِعَنْ زَنْبِرَهُ فِي كُلِّ فَجْرِ  
لِعُسْرِ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ لِيُسْرِ  
تَلَقَّاهُمْ بِوَجْهِ غَيْرِ بَشْرِ  
وَلَا يَكْتَنُنُ دُونَهُمْ بِسِثْرِ  
عَلَيَّ هُمُومُهُ تَعْدُو وَتَسْرِي

سَالِكٌ كَانَ غَيْثٌ حَيًّا وَعِزًّا  
أَخِيًّا مِنْ مُخْبَأٍ كَعَابِ  
رَيْبِ الشُّذْقِ رَثْبَالٍ إِذَا مَا  
سَدِينِ الْخَابِرَاتِ لَهْ إِذَا مَا  
يَاثُ إِذْ تَأَوَّيْتَهُ غَرِيبِ  
أَمَا الْوَفْدُ حَلَّ إِلَى ذَرَاهِ  
فَرُجٌ بِاللُّدَى الْأَبْوَابِ عَنْهُ  
فَنَنِي الْحَادِثَاتِ بِهِ فَأَصْحَتْ  
وَقَالَتْ أَيْضًا:

[البسيط]

إِذْ رَابَ دَهْرٌ وَكَانَ الدَّهْرُ زَيْبَا  
وَابْكِي أَخَاكَ إِذَا جَاوَزْتَ أَجْنَابَا  
فَقَدْنُ لِمَا تَوَى سَبِيًّا وَإِنْهَابَا  
مُجَلِّبِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جَلْبَابَا  
فِيَسْلَبُوا دُونَ صَفِّ الْعَوْبِ أَشْلَابَا  
مَا زَى الْغَرِيبِ إِذَا مَا جَاءَ مُنْتَابَا  
نَهْدَ الثَّلِيلِ لِزُرْقِي السُّنْبِ زَكَابَا  
وَالصُّدْقِ حَوَزْتُهُ إِنْ قَرْنُهُ هَابَا  
إِنْ خَافَ مُغْضَلَةَ سَتَى لَهَا بَابَا  
حَمَالُ الْوَيْبَةِ لِلنَّوْتِ طَلَابَا  
كَانَ الْوَعَى لَمْ يَكُنْ لِلْمَوْتِ هَيَابَا

أَعَيْنُ مَالِكٍ لَا تُذَرِّينَ تَنْكَابَا  
بَابِكِي أَخَاكَ لِأَيْتَامِ وَأَزْمَلَةَ  
بِكِي أَخَاكَ لِخَيْلِ كَالْقَطَا قُطِفِ  
غَدُو بِهِ سَابِغٌ نَهْدٌ مَرَاكِلُهُ  
سَى يُصْبِحُ قَوْمًا فِي دِيَارِهِمْ  
وَ الْفَتَى الْكَامِلُ الْحَامِي حَقِيقَتُهُ  
هَيْدِي الرَّعِيلِ إِذَا جَارَ السَّبِيلُ بِهِمْ  
مَجْدٌ خَلَّتُهُ وَالْجُودُ عِلَّتُهُ  
نَابٌ مُفْطَعَةٌ، حَمَالٌ مُضْلِعَةٌ  
هَذَا أُنْدِيَّةٌ، هَبَاطٌ أُوْدِيَّةٌ  
مُ الْعُدَاةِ وَفُكَّكَ الْعُنَاةِ إِذَا

قال أبو العباس: «والجود علته» أي أن الناس إذا سنلوا اعتلوا في الجود لعلل، فجعلته هو علته الجود، كما قال الله جل وعز: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ نَرَوْا﴾<sup>(١)</sup> معناه: الوعد النار.

وقالت أيضاً ترثي أختها معاوية بن عمرو:

[الوافر]

( سورة الحج: الآية ٧٢ .

هريقي من ذمرك واشتفريقي  
 وتُؤولي إن خير بني سليم  
 ألا هل تزجعت لنا الليالي  
 وإذ فينا معاوية بن عمرو  
 فبكيه ففقد ألى حميداً  
 فلا والله لا تنلاك نفسي  
 ولكني رأيت الصبر خيراً

وضبراً إن أطقب ولن تطيقي  
 وفارسهم بصخراء العقيق  
 وأيام لنا يلبوى الشقيق  
 على أذماء كالجمال الفينيق  
 أصيل الرأي مخمودة الطديق  
 لفاجشة أتيت ولا عقوق  
 من الثعلبين والزاس الخليق

وكانوا في الجاهلية إذا بالغوا في الجزع حلق النساء رؤوسهن، ولطمن خدودهن بالثعال.

وقال عبد مناف بن زبيح الهذلي<sup>(١)</sup> يذكر أخته:

[البيط]

إذا تأوبت نؤخ قامت معة  
 ضرباً أليماً بسنت يلعج الجلدا  
 ألا يا لهف نفسي بغد عيش  
 تؤلى بغده عيش أبيق  
 وإذا يشحاكم الحكماء فينا  
 إلى أبياتنا وذووا الحقوق  
 وإذا فينا قوارس كل هنيج  
 إذا فزعوا وفشيان الخروق

الخروق جمع خرق، وهو المتسع من الأرض، وذلك قول رؤبة ابن العجاج:

[الرجز]

وقاتم الأعماق حاوي المخترق

أي المتسع. وقال بعض المفسرين في قول الله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ﴾<sup>(٢)</sup> قال: تبلغ قُطْرُهَا. والنقول الفاشي إنسا هو تنفها بأجمعها إلى حيث بلغت.

إذا ما الخرب ضلصل ناجذها  
 وفاجأها الكماء ندى المضي  
 وكان من خير مقتل معاوية بن عمرو، وكان أبا خنساء لأبيها وأمها، وكان صخرأ أباها لأبيها وكانت بصخر أمس لفضله على معاوية، ولم يكن معاوي.

(١) عبد - بن زبيح الجربي: شاعر جاهلي نسبته إلى بطن من هذيل اسمه «جربب» (... / ... / الأعلام: ج ٤، ص ١٦٦).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٧.

خلفاً بل كان لاحقاً في السؤدد بأخيه، أو دُوَيْتَهُ شيئاً. قال أبو عبيدة معمر بن مثنى: حدثني أبو بلال وربما قال: أبو للال سَهْمُ بن أبي بن العباس بن مرداس ال: غزا معاوية بن عمرو بن الشريد، أخو خنساء، مِرَّةً وَفِرَازَةَ، ومعه هاف بن نُدْبَةَ<sup>(١)</sup> فاعتوزه هاشم ودُرَيْدُ المَرِّيَّانِ، ابنا حرملة، فاستطرد له أحدهما وقف، وشد عليه الآخر فقتله. فلما تناذوا: قتل معاوية! قال خفاف: قتلني الله، رمت حتى أثارَ به فشدُّ على مالك بن جمار، سيد بني شَمَخِ بن فِرَازَةَ فقتله نال:

[الطويل]

نُ تَكْ حَيْلِي قَدْ أَصِيبَ صَمِيمُهَا      فَعَمَدًا عَلَى عَيْنِي تَيَمَّنْتُ مَالِكَا  
نَفْتُ لَهُ غَلَوَى وَقَدْ خَامَ صُخْبَتِي      لِأَبْنِي مَجْدًا أَوْ لِأَثَارِ هَالِكَا

علوى: اسم فرسه

سَوْ لَهُ وَالسُّرْمُحُ بِأَطْرُ مَشْنُهُ      تَأْمَلُ خُفَافًا إِنْسِي أَنَا ذَالِكَا  
فلما بلغ صخرًا قتل أخيه، أتى مِرَّةً في الشهر الحرام فوقف على ابني زملة، فإذا أحدهما به طعنة في عضده، فقال: أَيْكَمَا قَتَلَ مَعَاوِيَةَ؟ فسكتا، فقال صحيحٌ للجريح: مالك لا تجيبه؟ فقال: وقفت له فطعنتي هذه الطعنة، وشدَّ له أخي فقتله، فأثنا قتلت فقد أدركت بئارك، أما إننا لم نسلب أخاك. قال: فما لث فرسه السماء؟ قال: ها هي تيك، رُدُّوها عليه، فردوه. فلما أتى صخرُ به قالوا: اهْجُهم. قال: ما بيننا أجلٌ من القَدَعِ، لو لم أكفَّف عن هجانهم إلا نبةً بنفسي عن الخنا لكففت وقال:

[الطويل]

مَادِلَّةٌ هُبْتُ بَلِيلِ تَلُومِنِي      أَلَا لَا تَلُومِنِي كَفَى اللُّؤْمُ مَا بِيَا  
قول: ألا تهجو فوارس هاشم      ومالي إذ أهجوهم ثم ماليا  
و الشتم أتى قد أصابوا كريمةتي      وأن ليس إهداء الخنا من شماليبا  
دُكِرَ الإخْوَانُ زَفَرْتُ عَبْرَةَ      وَحَيِّتُ زَمَسًا عِنْدَ لَيْتَةِ ثَاوِيَا  
أما امرؤ أهدى لميت تحية      فَحَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ عَنِّي مُعَاوِيَا  
نورٌ وجددي أنسي لم أقل له      كَذَّبْتُ، وَلَمْ أَبْخَلْ عَلَيْهِ بِمَالِيَا

( خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي: من مضر «أبو خراشة» شاعر فارسي أسود «أخذ السواد من أمه ندبة» وعاش زمنًا في الجاهلية أسلم وشهد فتح مكة وبقي إلى أيام عمر (٢٠٠/... ٢٠٠) (ها) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٠٩).

ثم زاد عليها بيتاً بعدما أوقع بهم فقال:

وذي إخوة قُطعتْ أَرْحَامُ بَيْنِهِمْ      كَمَا تَرَكُونِي وَاجِداً لَا أَخَا لِيَا  
ثم غزاهم في العام المقبل فلما دنا وَعلا السَّماء قال: إني أخاف إذا طَلَعَتْ  
أن يعرفوا طلعة السَّماء، فحُمِّمَ غَرَّتْهَا، فلما أشرف على أداني القوم قالت امرأة  
لابنتها: هذه، والله السَّماء. فنظر إليه فقال: السَّماء غراء، وهذه بهيِّم، فلم  
يشعروا إلا والخييل دوائس، وقتل صخر: ريداً وأصابوا في مرّة، فقال:

[الكامل]

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ نُنَاءً وَمَوْحِداً      وَتَرَكْتُ مُرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الْمُذْبِرِ  
وَلَقَدْ دَقَعْتُ إِلَى دُرَيْدِ طَفْنَةَ      نَجْلَاءَ تُزْغِلُ مِثْلَ غَطِّ الْمُنْحَرِ  
قوله: «تُزْغِلُ» أي تفيض بسجّال لدم. قال ابن أحمر<sup>(١)</sup>: يعني القطاة إذا  
مَجَّت الماء في حوصلة فرخها:

[السريع]

فَأَزَعَلْتُ فِي جِيهِ زُغْلَةً      لَمْ تُخْطِئِ الْجِيْدَ وَلَمْ تُشْفِزْ  
والإيزاغ مثل الإزغال<sup>(٢)</sup>.

وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج غارياً، فلما كان في بلاد جُسَم بن بَكْر بن  
هوازن، نزل فأخذ صَفْتَه - ويقال صَفْنَه<sup>(٣)</sup> - وخلا لحاجته بين الشجر ورأى غفلته  
قيس بن الأسوار الجشمي فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية، لا وَالْثُ إِنْ وَال<sup>(٤)</sup>.  
فلما قعد لحاجته تَسْتَر له بين الشجر «تى إذا خلفه أرسل عليه مِغْبَلَة<sup>(٥)</sup> فَفَلَقَ  
فُحْقَحَهُ، وهو العُضْعُص الذي عليه عَجَبُ الدُّنْبِ، فقالت الخنساء:

[الوافر]

فِدَى لِفَارِسِي الْجُشْمِي نَفْسِي      وَأَقْدِيهِ بَمَنْ لِي مِنْ حَمِيمِ  
فِذَاكَ الْحَيَّ حَيَّ بَنِي سُلَيْمِ      بظاعينهم وبالأنس المُقِيمِ

(١) أبو الخطاب عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر الباهلي: شاعر مخضرم عاش نحو ٩٠ عاماً غزى  
مغازي في الروم وأصبحت إحدى عينيه. مدح أكثر الخلفاء وصولاً إلى بني أمية حيث هجا يزيد بن  
معاوية وفر منه عندما طلبه كانت سكناه في الجزيرة (.../٦٥ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٧٢).

(٢) الإزغال: إخراج البول أو الدم دفعة واحدة.

(٣) الضفن والضفنة: شيء كالركوة يتوضأ فيه.

(٤) وال: نجا.

(٥) مِغْبَلَة: نصل طويل عريض.

مَا مِنْ هَاشِمٍ أَفْرَزَتْ عَيْنِي وَكَانَتْ لَا تَنَامُ وَلَا تُبِيحُ  
وَكَانَ هَاشِمٌ مِنْ أَشَدِّ الْعَرَبِ، وَلَهُ يُقَالُ:

[مشطور الرجز]

خِيَا أَبَاهُ هَاشِمٌ بِنَ حَزْمَلَةَ يَوْمَ الْمَلُوكِ حَوْلَهُ مُعْزِنَةَ  
يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

فَقَالَتْ الْخُنْسَاءُ تَرِيَّةً وَأَخَاهَا صَخْرًا:

[الوافر]

كَثَّ عَيْنِي وَعَاوَدَتْ الشُّهُودَا وَبَثَّ اللَّيْلَ جَانِحَةً عَمِيدَا  
بِذِكْرِي مُعْشَرٌ وَلَوْا وَخَلُّوا عَلَيْنَا مِنْ خِلَافَتِهِمْ فُقُودَا  
كُنْ مِنْ فَارِسٍ لَكَ أُمَّ عَمْرُو يَحْوِطُ بِسِنَانِهِ الْأَسْسَ الْحَرِيدَا  
الحريد: البعيد.

صَخْرٌ أَوْ مُعَاوِيَةَ بِنَ عَمْرُو إِذَا كَانَتْ وَجْوهَ الْقَوْمِ سُودَا  
رَدُّ الْخَيْلِ دَائِمِيَّةً كَلَاهَا جَدِيرٌ يَوْمَ هَمِجَا أَنْ يَصِيدَا  
كُتِبَ الْبَيْتُ الْعِشَارَ لِمَنْ أَتَاهُمْ إِذَا لَمْ تُضْمِمْتِ الْأُمُّ السُّوَيْدَا  
تَابَعَ بَيْتُهُمْ وَزَدَ فَاصْحَوْا مَعَ الْهَلَاكِ قَدْ لَحِقُوا لَمُودَا  
وقالت أيضاً ترثي صخرًا:

[الطويل]

نَهْفِي عَلَى صَخْرٍ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ إِذَا الْخَيْلُ مِنْ طُولِ الْقِيَادِ أَفْشَعَرَتْ  
الْخَيْلُ شُكَّتْ فِي السَّرِيحِ وَطَابَقَتْ طَبَاقِ الْكِلَابِ فِي الْهَرَاثِ وَصُرَّتْ  
يقال: شك الفرس والبعير وغير ذلك من الظهر إذا ظلمت ظلماً خفيفاً كما  
ن ذو الرثمة<sup>(١)</sup>:

[البيط]

كَأَنَّهُ مُسْتَبَانُ الشُّكِّ أَوْ جَنِيبٌ<sup>(٢)</sup> .....

وإنما هذا من الخيلاء في هذا الموضع. و «طابقت» أي وقعت أرجلها  
كان أيديها وصرت آذانها.

(١) غيلان بن عقبة «أبو الحارث» شاعر فحل أكثر شعره في التشبيب كان دميماً يضرب لونه إلى سواد  
شديد القصر يسكن البادية توفي بأصبهان (٧٧ - ١١٧ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ١٢٤).

(٢) البيت من البحر السيط و صدر البيت: «وثب المنجح من عنات مغللة».

وَحَيْلٍ تَنَادَى لَأَهْوَادَةَ بَيْئِهَا  
 كَأَنَّ مَدِيلاً أُسْوِدَ تَبَالِيَةً  
 شَدَّدَتْ عِصَابَ الْحَرْبِ إِذْ هِيَ مَانِعٌ  
 وَكَانَ أَبُو حَسَّانَ ضَخْرٌ يَصُدُّهَا  
 وَكَانَتْ إِذَا مَا حَالِبٌ يَسْتَدِرُّهَا  
 اقمطرت : معناه اشتدت .

وقالت أيضاً ترضيه :

مَرَزَزَتْ بِهَا دُونَ السُّوَامِ وَمَرَزَتْ  
 يَكُونُ لَهَا حَيْثُ اسْتَدَارَتْ وَكَرَّتْ  
 فَأَلَقَتْ بِرِجْلَيْهَا مَرِيئاً وَذَرَّتْ  
 وَيُرْغِئُهَا بِالرُّمُوحِ حَتَّى أَقْرَبَتْ  
 تَقَعُّهُ بِإِيْزَاقٍ ذَمًّا وَأَقْمَطَرَتْ

[الطويل]

أَمِنْ حَدَثِ الْأَيَّامِ عَيْنُكَ تَهْجُلُ  
 أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ لَأَتَجَفَّ دُمُوعُهَا  
 تُبَكِّي عَلَى ضَخْرِ وَفِي الذَّهْرِ مَذْهَلُ  
 إِذَا قِيلَ تَفْنَى تَسْتَهْلُ فَتَحْفِلُ  
 لَهُ سُورَةٌ فِي قَوْمِهِ مَا تَحْوُلُ  
 عَلَى مَا جِدَّ ضَخْمِ الدِّيْبَعَةِ سَيِّدِ  
 قال : السُّورَةُ هَا هُنَا : الدَّرَجَةُ مِنَ الْمَلِكِ وَالْقُدْرَةُ الْعَالِيَةُ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ  
 النَّابِغَةِ :

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّئِمَةَ أَعْطَاكَ سُورَةً  
 وَيَقُولُ الرَّجُلُ : سُرْتُ ، فَمَعْنَاهَا : ارْتَفَعَتْ وَعَلَوْتُ . قَالَ الْعَجَّاجُ :

[الرجز]

يَا رُبُّ ذِي سُرَادِقٍ مَخْجُورٍ  
 سُرْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَعَالِي السُّورِ  
 وَقَالَ الْأَخْطَلُ يَصِفُ خَمْرًا خَرَجَتْ ، حِينَ فُتِحَ مَبْرَأُهَا :

[البيسط]

لَمَّا أَتَوْهَا بِمِضْبَاحٍ وَمِمْزَلِهِمْ  
 فَمَا بَلَّغَتْ كَفَّ امْرِئٍ مُتَنَاوِلِ  
 وَمَا بَلَّغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً  
 وَمَا الْغَيْثُ فِي جَعْدِ الثَّرَى ذَمُّ الرُّبِيِّ  
 بِأَجْزَلِ سَيْبٍ مِنْ تَدَاكٍ وَنَعْمَةٍ  
 وَجَارِكُ مَحْفُوظٍ مَنِيْعٍ بِسُجُورَةٍ  
 مِنَ الْقَوْمِ مَغْشَى الرَّوَابِي<sup>(١)</sup> كَأَنَّهُ

سازت إليه سُورُورُ الْأَبْجَلِ الضَّارِي  
 مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا حَيْثُ مَا بَلَّتْ أَطْوَلُ  
 وَإِنْ كُنَّزَتْ إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ  
 تَبَعَتْ فِيهِ الْوَابِلُ الْمُتَهَلِّلُ  
 نَعْمٌ بِهَا بَلَّ سَيْبٌ كَفَّكَ أَجْزَلُ  
 مِنَ الذَّلِّ لَا يُؤَدِّي وَلَا يَسْتَذَلُّ  
 إِذَا خَافَ ضَبْحًا خَادِرٌ مُتَبَسِّلُ

(١) الرواق : مقدم البيت .



رَتَبْتُ<sup>(١)</sup> أَطْرَافَ البَنَانِ ضَبَارِمَ  
بِرَّ هَرِيثِ الشَّدَقِ<sup>(٢)</sup> رَبِيبًا غَابِيَةً  
لَهُ فِي عَرَبِينَ الغَابِ عَرَسٌ وَأَشْبُلُ  
مَخُوفِ اللِّقَاءِ كَالسُّمِّ العَيْنِ أَتَجَلُّ  
وَالجُودُ مَعْرُوفٌ لَهُ الجُودُ وَالثَّدَى  
خَلِيْفَانِ مَا قَامَتْ بَعَارٌ وَيَذْبُلُ<sup>(٣)</sup>

### باب

قال أبو العباس: ونذكر وصايا يؤثر بعضها عن أهل الدين وبعضها عن أهل داب والطبائع المحموده. وقد تجتز إلى أنفسها غير ذلك من سائر الوصايا. ثم رد إن شاء الله تعالى إلى التعازي بالمنثور والمرصوف. وبالله الحول والقوة، ثوبه بشيء من الاعتبار.

### وصية أبي بكر الصديق رحمه الله

قال فطر بن خليفة<sup>(٤)</sup> عن عبد الرحمن بن سابط قال: أوصى أبو بكر صديق عمر بن الخطاب رحمه الله حين استخلفه فقال: «إني مستخلفك، رصيك بتقوى الله يا عمر، إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا له بالليل. واعلم أنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة. وأنه إنما تقلت موازين ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحز. ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن ون ثقياً. وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في نيا. ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباهل أن يكون خفيفاً.

إن الله جل ذكره ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا رتبهم فقل إنى لأخاف ألا أكون من هؤلاء. وذكر أهل النار بسوء أعمالهم، فإذا رتبهم فقل إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء. وذكر آية الرخصة مع آية العذاب ليكون ببد راعياً راهباً لا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة. فإن نطقت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إلي من الموت ولست بمعجزه».

### وصية عمر بن الخطاب رحمه الله

قال فطر بن خليفة وغيره: دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته الله بن عمر فقال:

(١) شرتبت: ضخم وضبارم: ضخم الرقية.

(٢) هريت الشدق: واسع الشدق. والرتيال: الأسد. والأنجل: واسع شق العين.

(٣) تغار ويذبل: جيلان الأول في بلاد قيس لا نبات فيه ولا ماء (معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٣).

(٤) أبو بكر الحنات فطر بن خليفة المخزومي: مولى مخزوم رمي بالشيعة توفي حوالي ١٥ هـ (البيان والتبيين: ج ٢، ص ٤٥).

«أي بُنَيَّ: إذا قام الخليفةُ بعدي فأتبه فقل إنَّ عُمَرَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ويوصيكُ بِتَقْوَى اللَّهِ لا شريكَ له، ويوصيكُ بالمهاجرين الأولين خيراً: أن تعرفَ لهم سابقَتَهُمْ. ويوصيكُ بالأنصار خيراً: أن تقبلَ من مُحْسِنِهِمْ وتنجاورَ عن مُسِيئِهِمْ. ويوصيكُ بأهلِ الأَنْصَارِ خيراً، فإنَّهم غيظُ العَدُوِّ وَجِبَابُ الْفِيءِ، لا تحمِلُ فيئَهُمْ إلا عن فضلٍ منهم، ويوصيكُ بأهلِ البادية خيراً، فإنهم أصلُ العرب ومادَّةُ الإسلام: أن تأخذَ من حواشي أموالهم فنزُدَ على فقرائهم. ويوصيكُ بأهلِ الذِّمَّةِ خيراً: أن تقابلَ مِنْ ورائِهِمْ، ولا يُكَلِّفُوا نِزْقَ طاقَتِهِمْ».

### وصية علي بن أبي طالب رحمه الله

قال لوطُ بنُ يحيى<sup>(١)</sup>: حدَّثني عبد الرحمن بن جُنْدَبٍ عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب أسألُ منه حين ضربته ابن مُلَجِّمَ<sup>(٢)</sup> لعنه الله. فقامت ولم أجلس لمكان ابنته له دخلت عليه وهي مُسْتَرَّةٌ، فدعا الحسن والحسين رحمهما الله فقال: «إني أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإنَّ بَغْتِكُما، ولا تبكيا على شيءٍ منها زويَ عنكما. قولا الحقِّ، وازحما البيتم، وأعيانا الضالِّع، واصنعا للأخرة، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً، ولا تأخذكما في الله لومةً لائم».

ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال له: «فهمت ما أوصيتُ به أخويك؟» قال: «نعم». قال: «أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، وتزيين أمرهما، ولا تقطعُ امرأً دونهما» ثم قال: «وأوصيكما به فإنه شقيقكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أنَّ أباه كان يُحِبُّهُ فأجِبا».

### وصية معاوية بن أبي سفيان رحمه الله

قال عيسى بن يزيد بن بكر بن داب<sup>(٣)</sup>: لما نُقِلَ معاوية، بعثَ إلى يزيد

(١) لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي السامري «أبو مخنف» راوية عالم بالسير والأخبار له تصانيف كثيرة في تاريخ عصره (١٥٧/هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٤٥).

(٢) عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدولي الحميري: فاتك تائر من أشداء الفرسان ومن أهل العبادة والفقهاء شهد مع علي صفين ثم خرج عليه وضربه غيلة فقتله الحسن (٤٠/هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٣٣٩).

(٣) عيسى بن يزيد بن بكر بن داب اللبني «أبو الوليد»: خطيب وشاعر وراوية من المدينة أبوه عالم بالأخبار والأشعار (١٧١/هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ١١١).

هو في ضياعه، فأتاه غلام له يقال له «جعلان»، فأخبره بثقل أبيه، فأقبل وقد كان  
 في ذلك شعراً:

[البيضا]

فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قِزْطَابِهِ جِزْعَا  
 قَالَ: الْخَلِيفَةُ أَمْسَى مُثَبَّتًا وَجَعَا  
 كَأَنَّ أَغْبَرَ مِنْ أَزْكَانِهَا انْصَدَعَا  
 نَعَشَى الْفَجَاجَ بِهَا لَا نَأْتِيَنِي سَرْعَا  
 مَا مَاتَ مِنْهُنَّ بِالْبَيْتَادِ أَوْ ظَلَعَا  
 هَدِيًّا، وَخَيْرَهُمْ فِعْلًا وَمُضْطَنَعَا  
 تُوشِكُ مَقَادِيرُ تِلْكَ النَّفْسِ أَنْ تُفْعَا  
 لِصَوْتِ رَمْلَةٍ رِبَعِ الْقَلْبِ فَانْقَلَعَا

نَاءَ الْبَرِيدُ بِقِزْطَابِ يُحْبُ بِهِ  
 لَنَا: لَكَ الْوَيْلُ مَاذَا فِي صَجِيفَتِكُمْ  
 حَادَتْ الْأَرْضُ أَوْ كَادَتْ تَمِيدُ بِنَا  
 مَتَّ بَلْنَا إِلَى عَيْسٍ مُزْمَمَةٍ  
 سَنَا نِبَالِي إِذَا بَلَّغْنَا أَزْخَلْنَا  
 نَشَى دَفَعْنَا لِرَأْسِ النَّاسِ كُلِّهِمْ  
 مَنْ لَمْ تَزَلْ نَفْسُهُ تُوفِي عَلَى شَرَفِ  
 مَا انْتَهَيْنَا وَبَابُ الدَّارِ مُنْصَفِقُ

قال: فلما دخل على معاوية خلاه وأخرج عنه أهل بيته وقال: «يا بني قد  
 ناء أمر الله، وهذا أوان هلاكه، ما أنت صانع بهذه الأمة بعدي؟ فمن أجلك  
 رث الدنيا على الآخرة، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بني أبيك». قال يزيد:  
 أخذهم بكتاب الله وسنة رسوله وأقتلهم عليه». قال: «أو لا تسير بسيرة أبي بكر  
 ذي قاتل أهل الرعدة ومضى الأمة عنه راضون؟». قال: «لا، إلا بكتاب الله  
 سنة نبيه، أخذهم به وأقتلهم عليه». قال: «أو لا تسير بسيرة عمر الذي مضى  
 لأمصار وجند الأجناد، وفرض الأغطية، وجبى القبيء وقاتل العدو، ومضى  
 الأمة عنه راضون؟». قال: «لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، أخذهم  
 به وأقتلهم عليه». قال: «أو لا تسير بسيرة عمك عثمان بن عفان الذي أكل في  
 نيته، وورث في مماته، واحتمل الوزر على ظهره؟». قال: «لا، إلا بكتاب الله  
 سنة نبيه، أخذهم به وأقتلهم عليه». قال: «يا يزيد، انقطع منك الرجاء وأظنك  
 ستخالف هؤلاء جميعاً فتقتل خيار فوك وتغزو حرم ربك بأشابات الناس  
 تطعمهم لحومهم بغير الحق فتذركم ميتة فجاءة، فلا دنيا أصبت، ولا آخرة  
 بركت. يا يزيد أما إذا لم تُصب الرشدة فإني قد وطأت لك الأمور، وذلت لك  
 مل العز، وأخضعت لك رقاب العرب، وكفيتك الرحلة والترحال، وجمعت لك  
 ما لم يجمعه واحد، وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفر:  
 حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. فأما عبد الله بن عمر  
 رجل قد قدته العبادة وتخلى من الدنيا وشغل نفسه بالقرآن. وما أظنه يُقاتل  
 لميها إلا أن تأتيه عفواً. وأما الذي يجثم جثوم الأسد ويروغ زوغان الثعلب، فإن

أمكنته الفرصة وثب فابن الزبير، فإن هر فعل فاستمكنت منه فقطعه إرباً إزباً إلا أن يلتمس منك صلحاً. فإن فعل فاقبل منه واحقن دماء قومه ثقب قلوبهم إليك. وأما الحسين بن علي فإن له رجماً وحقاً وولادة من رسول الله ﷺ ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يُخرجوه عليك، فإن قذرت عليه فاصفح عنه. فإني لو كنت صاحبه صفحت وعفوت عنه. فم عني». وصلى عليه عمرو بن العاص.

### وصية أبي عبيدة بن الجراح<sup>(١)</sup>

تحدث لوط بن يحيى أبو مخنف، قال: لما طعن أبو عبيدة بن الجراح بالأزد - وبها قبره - دعا من حضره من المسلمين فقال: «إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا وحجوا واعتبروا، وتواصلوا. وانصحو لأمرائكم ولا تغشوهم، ولا تلهمكم الدنيا، فإن امرأة لو عمر ألف حوّل ما كان له بدّ من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون. إن الله كتب الموت على بني آدم، فهم ميتون، وأكبنهم أطروغهم لربه، وأعملهم ليوم يبعاده. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. يا معاذ بن جبل<sup>(٢)</sup>، صل بالناس».

ومات رحمه الله، فقام معاذ بن جبل إلى الناس فقال:

«يا أيها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبةً نصوحاً، فإن عبداً لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يفر له. من كان عليه دين فليقبضه، فإن العبد مُرتهن بذنبه، ومن أصبح منكم مهاجراً أخاه فليلقه فليصالحه، ولا يتبغى أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث، والذنب في ذلك عظيم. إنكم، أيها المسلمون، قد فجعتم برجل ما أزعم أني رأيت عبداً أبرّ صدرأ، ولا أبعد من الغائلة وأشدّ حُباً للعافية، ولا أتصح للعامة منه. فترحموا عليه رحمه الله، ثم احضروا للصلاة عليه».

(١) أبو عبيدة غامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي: أمير قائد فتح الديار الشامية صحابي شهد المشاهد كلها توفي بطاعون عموس ودفن في غور بيسان وانقرض عقبه (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٥٢).

(٢) أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل وأحد الستة الذي جمعوا القرآن شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعثه بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً إلى اليمن عاد إلى المدينة بعد وفاة النبي واستخلفه أبو عبيدة عند إصابته بطاعون عمواس وومات في ذلك العام (٢٠ ق هـ - ١٨ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٥٨).

قال: ولما اختُضر مُعادُ بن جَبَل قال لوط بن يحيى: حدثنا الصَّعب بن مير عن شهر بن خُوْشب قال: أتى آتٍ معادُ بن جَبَل عند موته فقال: «يا معادُ، صني بما يُنْفَعني قبل أنْ تفارقني، فلعلني أحتاج إلى سؤال الناس بعدك، فلا ندُ فيهم مثلك». قال معادُ: «بلى، صلحاء الناس بحمد الله كثير، ولن يَضِيعَ الله لى هذا الدين. حُذْ عني ما أمرك به: كُنْ من الصائمين بالنهار، والمستغفرين لأسحار، والذاكرين الله على كل حال، ولا تشرب الخمرَ، ولا تَعَفَّقْ والدك، لا تأكل مالَ اليتيم، ولا تَفِرَّ من الزحف، ولا تأكل الرُّبَا، ولا تَدَعِ الصلاة مكتوبة، وَصِلْ رَحِمَكَ اللهُ، وكن بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً. وأنا لك بالجنة عيم». ثم مات رحمه الله. فضلى عليه عمرو بن العاص.

### وصية عبد الملك بن مروان رحمه الله

وأوصى عبد الملك بن مروان حين حضرته الوفاة فقال لبيته: «أوصيكم قوى الله، فإنها عِصْمَةٌ باقية وَجَنَّةٌ وافية. والتقوى خيرُ زاد، وأفضل في المعاد، أخصنْ كهف، وأزِينْ حلية. ليعطف الكبيرُ منكم على الصغير ويعرف الصغيرُ نكم حقَّ الكبير مع سلامة الصدور والأخذُ بجميل الأمور. فإنكم إذا فعلتم ذلك تتم للعزْ خُلُقَاء، وهابتكم الأعداء. إياكم والشباغي والتحاسدُ فإنَّ بهما هلك ملوكُ الماضون، ودُوُو العز المتكبرون. انظروا يا بُنَيَّ، مسلمةُ بن عبد الملك اصدروا عن رأيهِ، فإنه نابُكم الذي تفترون عنه، ومجنُّكم الذي تستجئون به. أكرموا الحجاج، فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكفاكم فُخْم تلك القناطر. كونوا لاداً أبراراً، وفي الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً، واخْلُولُوا في مرارة، ولينوا بي شِدَّةً». ثم رفع رأسه إلى الوليد فقال: «لا أَلْفَيْتُك يا وليدُ، إذا وضعتني في نفرتي تُعَصِّرُ عينيك كما تفعل الأمة، بل شَمُرْ وانترز، وألبسْ جلد نمر، وادعُ ناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا. أوصيك بأخيك عبد نه بن عبد الملك وبعمر بن عبد العزيز خيراً. لا تغزلهما ولا تستبدل بهما. أوصيك بابن عمنا هذا خيراً - يعني علي بن عبد الله بن العباس. فأما الحجاج لست تستغني عنه».

ثم أرسل إلى خالد وعبد الله، ابني يزيد بن معاوية. فلما جلسا قال: «ما نولان: أأقبلكما بيعة الوليد؟» قالوا: «معاذ الله يا أمير المؤمنين». قال: لو قلتما ير ذلك لقتلتكما على حالي هذه. قوما. فقاما فخرجا. ثم دعا بقداح بَعْدَة ولده أمر بها فجمعت ثم دفعها إلى الوليد فقال: اكسرهما. فلم يقدر على ذلك. ثم

دُفِعَتْ إِلَى آخِرٍ، ثُمَّ آخِرٌ، حَتَّى اسْتَقْرَاهُمْ جَمِيعاً، فَأَعْيَاهُمْ كَسْرُهَا، فَأَمَرَ بِهَا  
فَفَرَّقَتْ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قِدْحاً وَأَمَرَهُ بِكِسْرِهَ فَعَمِلَ، فَقَالَ: هَكَذَا أَنْتُمْ  
بِعَدِي، إِنْ اجْتَمَعْتُمْ لَمْ يَكْسِرْكُمْ أَحَدٌ، وَإِنْ تَفَرَّقْتُمْ كَسَبَرْتُمْ. وَقَالَ: احْفَظُوا عَنِي  
هَذِهِ الْآيَاتُ:

[الكامل]

انْفُوا الضَّغَائِنَ عَنْكُمْ وَعَلَيْنِكُمْ	عِنْدَ الْمَغِيبِ وَفِي الْحُضُورِ الشُّهَدِ
يَصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ طَوْلَ بَقَائِكُمْ	إِنْ مُدَّ فِي عُمُرِي وَإِنْ لَمْ يُمَدِّ
فَلْيَمِثِلْ زَيْبَ الدَّهْرِ أَلْفَ بَيْتِكُمْ	بِئَوَاصِلِ وَتَرَاحِمِ وَتَوَدُّدِ
حَتَّى تَلْبِسَ قُلُوبُكُمْ وَجُلُودُكُمْ	لِمَسْوُودِ مِنْكُمْ وَعَغِيرِ مُسْوُودِ
إِنَّ الْقِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا	بِالْكَسْرِ ذُو حَيْتِي وَكَسْرِ أَيْدِي
عَزَّتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ	فَالْوَهْنَ وَالْكَسْبِيرُ لِمُتَّبِدِّ

فَلَمَّا تَوَفَّى سَجَاهَ الْوَلِيدِ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبِرَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى  
عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ أَرْ مِثْلَهَا مَصِيبَةً وَلَا مِثْلَهَا نِعْمَةً. فَقِدَّ الْخَلِيفَةَ، فَإِنَّا لِلَّهِ  
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عَلَى عِظَمِ الْمَصِيبَةِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَى عَظِيمِ  
النُّعْمَةِ». ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَبَايَعَ النَّاسَ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ. فَسَمِعَ أَحَدُ وُلْدِ  
عَبْدِ الْمَلِكِ يَبْكِي وَيَقُولُ: مَاتَ، وَاللَّهِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: وَذَلِكَ لَا تَقْلُ  
هَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أُسَيْدٍ أُوسُ بْنُ حَجْرٍ:

[الطويل]

إِذَا مُقْرَمٌ مِثْلًا ذَرَا حَدَّنَا بِهِ تَحْمُطُ فِينَا نَابُ آخِرِ مُقْرَمٍ  
وَأَوْصَى أَبُو قَيْسِ بْنِ صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَلَدَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ:

[الخفيف]

يَا بَنِي، الْأَرْحَامُ لَا تَقْطَعُوهَا	وَصَلُّوهَا قَصِيرَةً مِنْ طَوَالِ
وَأَتَّقُوا اللَّهَ فِي ضِعَابِ الْيَتَامَى	زُبْمًا يُسْتَحَلُّ غَيْرُ الْخَلَالِ
اعْلَمُوا أَنَّ لِبَنِي تَيْمٍ وَيَلِيًّا	عَالِمًا يَهْتَدِي بِغَيْرِ السُّوَالِ
يَا بَنِي الْآيَامِ لَا تَأْمَنُوهَا	وَاحْذَرُوا مَكْرَهَا وَكُرَّ اللَّيَالِي
وَاعْلَمُوا أَنَّ مَرَّهَا لِنَفَادِ السِّ	حَلْقِي مَا كَانَ مِنْ جَدِيدِ وَيَالِ
وَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالْثَقَفِ	سَوَى وَتَرْكِ الْخُنَا وَأَخِذِ الْخَلَالِ

وَأَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو يَعْقُوبَ الثَّقَفِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ  
عَمِيرِ اللَّخْمِيِّ قَالَ: جَاءَ أَبُو جَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيُّ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ مِثْنَةَ سَنَةٍ،

ى مجلس لقریش، فأوسعوا له عن صدر المجلس وقائل يقول: بل كان روة بن الزبير مكان أبي جهنم فقال: يا بني أخي، أنتم خيرٌ لكبيركم من مهرة<sup>(١)</sup> كبيرهم. قالوا: وما شأن مهرة وكبيرهم؟ قال: كان الرجل منهم إذا كَبُرَ وضعف اه ابنه أو وليه فعقله بعقال ثم قال: قم. فإن استتم قائماً وإلا حملة إلى مخبس بم يجزى على أحدهم فيه رزقه حتى يموت. قال: فجاه شاب منهم إلى أبيه نعل ذلك، فلم يستتم قائماً، فحملة فقال: أي بُني إلى أين؟ قال: إلى سئة انك، فقال: أي بُني لا تفعل، فوالله لقد كنت أوعدك فلا أحجك<sup>(٢)</sup>، وأماشيك ما أبذك<sup>(٣)</sup> وأسقيك الدأداة<sup>(٤)</sup> - قال: وكانت العرب تقول: إذا سقي الغلام اللبن هو قائم كان أسرع لشبابه - فقال الفتى: لا جزم، والله، لا يذهب بك، فاتخذتها مهرة سئة.

وأخبر عبد الرحمن بن إسرائيل عن أشياخه قال: لما حضرت الوفاة عيذ بن العاصي قال: يا بُني، أيكم يكفلُ عني دُنيي؟ قال عمرو بن سعيد: علي ينك يا أبة. كم هو؟ قال: ثمانون ألف دينار. قال: وفيم استندتها؟ قال: في ريم سدوت خلله، أو لثيم اشترت عرضي منه، ثم قال سعيد: هذه خصلة بقيت خصلتان. قال: ما هما يا أبة؟ قال: يا بُني لا تزوجن بناتي إلا من الأكفاء. بوفلتي خبز الشعير. قال: أفعل. قال: يا بني، ذهبت خصلتان وبقيت خصلة. ال: وما هي يا أبة؟ قال: يا بُني، إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدوا معروف. ال: أفعل يا أبة. قال: يا بُني ما زلت أعرف الكرم في حمالق عينيك وأنت حرُّك بك في مهدك حتى بلغت ما أرى. يا بُني، ما شامت رجلأ مذ كنت رجلاً، ولا زاحمت ركبتاي ركبتة ولا كلفت من يرتجيني أن يسألني فيبذل وجهه يرشح جيبته رشح السماء، إذن، والله، فما وصلته. يا بُني، أخزى الله المعروف ذا لم يكن ابتداءً عن غير مسألة. فأما إذا أنك تكاد ترى دمه في وجهه مخاطراً، لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع ما تملكه ما كافأته، ولا لذي بات يتلمل على فراشه يعقب بين شفثيه أيجدني موضعاً لحاجته أم لا، لهو عظم علي مئة مني عليه، إذا قضيتها له.

(١) مهرة بن حيدان بن عمرو بن العاصي من قضاة: جد جاهلي يمانى كانت بلاد بنيه في ناحية الشحر وإليهم تنسب الإبل المهرية (... / ...) (الأعلام: ج ٧، ص ٣١٤).

(٢) حقه وأحقه: غلبه على الحق.

(٣) بذه يذو: سيفه وغلبه.

(٤) الدأداة: السرعة والإحضار.

وفي هذا الحديث بغير هذا الإسناد، ولكن عن الزبير بن أبي بكر قال: كانت عِلَّتُهُ التي مات فيها في ضَيْعَةٍ له بقرب المدينة، فلما اشتدت عِلَّتُهُ قال لابنه عمرو: يا بُنَيَّ، قد ترى ما نزل بي، فقال له عمرو: يا أبه، لو حُمِلْتُ إلى المدينة. فقال: يا بُنَيَّ، إِنَّ الحِرْكَهَ تتعبني، وإن أهلي لا يدخلون علي بحملي على رقابهم ساعة. يا بُنَيَّ، إِنَّ ضَيْعَتِي هذه مُتْرِيفٌ وليست بمال عِلَّةٍ، فإذا أنا مُتُّ ففَرَعْتُ من دَفْنِي، فوجّه مطيئتك نحو معاوية فانغني له، فإنه سيسألك عن دَينِي ويتضمَّنهُ، فأعلمه أنني قد علمت ذلك وَجَزُهُ خيراً. ثم قل له: يا أمير المؤمنين، إِنَّ له ضَيْعَةً أمر ببيعها لقضاء دَيْنِهِ، فإنه سيشتريها منك، فاسأله أن يكتب لك بمالها إلى المدينة فأقم بها دَينِي وَعِدَاتِي. فلما دفن كانت مطايا عمرو موقوفة فغزِي عنه، وركب يريد معاوية من ساعته حتى ورد عليه فنعاه له فتنجّع وقال: ما خَلَّف من الدَّين فهو عليّ. فقال: يا أمير المؤمنين، قد علم ذلك فوَضَلْتُكَ رَجِمَ، ولكنه أمرني ببيع ضَيْعَةٍ له وهي الفلانية. قال: قد اشتريتها بدينه، وكتب له بالمال إلى المدينة، فجاءه صلوك من صعاليك قريش بصك على أبيه بعشرين ألف درهم، فيه شهادة مولى له، فقال له: يا هذا، إني أعرف الخَطَّ وإني أنكرُ أن يكون لمثلك مثلُ هذا المال عليه، فدعا مَوْلَاهُ فقال له: أتعرف هذا؟ فشهد به؛ فقال له: ما سببه؟ فقال: إن أباك في وقت غزِيهِ - وكان معاوية يُولِيهِ المدينة سنَّةً ويُولِي مروانُ بنَ الحَكَمِ سنَّةً - رآه وخذه وقد رَكِبَ لبعض حاجاته، فسار معه حتى بلغها ورجع. فلما انتهى قال له: يا فتى، ألك حاجة؟ فقال: لا، ولكنني رأيتك مفرداً فأحببت أن أصلَ جِناخك، فالتمسَ مالاً يَهْبُهُ له فلم يَخْضِرُهُ فقال لي: عَجَلُ عليّ بصحيفه، فكتب له بهذا دَيناً عليه حالاً. فقال عمرو: إذن والله لا يأخذها إلا مُعْجَلَةً مُتَّقَدَةً.

قال ابن دَاب: لما حضرت عُمرَ بن عبد العزيز الوفاة قيل له: يا أمير المؤمنين، اكتب إلى يزيد بن عبد الملك فأوصه بالأمه خيراً فقال: وبم أوصيه؟ إني لأعلم أنه من بني مروان. ثم أمر بالكتاب إليه: أما بعد. فأتق، يا يزيد، الضُرْعَةَ بعد العُقْلَةِ فلا تُقال العَثْرَةُ، ولا تُقْدِرُ على الرُّجعة. ترك ما ترك لمن لا يَحْمَدُكَ، وتقدّم على من لا يَغْدِرُكَ والسلام.

ويروى أن هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر إلى حَشِيمِهِ وَلُحْمَتِهِ فيكون. ففتح عينيه فاطلّع في وجوههم ثم قال: جاد عليكم هشام بالدنيا، وجُدْتُمْ عليه بالبيكاه، وترك لكم ما خَلَّف وتركتم عليه ما اكتسب! ما أسوأ حال هشام إن لم يَغْفِرَ اللهُ له!



ولما احتضر معاوية أقبل على ابنة قُرظة<sup>(١)</sup> فقال: بَكَيْتِي، فقالت:

(الهرج)

لَا ابْكِيهِ أَلَا ابْكِيهِ      أَلَا كُلُّ الْفَتَى فِيهِ  
ثم قال لابنته: قَلْبَانِي. فجعلتا تُقَلِّبانَه لِجَنبٍ بَعْدَ جَنبٍ فَقَالَ: إِنَّكُمَا لَتَقَلِّبانَه  
حَوْلًا قَلْبًا إِنْ وَقِي كَبَّةُ النَّارِ. ثم أنشد:

[الكامل]

لَا يَبْعَدُنْ رَبِيعَةً بِنَ مُكَدِّمٍ      وَسَقَى السَّغَوَادِي قُبْرَهُ بِذَنُوبِ  
ثم قال ليزيد: إذا أنا قضيت فآخسِنِ غَسْلِي، واجعل في آخره مسكاً  
وكافوراً، وأحسِنِ الصَّلَاةَ عَلَيَّ ثُمَّ ادْفِنِي فِي لِحْدِي وَدَعْنِي وَرَبِّي. فلما بلغ ابن  
عباس موته قال:

[الكامل]

جَبَلٌ تَصْدَعُ ثُمَّ مَا نَ بِجُنْمِهِ      فِي الْبَحْرِ لَا رَتْقَتْ عَلَيْهِ الْإِبْحَرُ  
وصية الربيع بن خثيم<sup>(٢)</sup>

وروى إسرائيل عن يونس بن أبي إسحاق الشيبعي عن سعيد بن مسروق  
الثوري عن منذر بن يعلى الثوري قال: أوصى الربيع بن خثيم: هذا ما أوصى  
الربيع بن خثيم: «شهد أن لا إله إلا الله وكفى بالله شهيداً، وجزياً لعباده  
الصالحين ومثيباً. إني رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً،  
وبالقرآن إماماً. وإني أوصي نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العابدين، ويحمله  
في الحامدين، ويتضح لجماعة المسلمين».

### وصية جندب بن عبد الله البجلي

وروى شُعْبَةُ بن الحجاج<sup>(٣)</sup> عن يونس بن جبير قال: شيعنا جندب بن عبد  
الله، فقلنا له: أوصنا. فقال: «أوصيكم بتقوى الله وبالقرآن فإنه نور الليل المظلم،

(١) قُرظة: إحدى زوجات معاوية.

(٢) الربيع بن خثيم الثوري الكوفي «أبو زيد» زاهد تابعي روى عن عبد الله بن مسعود وروى عنه  
الشعبي والثوري توفي سنة ٦٥ هـ (البيان والتبيين: ج ٣، ص ١٢٩).

(٣) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي «أبو بسطام» من أئمة رجال الحديث حفيظاً ورواية ولد  
بواسطة وسكن وتوفي بالبصرة وكان عالماً بالأدب والشعر (٨٢ - ١٦٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص  
١٦٤).

وَقَدِّي النَّهَارَ، فَاعْلَمُوا وَاعْمَلُوا بِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جِهْدٍ وَفَاقَةٍ. فَإِنَّ عَظْمَ بِلَاءٍ  
فَقَدَّمْ مَالِكَ دُونَ نَفْسِكَ، فَإِنَّ جَاوِزَ الْبِلَاءِ فَقَدَّمْ مَالِكَ وَنَفْسَكَ دُونَ دِينِكَ. وَاعْلَمْ  
أَنَّ الْمَحْرُوبَ مَنْ حُرِبَ دِينُهُ، وَالْمَسْلُوبَ مَنْ سَلِبَ دِينُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا غِنَى بَعْدَ  
النَّارِ، وَلَا فَقْرَ بَعْدَ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ النَّارَ لَا يُفَكُّ أَسِيرُهَا، وَلَا يَسْتغْنِي فَقِيرُهَا».

ولما حضرت الوفاة عُمر بن هبيرة<sup>(١)</sup> جَزَعٌ وجعل يقول: لَلَّهِ ذُرُّ الْبَغْلَاتِ  
الْمَسْرُجَاتِ الْوَاقِفَاتِ بِأَبْوَابِ السُّلْطَانِ. وَاللَّهِ لَوِذْتُ أَنِّي كُنْتُ رَاعِي إِبِلٍ مِثَّةٍ لِرَجُلٍ  
سَيِّءِ الْمَلَكَةِ.

ولما احتضر إبراهيم بن يزيد التُّخَمِي<sup>(٢)</sup> جَزَعٌ جَزَعاً شَدِيداً وجعل يقول:  
نَفْسِي أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيَّ. فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عِمْرَانَ، أَنْتَجَزَعُ هَذَا الْجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ؟  
فَقَالَ: وَأَيُّ غَرَبٍ أَعْظَمُ مِمَّا أَنَا فِيهِ، إِنَّمَا أَنْتَوِّعُ رَسُولاً مِنْ رَبِّي إِمَّا بِجَنَّةٍ وَإِمَّا بِنَارٍ.

ويروى أن فتى من الأعراب حضرته الوفاة، فنظر إلى أبيه وأمه يبكيان  
حواليه بكاءً ذريعاً، فقال: مَا يُبْكِيكُمَا؟ فَقَالَا لَهُ: إِنَّا لَنُغْلَمُ أَنَّ لِلْمَوْتِ مَا تُدْرِكُ  
الْوَالِدَةَ، وَلَكِنْ لِيُزْهِوُ كَانَ فِيكَ. فَقَالَ: اللَّهُ، مَا يُبْكِيكُمَا إِلَّا ذَاكَ، فَحَلَفَا عَلَى ذَلِكَ  
فَقَالَ: فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا يَسْرُنِي أَنَّ إِلَيْكُمَا مِنْ أَمْرِي مَا إِلَى رَبِّي.

ويروى أن رجلاً من أبناء فارس احتضر فجزع فقيل له: مَا بَكَ؟ فَقَالَ: مَا  
ظَنُّكُمْ بَمَنْ يَقَطَعُ سَفْراً بَعِيداً بِلَا زَادٍ، وَيَقْدُمُ عَلَى حَكْمٍ عَادِلٍ بِلَا حُجَّةٍ، وَيَسْكُنُ  
قَبْراً مَوْحِشاً بِلَا مَوْسَرٍ؟

### وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي<sup>(٣)</sup>

ولما احتضر المهلب بن أبي صفرة أوصى بنيه فقال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ  
وَصَلَةِ الرَّحِمِ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُعَقِّبُ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ صَلَةَ الرَّحِمِ تُنْسِيءُ فِي الْأَجْلِ،  
وَتُثْرِي الْمَالَ، وَتَجْمَعُ الشُّمْلَ وَتُكْثِرُ الْعَدَدَ، وَتُعْمِرُ الدِّيَارَ، وَتُعْزُّ الْجَانِبَ. وَأَنْهَأَكُمْ  
عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا تُعَقِّبُ النَّارَ، وَإِنَّ قِطِيعَةَ الرَّحِمِ تَوْرَثُ الْقِتْلَةَ وَالذَّلَّةَ، وَتُفَرِّقُ

(١) عُمر بن هبيرة الفزاري «أبو العنبي» أمير شجاع من أعيان بني أمية الدهاء (ل/ ١١٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٦٨).

(٢) إبراهيم بن يزيد التُّخَمِي «أبو عمران» كوفي من التابعين صادق الرواية حافظاً للحديث مات مختفياً من المحجاج (٤٦ - ٩٦ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٨٠).

(٣) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سزاق الأزدي العتكي «أبو سعيد» أمير شجاع جواد حارب الخوارج تسعة عشر عاماً وانتصر عليهم أخيراً تولى خراسان لعبد الملك وبقي عليها حتى وفاته (٧ - ٨٣ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٣١٥).

الجمع، وتذُرُ الذبِيزَ بَلَقَعاً وتُذهبُ المال، وتُطمعُ العدو، وتبدي العورة، يا بني. قومكم فومكم! إنه ليس لكم عليهم فضل بل هم أفضل إذ فضلوكم وسودرتكم ووظفوا أعقابكم، وبلغوا حاجاتكم لما أزدتم، وأعانوكم، فلهم بذلك حث عليكم، وبلاء عندكم لا تؤذون شكره ولا تقومون بحقه. فإن طلبوا فأطلبوهم، وإن سألوا فأعطوهم، وإن لم يسألوا فابتدئوهم، وإن شتموا فاحتملوهم، وإن غشوا أروابكم فلتفتح لهم ولا تعلق دونهم. يا بني، إنني أحب للرجل منكم أن يكون لفعلة الفضل على لسانه، وأكره للرجل منكم أن يكون لسانه الفضل على فعله. يا بني، اتقوا الجواب وزلة اللسان، فإني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من زلته وينتعش منها، ويزل لسانه فيوبقه، وتكون فيه هلكته. يا بني، إذا غدا عليكم رجل أو راح فكفى بذلك مسألة وتذكرة بنفسه. يا بني، ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم، ودرابكم تحت غيركم أحسن منها تحتكم. يا بني، أحبوا المعروف، وكرهوا المنكر واجتنبوه، وآثروا الجود على البخل، واصطنعوا العرب وأكرمواهم، فإن العربي تعده العدة فيموت دونك ويشكر لك، فكيف بالصنيعة إذا وصلت إليه، في احتماله لها، وشكره والوفاء لصاحبها. يا بني، سودوا كباركم واعرفوا فضل ذوي أسنانكم تعظموا به، وارحموا صغيركم وقربوه والطفوه واجبروا يتيئكم وعودوا عليه بما قدرتم، وخذوا على يدي سفهاكم، وتعاهدوا فقراءكم وجيرانكم بما قدرتم عليه، واصبروا للحقوق ونواب الدهر. وعليكم في الحرب بالأناة، والتؤدة في اللقاء. وعليكم بالتماس الخديعة، في الحرب، لعدوكم، وإياكم والشزق والعجلة، فإن المكيدة والأناة والخديعة في الحرب أنفع من الشجاعة. واعلموا أن القتال والمكيدة مع الصبر، فإذا كان اللقاء نزل القضاء، فإن ظفر امرؤ وقد أخذ بالحزم قال القائل: قد أتى الأمر من وجهه، وإن لم يظفر قال: ما ضيع ولا فرط ولكن القضاء غالب. والزمو الحزم على أي الحالتين وقع الأمر، والزمو الطاعة والجماعة، وإياكم والخلاف. تواصلوا وتأزروا وتعاطفوا، فإن ذلك يثبت المودة. وخذوا فيما أوصيكم به بالجد والقوة والقيام به نظفروا بديابكم ما كنتم فيها، وبآخرتكم إذا صرتم إليها ولا قوة إلا بالله. وليكن أوّل ما تبدؤون به إذا أصبحتم تعليم القرآن والسُنن والفرائض، وتأدّبوا بأداب الصالحين من قبلكم من سلفكم، ولا تقاعدوا أهل الدعارة والزبانية، ولا يطمع في ذلك منكم طامع. وإياكم والخفة في مجالسكم وكثرة الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبه، وأدوا حق الله عليكم، فإني قد أبلغت إليكم في وصيئي، واتخذت لله الحجّة عليكم».

وَتَوْفِي بَمَزُو الرُّوْدِ<sup>(١)</sup> رُولِي خِرَاسَانَ أَرْبَعِ سِنِينَ. فَقَالَ نَهَارُ بْنُ  
تَوْسِعَةَ<sup>(٢)</sup>:

[الطويل]

أَلَا ذَهَبَ الْعَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِيَجْنِي وَمَاتَ التَّدَى وَالْحَزْمُ بَعْدَ الْمُهْلَبِ  
أَقَامَا بِمَزُو الرُّوْدِ زَمَنَ نَسْرَابِهِ وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ  
قال: ثم وُلِّيَ بعدَ الْمُهْلَبِ فِتْيَةُ بْنُ مُسْلِمٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ وَهُوَ  
يُعْطِي النَّاسَ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَرَفَهُ وَقَالَ: أَنْتَ الْقَاتِلُ فِي الْمُهْلَبِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: بَلِ أَنَا  
الَّذِي أَقُولُ:

[الطويل]

وَمَا كَانَ مُذْ كُنَّا وَلَا كَانَ فِينَا نَسْرَابُ وَلَا هُوَ فِينَا كَابِنٌ كَابِنٌ مُسْلِمِ  
أَعْمٌ لِأَهْلِ الشَّرْكَ قِتْلًا بِسِنِينِهِ وَأَقْسَمَ فِينَا مَغْنَمًا بَعْدَ مَغْنَمِ  
قال: إِنْ شِئْتَ فَأَقْدَلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَكْثِرْ، لَا تَصِيبُ مِنِّي خَيْرًا. يَا غَلَامَ،  
خَلَقَ عَلَيَّ اسْمَهُ فَلَزِمَ بَيْتَهُ حَتَّى وُلِّيَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهْلَبِ خِرَاسَانَ، فَأَتَاهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ  
وَهُوَ يَقُولُ:

[الطويل]

فَإِنَّ نِيكَ ذَنْبِي يَا قَتِيلَةَ أُنْسِي بِكَيْفِ امْرَأَةٍ قَدْ كَانَ فِي الْجَوْدِ أَوْخِي  
أَبَا كُلِّ مَظْلُومٍ وَمَنْ لَا أَبَا لَهُ وَغَيْثُ مُغِيَّبَاتٍ أَطْلَقَ الثَّلْدُ  
فَشَأْنُكَ إِنَّ اللَّهَ إِنْ سُوِّتَ مُحْسِنٌ إِلَيَّ فَقَدْ أَبْقَى يَزِيدٌ وَمَخْلَدُ  
فقال له: «احتكم»، فقال: «مئة ألف».

ويقال: إن مَخْلَدَ بْنَ يَزِيدٍ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ، لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ قَدَّمَهُ خَلِيفَةً عَلَى  
خِرَاسَانَ. فَكَانَ يَقُولُ بَعْدَ مَوْتِ مَخْلَدٍ: «رَحِمَ اللَّهُ مَخْلَدًا، مَا تَرَكَ لِي بَعْدَهُ مِنْ  
قَوْلٍ».

وكان يَزِيدُ بْنُ الْمُهْلَبِ أَوْصَى مَخْلَدًا ابْنَهُ، لَمَّا سَارَ مِنْ خِرَاسَانَ  
إِلَى جُرْجَانَ<sup>(٣)</sup> فَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى خِرَاسَانَ، أَنْ قَالَ لَهُ: «يَا بُنَيَّ، انظُرْ هَذَا

(١) مَزُو الرُّوْدِ: مَدِينَةٌ قَرِيبٌ مِنْ مَرُو الشَّاهِجَانَ مَاتَ فِيهَا الْمُهْلَبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ (مَعْجَمُ الْبَلْدَانِ: ج ٥، ص ١١٢).

(٢) نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ بْنُ أَبِي عَثْبَانَ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ: شَاعِرٌ مَدْحٌ هِجَاءٌ رَثَا الْمُهْلَبِ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ وَهَجَا  
فِتْيَةَ بْنَ مُسْلِمٍ وَكَانَ أَبُوهُ شَاعِرًا أَيْضًا (٨٣/٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ٤٩).

(٣) جُرْجَانَ: مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ طَبْرِسْتَانَ وَخِرَاسَانَ (مَعْجَمُ الْبَلْدَانِ: ج ٢، ص ١١٩).

من اليمن فكن فيهم كما قال أبو ذؤاد الإيادي<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

ثَتُّ مُرْتَاذِ الرَّجَالِ لِثَفْعِهِمْ قَرِشٌ وَاضْطِنَعٌ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي  
وَكُنْ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ كَمَا قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

[السريع]

رَاكِبًا قُولًا لِإِخْوَانِنَا مَنْ كَانَ مِنْ كِنْدَةَ أَوْ وَائِلٍ  
وَأَيْسَاكُمُ وَمَا بَيْنَنَا كَمَوْضِعِ الزُّورِ مِنَ الْكَاهِلِ

قال: ونمي إلي عن مسلمة بن علقمة قال: كتب مروان بن محمد<sup>(٢)</sup> إلى  
لمسور يُعزِّم عن أبيهم: «قد بلغ أمير المؤمنين الذي كان من نازل قضاء الله  
مسور بن عمرو، وما اختار الله له من المصير إليه، فعند الله يحسب أمير  
نين مصابه ونعم المتوفى توفاه الله من بينكم. وفي جود الله الخلف الكافي.  
أعاضكم الله من رزيتكم رأياً من أمير المؤمنين جميلاً، فيه حسن الخلف  
تم. فلتحسن ظنونكم برؤكم وخليفتم فإن الله لم يقبض ولياً له إلا أحسن  
ته في ولده وأهل لحمته».

وتحدث يعقوب بن داود قال: عُزِّي السائب بن الأقرع<sup>(٣)</sup> عن ابن له، فقال  
بُ: «هكذا الدنيا تصبح لك سارة، وتسمي عليك متكرة». ثم تمثّل:

[الطويل]

لَذَ أَرَى أَنْ لَا خُلُودَ وَأَلْسُهُ سَيَنْعَقُ فِي دَارِي غُرَابٌ وَيَسْجَلُ  
بِسُمْ مِيرَاشِي رِجَالُ أَعْرَظَةٍ وَتَذْهَلُ عَنِّي الْوَالِدَاتُ وَتَسْجَلُ

وتحدث النضر بن إسحاق قال: ماتت امرأة بكر بن عبد الله المزني فاشتد  
عليها، فنهاه الحسن فقال: «يا أبا سعيد، إنها كانت مواتية، وكانت...  
ت...» فقال له الحسن: «لا تيأس، فعند الله خير منها». فتزوج أختها بعدها،  
به الحسن بعد ذلك فقال: «يا أبا سعيد، هذه خير من أختها».

١- أبو ذؤاد جارية بن الحجاج الإيادي: شاعر جاهلي من وصف الخيل المجيد بن (.../...)  
الأعلام: ج ٢، ص ١٠٦.

٢- مروان بن محمد بن مروان بن الحكم «أبو عبد الملك» المعروف بالجعدي أو الحمار آخر خلفاء  
نبي أمية (٧٢ - ١٣٢ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٠٨).

٣- لسائب بن الأقرع الثقفي: ولاء عمر قسمة الغنائم يوم نهاوند مات بأصبهان (البيان والتبيين: ج ٢،  
ص ١٩٨).

قال أبو الحسن المدائني عن الحسن الجفري قال: لما مات سعيد، أخو الحسن، حزن عليه الحسن وقال: «إنه لأعزُّ أهلي عليّ، ولأن يكون لي أحبُّ إليّ من أن أكون له». فعاتبه بعض إخوانه فقال الحسن: يا عبد الله، قد حزن يعقوب على ابنه يوسف فلم يُعْتَفَ الله عز وجلّ بذلك.

وقال عن كُليب بن خلف: قال عبد الكريم المازني لعبد الله بن عبد الله بن الأهتم: كيف كان جزعك على أهل بيتك؟ فقال: ما ترك حبَّ الغداء والعشاء في قلبي خزاناً على أحد.

وقال يزيد بن عياض بن جعدبة: كان عبد الله بن الزبير إذا أصابته مصيبة قال: قد قُتل أبي وإمامي عثمان بن عفان فصبرتُ.

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني: أخبرنا إسماعيل بن يسار قال: مات ابن لأرطاة بن سهية المرّي، من غطفان، فأقام على قبره خولاً يأتيه كلُّ غداة فيقول: يا عمرو، إن أقمْتُ حتى أمسي هل أنت رائح معي؟ ويأتيه عند المساء فيقول مثل ذلك، ثم ينصرف. فلما كان في رأس الحول تمثّل:

[الطويل]

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْنِكما  
وَمَنْ يَبْكُ خَوْلاً كَامِلاً فَقَدْ اغْتَدَزَ  
ثم انصرف عنه وهو يقول:

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ لَيْلَى فَلَمْ يَكُنْ  
هَلْ أَنْتَ ابْنُ لَيْلَى إِنْ نَظَرْتُكَ رَائِحٌ  
فَلَوْ كَانَ لُبِّي شَاهِداً مَا أَصَابَنِي  
فَمَا كُنْتُ إِلَّا وَالْهَاءُ بَعْدَ زَفْرَةٍ  
مَتَى لَا تَجِدُهُ تُصْرِفُ لِطَيِّبَاتِهَا  
عَلَى الدُّهْرِ فَاغْتَبِ إِنَّهُ غَيْرُ مُغَيَّبِ  
وَقُوفِي عَلَيْهِ غَيْرَ مَبْكِي وَمَجْرَعِ  
مَعَ الْقَوْمِ أَوْ غَادِ غَدَاءَ غَدِ مَعِي؟  
شَهِيقٌ عَلَى قَبْرِ بِأَخْجَارِ أَجْرَعِ  
عَلَى شَجْوِهَا بَعْدَ الْحَنِينِ الْمُرْجِعِ  
مِنَ الْأَرْضِ أَوْ تَرْجِعِ لِأَلْفِ فَتْرَتِجِ  
وَفِي غَيْرِ مَنْ قَدْ وَازَتْ الْأَرْضُ فَاطْمَعِ

وقال أبو محمد الكعبي: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استشهد أخوه زيد بن الخطاب باليمامة - وحضره رجل من بني عدّي بن كعب، فرجع إلى المدينة، فلما رآه عمر دمعت عينه ثم قال:

أَخْلَفْتُ زَيْداً ثاوياً وَأَتَيْتَنِي

وقال المشثي بن عبد الله بن عوف: كان عمر بن الخطاب رحمه الله إذا

أصابته مصيبة قال: قد فَقَدْتُ زيداً فصبرت. وكان يقول: ما هبَّت الصبا إلا رجدتُ نسيمَ زيد.

وقال أبو الحسن: أخبرني من أثق به عن حكيم من الحكماء قال: مات أخ له فَجَزِعَ عليه، فقال له قائلٌ من أصحابه: اصنَعْ بنفسك ما يصنعُه بك الدهر.

وأخبرَ عن أبي إبراهيم قال: قال عَبَادُ بن مُخَاشِن: «استَشْهَد لي ابنان فَجَزِعْتَ عليهما». فقال له رجل: «ثم ماذا؟» قال: «كان جُرْحاً قَبِراً».

وتحدث قال: لما مات معاوية دخل على يزيد أشرف أهل الشام، فلم يجتمع لأحد منهم تعزيةً مع تهنئة إلا عطاء بن أبي سفيان فإنه قال: «يا أمير المؤمنين، أصبحت قد رزنت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله. قضى معاوية نحبّه، فغفر الله له ذنبه، وأعطيت بعده الرئاسة، ومُنحت السياسة؛ فاحتسب عند الله عظيم الرزية، واشكره على جميل العطيّة».

وقال الأصمعي: لما ماتت «البانوقة»، ابنة المهدي، اشتد جزعه عليها فحجّب الناس، فتلطف شبيب بن شيبّة<sup>(١)</sup> فدخل عليه فقال: «يا أمير المؤمنين، واللّه لئله خير لها منك، ولثواب الله خير لك منها. وإن أحق ما صبرَ عليه ما لم يُقدِرَ على دفعه». فكان هذا أول ما تسلّى به، وأذن للناس.

وقال جُوَيْرِيّة بن أسماء: اشتكى ابنُ لعبد الله بن عمر بن الخطاب، فَجَزِعَ عليه. فلما مات لم يظهر منه مثل ما كان يظهر في مرضه. فقليل له في ذلك فقال: كان ذلك مني رَحمةً له ورِقّةً، فلما وقع القضاء رضيت وسلّمتُ.

وقال أبو الحسن: أصبح رجلٌ من بني نهشل وقد مَوّتت له عدّة أباعر وشاء، فقال: لئن كانت المنيّة باتت تُطيف بي ثم أصبحت، وقد زالت عني إلى شاتي وبعيري، ثم جزعتُ إني لجزوع ثم قال:

[مجزوء الكامل]

الْمَرْءُ يَسْتَعِي سَادِرًا حَتَّى يُقَالَ لَهُ تَعَالَى  
وتحدث أبو الحسن المدائني، أو غيره، عن أبان بن تغلب النحوي قال:

(١) شبيب بن شيبّة بن عبد الله التميمي المنقري الأهمي «أبو معمر» بصري يقال له الخطيب لفصاحته أديب الملوك وجليس الفقراء كان شريفاً من الدهاء يفرغ إليه أهل بلده في حوائجهم (.. / ١٧٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ١٥٦).

شهدت امرأة من الأعراب وبين يديها ابنٌ لها رجلٌ وهو يجود بنفسه وعندها جماعة من قومها. فلما قضى وثبت إليه فعمَّضته وعَصَبته وترحمَّت عليه ثم تنحَّت إلى مجلسها فقالت: يا أبان، ما أحقُّ من ألبس النعمة وأطيلت به النظرة ألا يعجز عن التوثق لنفسه من قبل حلِّ عقَدته والحلولِ بعقوِّته<sup>(١)</sup> والحيالة بينه وبين نفسه. قال: فقال رجلٌ من الأعراب ممن حضرها: إنا لم نزل نسمع أنما الجزع للنساء، فوأبيك لقد كرم صبرك، وما أشبهت النساء! فقالت: ما ميِّز إنسان بين صبر وجزع إلا وجد بينهما منهجين بعيدَي التفاوت في حالتيهما. أمَّا الصبرُ فحَسَنُ العَلانية، محمود العاقبة. وأمَّا الجزع فغيرُ معروضٍ عِوضاً مع مَأْتبه. ولو كانا رَجَلين في صورة كان الصبرُ أَوْلَاهما بالعلبة على الحَسَن في الخَلقة والكرم في الطبيعة.

وقال أبان: حدثنا ابن السَّمَاك<sup>(٢)</sup> قال: جلسنا ننتظر جَنَازَةَ لتخرج إذ مرُّ بنا أعرابيٌّ فوقف علينا فسَلَّم ثم قال: إنَّ أعظَمَ المصيبة مُصَابكم برسول الله ﷺ، عَظَمَ الله أجْرَكم، ورحم مَيْتَكم قال ابنُ السَّمَاك: فما يُخَيِّل إليَّ أنِّي سمعتُ كلماتٍ أوجزُ منهن: إنه صدرَ كلامه برسول الله ﷺ، وعزَّانا، وترحم على مَيْتِنَا في كلمة واحدة.

وقال أبان: سمعت بعض الأعراب يتلهف على حميم له ثم تنفس الصُّعداء وقال: أُنْهات<sup>(٣)</sup>! عَيبُ النَّاسِ على الدهر فلم يُعْتَب مُسْتَعْتَباً، ولم يَزِبْ لِمُتَلَهِّفٍ عليه، ثم قال: كل امرئٍ مئاً يجري في السوابقِ من حتم الله عليه.

وتحدث الجرمازي رحمه الله عليه قال: كان مروان بن عبد الملك، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، من أحبِّ ولد عبد الملك إليه، فتوفي في حياة عبد الملك، وكان أهل العلم بعبد الملك بن مروان يَزُؤُن أنه لو بقي لثَلُث به في العهد. فكتب إلى عبد الملك بعض عمومته من بني الحكم وهو غائبٌ يُعزِّيه عنه ويسأله كيف كان صبره. فكتب إليه عبد الملك:

[البسيط]

كثبنتُ تسألُ عن صَبْرِي إشغَلَمَهُ عَلى الرُّزِيَّةِ بالمأمولِ مَرَوَانِ

(١) العَفْوَة: ساحة الدار.

(٢) محمد بن ضُبَيْح «أو ضُبَيْح» «أبو العباس» ويعرف بابن السَّمَاك: زاهد واعظ مكث في بغداد أيام الرشيد ثم توفي في الكوفة سنة ١٨٣ هـ (الوفيات: ج ٣، ص ٤٢٨).

(٣) أُنْهات: بعد ذلك (مبهات).



فَقَدْ صَبْرَتْ بِعَوْنِ اللَّهِ مُخْتَسِبًا لِمَوْعِدِ اللَّهِ مِنْ قُوْرٍ وَرِضْوَانٍ  
وَلَوْ خَزِنْتَ وَلَمْ أَصْبِرْ لِبُرْقَاتِهِ مَا كَانَ فِي فَقْدِهِ مَنَاهَا أَحْزَانِي

وقال الحرمازي: كان سبب موت مروان بن عبد الملك أنه وقع بينه وبين  
أخيه سليمان كلاماً فعجل عليه سليمان فقال له: «يا بن مُلْحَنٍ»<sup>(١)</sup> أمه، ففتح فاه  
ليجيبه وإلى جانبه عمرُ عبد العزيز فأمسك على فيه ورَدَ كلمته وقال له: «يا أبا  
عبد الملك، أخوك إمامك وله السُّنُّ عليك». فقال: «يا أبا حفص قتلتنني». قال:  
«وما صنعتُ بك؟» قال: «رددت في جوفي أحرَّ من الجمر». ومال لجنبه فمات.  
وفيه يقول جريرٌ يخاطب أخاه لأمه، يزيد بن عبد الملك:

[الطويل]

أبا خالدٍ فازتْ مَرْوَانَ عَنْ رَضَى وَكَانَ يَزِينُ الْأَرْضَ أَنْ تَشْرِيلاً مَعَا  
فَسِيرُوا فَلَا مَرْوَانَ لِلْحَيِّ إِنْ شَكَّرُوا وَلَا الرُّكْبَ إِنْ أَمْسَوْا مَخْفِيْنَ جُوعَا  
قال: وبلغني أن عبد الملك أمر غاسله إذا قرعَ من جهازه أن يؤذنه، ففعل،  
فكشف عن وجهه ثم قال: الحمد لله الذي يقتل أولادنا ونحبه.

قال أبو الحسن: لما حضرت أيوب بن سليمان بن عبد الملك الوفاة -  
وكان ولي عهد أبيه - دخل عليه وهو يجود بنفسه، ومعه عمر بن عبد العزيز  
وسعيد بن عقبة ورجاء بن حيوة<sup>(٢)</sup> قال: فجعل ينظرُ في وجهه وهو يفوق<sup>(٣)</sup>  
بنفسه فخنقته العيرة فردّها ثم نظر إلينا فقال: إنه، والله، ما يملك العبد أن يسبق  
إلى قلبه الوجدُ عند المصيبة والناس عند ذلك أخفاف<sup>(٤)</sup>، فمنهم من يغلب صبره  
جزعه، فذلك الجَلْدُ الحازم المحتسب، ومنهم من يغلب جزعه صبره، فذلك  
المغلوبُ الضعيف العقدة، وليست منكم جشمة، وإني أجد في قلبي لوعةً إن لم  
أبردّها بعبرة خشبٍ أن تنصدع كيدي كمدأ وأسفاً. فقال له عمر بن عبد العزيز:  
يا أمير المؤمنين، الصبر أولى بك فلا تُحِبِّطنْ أجرك. قال سعيد بن عقبة: فنظر  
إليّ وإلى رجاء بن حيوة نظر مُستغيثٍ يرجو أن نساعده على ما أراد من البكاء.

(١) لَحْنٌ وَلَحْنُهُ: قال له يا بن اللحناء واللحن نتن المعابن (مطاوي الجسد).

(٢) رجاء بن حيوة بن جرول الكندي «أبو المقدم» واعظ فصيح من الشام لازم عمر بن عبد العزيز أميراً  
وخليفة (١١٢ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ١٧).

(٣) فاق بنفسه يفوق: جاد.

(٤) الناس أخفاف: أي مختلفون.

فأما أنا فكرهت أن أمره أو أنهاء، وأما رجاء فقال: يا أمير المؤمنين، افعل، فإني لا أرى بأساً ما لم تأت الأمر المفريط. فقد بلغني أن رسول الله ﷺ لما هلك إبراهيم اشتدَّ وجده عليه فدمعت عيناه فقال: تدمع العين ويوجع القلب ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك لمحزونون يا إبراهيم. قال: وأرسل عينيه فبكى حتى ظننا أن نياط قلبه قد انصدع، فقال عمر: يا رجاء، هذا ما صنعت بأمر المؤمنين! فقال: ذعه، يا أبا حفص، يقض من بكائه وطراً، فإنه لو لم يُخرج من صدره ما ترى لخفت أن يأتي عليه، ثم زقات عثرته فدعا بماء فغسل وجهه فأقبل علينا وقد قضى الفتى، فأمر بجهازه وخرج يشي أمام جنازته، فلما دفن وحني عليه التراب وقف قليلاً ينظر إلى قبره ثم قال:

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ      مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقِ  
ثم قال: السلام عليك يا أيوب.

[السرير]

كُنْتُ لَنَا أُنْسًا فَأَوْحَشْنَا      فَالغَيْشُ مِنْ بَعْدِكَ مُرُّ المَذَاقِ  
ثم قال: أدن، يا غلام، دابتي، فركب ثم عطف برأس دابته إلى القبر ثم قال:

[البيط]

فإن ضبرت فلم ألفظك من شبع      وإن جزعت فعلق منفس ذهب  
فقال عمر: يا أمير المؤمنين، بل الصبر، فإنه أقرب إلى الله وسيلة وليس الجزع يحيي من مات، وبالله العصمة والتوفيق.

وقال الحسن بن عمارة<sup>(١)</sup> عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة قالت: لما مات عبد الله بن أبي بكر وجد عليه أبو بكر وجداً شديداً ثم دخل علي فقال: يا عائشة، والله لكانما أخذ بأذن شاة من دارنا فأخرجت، فقلت: الحمد لله الذي غزم لك على رشدك، وربط على قلبك. قالت: ثم جاء بعد ذلك فقال: أي بُنيّة، أتخافين أن تكونوا دفنتم عبد الله وهو حي؟ فقلت: استعذ بالله يا أبا. فقال: استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أي بُنيّة،

(١) الحسن بن عمارة «أبو محمد» كوفي مؤتمى نيجيلة فقيه محدث فاضل للمنصور في بغداد وتوفي سنة ١٥٣ هـ (تاريخ بغداد: ج ٧، ص ٣٤٥).

إنه ليس أحدٌ إلا وله من الشيطان لُمةٌ. فرثته عاتكةُ امرأته، وهي ابنةُ زيد بن عمرو بن نُفيل<sup>(١)</sup> فقالت:

[الطويل]

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ غَيْبِي سَخِيئَةً      عَلَيكَ وَجَلْدِي أَجْرَ الدُّهْرِ أَغْبَا  
وهذا يتصل بخبر ليس من هذا الباب.

ولما مات عبد الرحمن بن أبي بكر لم تحضره عائشة، فأنت قبره فقالت:  
يا أخي، لو كنتُ شهدتُ وفاتك لم أُرزُ قبرك ثم تمثلت:

[الطويل]

وَكُنَّا كَنُذْمَانِي جَذِيمَةً حِقْبَةً      مِنَ الدُّهْرِ حَتَّى قِيلَ لِن نَتَصَدَّعَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا      لِطَوِيلِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِثْ لَيْلَةً مَعَا  
وحدثنا ابنُ عائشة، وحدثنيه غيره وحديثه أتم أن عائشة حضرت أبا بكر  
رحمة الله عليه وهو يقضي فقالت: وهذا والله قوله:

[الطويل]

أَمَارِي مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى      إِذَا حَشَرَ جِثَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصُّدُرُ  
فقال: أي بُنيَّة، لا تقولي كذا وقولي: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ»<sup>(٢)</sup>  
وهكذا كان يقرؤها أبو بكر رحمه الله.

قال الهلالي: كان أبو بكر الصديق، رحمة الله عليه، إذا قيل له: مات فلان  
قال: لا إله إلا الله. وكان عثمان، رحمه الله، إذا قيل له: مات فلان قال: لا إله  
إلا الله.

وقال الهلالي: قيل لمعاوية: مات زيد، فقال: وازْجَلَاه، ثم قال:

[الطويل]

أَفْرِدْتُ سَهْمًا فِي الْكِنَانَةِ وَاجِدًا      سَيُرْمَى بِهِ أَوْ يَكْحِيزُ السُّهْمَ كَائِسُرُ  
وقال: لما هلكَ ابنُ معاذَ بنِ جَبَل، كتب إليه رسول الله ﷺ: «من محمد  
رسول الله إلى معاذ بن جبل، سلامٌ عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا  
هو. أما بعدُ. فَإِنْ أَنْفَسْنَا وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالَنَا وَدَانِعَ اللهُ جِلَّ ذِكْرِهِ وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةَ

(١) عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفل القريشية العدوية: شاعرة صحابية من المهاجرات تزوجها عدد من الصحابة (.../٤٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٤٢).

(٢) سورة ق: الآية ١٩.

يُمْتَعُ بِهَا مِنْ يَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، وَيَقْبِضُهَا لَوْقَتٍ مَعْلُومٍ، فَأَمَرْنَا بِالشُّكْرِ إِذْ أَعْطَانَا، وَبِالصَّبْرِ إِذْ ابْتَلَانَا، فَكَانَ ابْنُكَ مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ الْهَنِيئَةِ، وَمِنْ عَوَارِيهِ الْمُسْتَوْذَعَةِ يُنْتَعُ بِهَا مِنْ يَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، وَيَقْبِضُهَا لَوْقَتٍ مَعْلُومٍ. وَقَدْ مَتَّعَكَ اللَّهُ بِهِ، فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ، وَقَبِضَهُ مِنْكَ بِأَجْرٍ كَبِيرٍ، فَالصَّلَاةُ وَالرُّحْمَةُ وَالْهُدَى، يَا مُعَاذَ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ، فَلَا يُذْهِبَنَّ جَزَعُكَ أَجْرَكَ فَتَتَدَمَّ عَلَى مَا فَاتَكَ. فَإِنَّكَ لَوْ قَدِمْتَ عَلَى ثَوَابِ مُصِيبَتِكَ، قَدْ أَرْضَيْتَ رَبَّكَ وَتَنَجَّزْتَ مَوْعُودَهُ عِلْمَتْ أَنَّ الْمُصِيبَةَ قَدْ قَصُرَتْ عَنْكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَزِيدُ مَيْتًا وَلَا يَدْفَعُ حُزْنَاً. فَأَحْسِنِ الْعِزَاءَ، وَتَنَجَّزِ الْمَوْعُودَ، وَلْيُذْهِبِ أَسْفَكَ مَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ فَكَأَنَّ قَدْ.

ولما مات مسمع<sup>(١)</sup> جاء شبيب بن شيبية حتى أخذ بالباب الذي فيه ولده وأهله وبنو عمه فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم قال:

[الكامل]

بُكُوا حَذِيقَةً لَنْ تَرْثُوا بِمِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قَبَائِلُ لَمْ تُخْلَقِي  
قال الأصمعي: مرَّ رجل على بعض مقابر العرب فإذا هو بشيخ قاعد على شفير قبر، وبين يديه فتية كأنهم الرِّمَاح يدفنون رجلاً، والشيخ يقول:

[الرجز]

أخشوا على الدَّيْسِمِ<sup>(٢)</sup> مِنْ بَزْدِ الثَّرَى قَدْ مَأَى أَبَى رُبُّكَ إِلَّا مَا تَرَى  
قال: فسألت الشيخ: من الميت؟ فقال: ابني. فقلت: فمن هؤلاء؟ قال: بنوه. وقال أبو جعفر الدمشقي: حدثنا أبو بكر السلمي عن المعافى بن عمران<sup>(٣)</sup> عن شهاب بن خراش عن عبد الرحمن بن عثمان قال: دخلنا على معاذ بن جبل وهو قاعد عن رأس ابن له يجود بنفسه، فما ملكنا أنفسنا أنْ ذرَفَتْ أَعْيُنُنَا وَاتَّحَبَّ بَعْضُنَا فَرَجَرَهُ مُعَاذٌ وَقَالَ: مَهْ، فَوَاللَّهِ لِعَلَّمُ اللَّهَ بَرُضَائِي بِهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ غَزْوَةٍ غَزَوْتُهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ كَانَ لَهُ ابْنٌ وَكَانَ عَلَيْهِ عَزِيزاً وَبِهِ ضَنْبِيْنَا، فَصَبِرَ عَلَى مُصِيبَتِهِ وَاحْتَسَبَهُ أَبَدَلَ اللَّهُ الْمَيْتَ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَقَرَّاراً خَيْراً مِنْ قَرَّارِهِ، وَأَبْدَلَ الْمُصَابَ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالرِّضْوَانَ. فَمَا بَرَحْنَا حَتَّى قَضَى الْغَلَامُ حِينِ أَخَذَ الْمُنَادِي فِي النِّدَاءِ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ، فَرُخْنَا تُرِيدُ

(١) هو مسمع بن عبد الملك المسمعي.

(٢) الدَّيْسِمِ: اسم العرثي.

(٣) المعافى بن عمران الأزدي الموصلني «أبو مسعود»: شيخ الجزيرة ثقة حافظ للحديث صنف كتاباً في الزهد والأدب والفن وغير ذلك (-/ ١٨٥ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٦٠).

الصلاة فما جئنا إلا وقد غسله وحطئه وكفَّنه ودخل بسريره غير مُنتظرٍ لشهدة الإخوان ولا لجمع الجيران .

قال : فلما بلغنا ذلك تلاحقنا فقلنا : يغفر الله لك يا أبا عبد الرحمن ، حلاً انتظرنا حتى نفرغ من صلاتنا ونشهد ابن أختنا . فقال : أمرنا ألا ننتظر بموتنا ساعة ، ماتوا من ليل أو نهار . والإذن فيهم من نعي الجاهلية . قال : فنزل في القبر ونزل معه آخرُ فقلت : الثلث يا أبا عبد الرحمن ، فقال : إنما يقول الثالث الذين لا يعلمون . فلما سوى عليه الثراب أراد الخروج فناولته يدي لأنتبطه من القبر فأبى وقال : ما أذع ذلك لفضل قوة ، ولكن أكره أن يرى الجاهل أن ذلك مني جزع أو استرخاء عند المصيبة ثم أتى مجلسه فدعا بدهن فاذهن وبكحلي فأكتحل وبيزدة فلبسها ، وأكثر في يومه ذلك في التبسُّم ، ينوي به ما ينوي ، ثم قال : «إنا لله وإنا إليه راجعون . في الله خلفٌ من كل هالك ، وعزاءٌ من كل مصيبة ، وذرك لكل ما فات . وقال : سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول : من أصيب بمصيبة فدعا عليها ويلاً غضب الله عليه ، ومن لطمَ عليها وجهاً احتجب الله عنه ، ومن خرَّقَ عليها ثوباً خرَّقَ دينه ومزقه وبدَّده .

قال : فلما كان طاعونُ عمواس طبعن معاذ في يده ، فدخلنا عليه فرأيناه مغمى عليه ، باسطاً يده كأنه يصافح قوماً ويرحب بهم . فلما أفاق قلنا له : يا أبا عبد الرحمن ، دخلنا عليك وكأنك تصافح قوماً وترحب بهم . فقال : أجل ، شكرني ربي بصبري على ابني فأرسل إليّ ملائكة من الكروبيين<sup>(١)</sup> يشيعوني إلى قبري .

### باب

قال أبو العباس : وقصدنا في وقتنا هذا لذكر مرثي من أشعار المحدثين نزل بها من خشونة أشعار القدماء إلى لطف المولدين لمشاكله الدهر وملاحه القول لثمضي من ذلك شيئاً ثم نعود إلى أمرنا الأول إن شاء الله تعالى من أشعار قديمة ومواعظ حكيمة . وبالله الحول والقوة .

قال مسلم بن الوليد<sup>(٢)</sup> يرثي الفضل بن سهل ذا الرئاستين<sup>(٣)</sup> :

[الطويل]

(١) الكروبيون مفردتها «كروبو» وهم سادة الملائكة أو المقربون منهم .

(٢) مسلم بن الوليد المعروف بصريح الغواني شاعر غزلي أول من أكثر في الدير في شعره (٢٠٨/٢) (هـ) (الأعلاء ج ٧ ص ٢٢٣) .

(٣) أبو العباس الفضل بن سهل الشرخسي . وزير المأمون الملقب بذي الرئاستين لأنه تقلد الوزارة والسيف وكان أخير الناس . حسن النجابة . قال أبو جعفر في السير : نقل أمره على المأمون ففسد إليه .

وَأَكْبَرْتُ أَنْ أَلْفَى بِيَوْمِكَ نَاعِيَا  
وَأَنْ لَيْسَ إِلَّا الدَّمْعُ لِلْحَزَنِ شَافِيَا  
نَوَاحٍ يَنْدُبُنَ الْعُلَى وَالْمَسَاعِيَا  
مِنْ الْمُذْكَرِ يَزْحَمُنَ الْجِبَالَ الرَّوَابِيَا  
وَلَسْمَ أَرِ إِلَّا بَعْدَ يَوْمِكَ بِسَاحِيَا

وَهَلْتُ فَلَمْ أَمْنَعْ عَلَيْكَ بَعْبِرَةَ  
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّه لَا عَجَّ الْأَسَى  
بَعَثْتُ لَكَ الْأَنْوَاحَ فَارْتَجِحْ بَيْنَهَا  
أَلَلْبَاسِ أَمْ لِلْجُودِ أَمْ لِمَقَامِ  
فَلَمْ أَرِ إِلَّا قَبْلَ يَوْمِكَ ضَاحِكَا

وقال إبراهيم بن المهدي<sup>(١)</sup> يرثي ابناً له أصيب به بالبصرة وهو واليهما. وكان فيما يؤثّر عنه يستحق أن يرثى وأن يوصف، وشعره هذا يستحق أن يبكي القلوب، ويستنزل الدموع لحسن لفظه، وصحة معناه، وشرف قائله، وأنه إذا سُمع علم أنه عن نية صادقة. قال:

[الطويل]

فَلِلْعَيْنِ سَحٌّ دَائِمٌ وَعُرُوبٌ  
فَقَلْبُكَ مُسْلُوبٌ وَأَنْتَ كَثِيبٌ  
وَأَحْمَدُ فِي الْعُيَاقِ لَيْسَ يَوْوبٌ  
سِوَايَ وَأَخْدَاتِ الزَّمَانِ تَنُوبٌ  
عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْمُقَامِ غَرِيبٌ  
كَبَاقِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ حِينَ تَغِيبُ  
بِقَلْبِي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ قَشِيبٌ  
بِأَضْدَاقِهِ لَمَّا تَشِينُهُ تُقُوبٌ  
سَقَاءُ الشَّدَى قَاهَشَرُ وَهُوَ زَطِيبٌ  
سَاءَ إِذَا يَوْمٌ يَكُونُ غَصِيبٌ  
وَمَوْئِسٌ قَضْرِي كَانَ حِينَ أَغْيَبُ  
بِهَا مِثُّهُ حَتَّى أَعْلَقْتَهُ شَعُوبٌ  
إِلَى أَنْ أَطَاحَتْهُ فِطَاحُ جَنُوبٌ  
مَسَاءَ وَقَدْ وَلَّتْ وَحَانَ عُرُوبٌ  
نَفْسِي لَذَّةِ الْأَخْلَامِ عَنْهُ هُبُوبٌ

نَأَى آجَرَ الْأَيَّامِ عَنكَ خَبِيبُ  
دَعْنَهُ نَوَى لَا يُرْتَجَى أَوْزَةُ لَهَا  
يَوْوبٌ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلُّ غَائِبِ  
تَبَدَّلُ دَاراً غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةَ  
أَقَامَ بِهَا مُسْتَوْطِناً غَيْرَ أَنَّهُ  
تَوَلَّى وَأَبْقَى بَيْنَنَا طَيْبٌ ذَكَرَهُ  
خَلَا أَنْ ذَا يَفْنَى وَيَبْلَى وَذَكَرَهُ  
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَالدُّرِّ يَلْمَعُ نُورُهُ  
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَالغَضَنِ فِي مُيَعَةِ الضُّحَى  
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ زَيْنَ الْفِنَاءِ وَمَعْقِلَ النُّدَى  
وَرِيحَانَ قَلْبِي كَانَ حِينَ أَشْمُهُ  
قَلِيلًا مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ يَزُودْ نَاطِرِي  
كَظِلِّ سَحَابٍ لَمْ يَقُمْ غَيْرَ سَاعَةٍ  
أَوْ الشَّمْسِ لَمَّا عَنْ غَمَامٍ تَحَسَّرْتُ  
كَأَنِّي بِهِ إِذْ كُنْتُ فِي السُّؤْمِ خَالِمٌ

- من قتله سنة ٢٠٢ هـ (وفيات الأعيان: ج ٤، ص ٤١).

(١) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور «أبو إسحاق» أخو هارون الرشيد ولاء دمشق دعا إلى نفسه عندما اختلف الأمين والمأمون سجنه المأمون ثم عفا عنه (١٦٢ - ٢٢٤ هـ) (الأعلام: ج

١، ص ٥٩).

فُلِّسْتُ حُطُوبَ الدُّغْرِ أَخْفِلُ بَعْدَهُ  
 وَلَا لِي شَيْءٌ عَنْهُ مَا عَشْتُ لُدَّةً  
 وَكَانَ نَصِيبَ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ لُدَّةٍ  
 وَكَانَ وَقَدْ آزَى الرِّجَالَ بِعَقْلِهِ  
 مَا تَشَاهَدَاهُ الرُّكَابُ لِحُسْنِيهِ  
 وَكَانَتْ يَدِي مَلَأَى بِهِ ثُمَّ أَضْبَحْتُ  
 زَكَّيْتُ بِهِ فِي الثَّانِيَاتِ إِذَا عَزَتْ  
 حَالَ الَّذِي يَجْتَاحُهُ السَّيْلُ بَعَثَةً  
 جَفَعْتُ أَطْبِيَاءَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يُصِبْ  
 لِمَ يَمْنُوكَ الْأَسْوَدُ دَفْعاً لِمَهْجَةٍ  
 نَأْبِكِيكَ مَا أَبْقَيْتَ دُمُوعِي وَالْبَكَاءَ  
 بِمَا لَاحَ نَجْمٌ أَوْ تَعَثَّتْ حِمَامَةٌ  
 أَضْمِرُ إِنْ أُنْقَذْتُ دَمْعِي لَوَعَةٌ  
 حَيَاتِي مَا كَانَتْ حَيَاتِي فَإِنْ أَمْتُ  
 عَمْرٌ عَلَيَّ أَنْ تَسْأَلَكَ ذُرَّةً  
 مَا زَالَ إِشْفَاقِي عَلَيْكَ عَشِيَّةً  
 مَا زَالَ إِشْفَاقِي عَلَيْكَ عَشِيَّةً  
 مَا لِي إِلَّا الْمَوْتُ بِعَدِّكَ رَاحَةً  
 صَفْتُ حَنَاحِي بَعْدَهَا هَذَا مِنْ كِبِي  
 نَأْضَبِحْتُ فِي الْهَلَاكِ إِلَّا حَشَاشَةً  
 مَا لَيْتُمَا فِي حَجَرٍ فَتَرَكْتُمَا  
 لَا رُزْءَ إِلَّا دُونَ رُزْءِ سَكَ رُزْؤُهُ  
 نَسِي وَإِنْ قُدِّمْتُ قَبْدِي لِعَالَمٍ  
 يَنْ صَبِيحاً لَلشَّمْسِ سِي مَسَائِهِ

وَلَوْ كَأَنَّ مَا بِنْتِ الْوَالِدِ يَشِيءُ  
 وَلَوْ بَلَّتْ مَا هَبَّتْ عَلَيْهِ هُبُوبُ  
 فَأَضْحَى وَمَا لِلْعَيْنِ مِنْهُ نَصِيبُ  
 فَإِنْ قَالَ قَوْلًا قَالَ وَهُوَ مُصِيبُ  
 وَيَفْحَمُ مِنْهُ الْكَهْلُ وَهُوَ أَرِيْبُ  
 بِعَدَلِ إلهِي وَهِيَ مِنْهُ سَلِيبُ  
 وَظَهَرِي مُنْتَدُ الْقَنَاةِ صَلِيبُ  
 فَيَفْتَقِدُ الْأَدْنَيْنِ وَهُوَ خَرِيبُ  
 ذَوَاءَكَ مِنْهُمُ فِي الْبِلَادِ طَبِيبُ  
 عَلَيْهَا لِإِشْرَاكِ الْعَمْنُونَ رَقِيبُ  
 بِعَيْتِي مَاءٌ يَا بِنْتِي يُجِيبُ  
 أَوْ أَخْضُرُ فِي فَرْعِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ  
 عَلَيْكَ لَهَا تَحْتِ الصَّلُوعِ وَجِيبُ  
 تَوَيْتُ وَفِي قَلْبِي عَلَيْكَ نُدُوبُ  
 يَمْسُكُ مِنْهَا فِي الْعَمْرِ ذَبِيبُ  
 حَوَاكُ بِهَا بَعْدَ التَّعِيمِ قَلِيبُ  
 وَمَا ذَاكَ فِيهَا جَسَدٌ وَجَبُوبُ  
 وَلَيْسَ لَنَا فِي الْعَيْشِ بِعَدِّكَ طَبِيبُ  
 أَحْوَكُ، وَرَأْسِي قَدْ غَلَاةً مَشِيبُ  
 تَذَابُ سِنَانِ السُّوقِ قَسْهِي سُودُ  
 صَدَى يَسْتَوْلِي تَارَةً وَيَسْوُوبُ  
 وَلَوْ قُتِلْتُ حُزْناً عَمَلِيكَ فَسُرُوبُ  
 بِأَنِّي وَإِنْ أَبْطَأْتُ سَدْتُ دَرِيبُ  
 صَبَاخٌ إِلَى قَلْبِي الْبَغْدَادُ حَبِيبُ  
 وَقَانِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ، أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ<sup>(١)</sup> يَرِثِي أَحَاهُ، يَمَالُ لَهُ

<sup>١</sup> إسماعيل بن القاسم بن محمد العبيد الغنزي «أبو العتاهية» شاعر مكث لا يحاط بشعره أكثره في الزهد والحكمة والأخلاق وكان جيد القول في التصريح ولد في عين التمر قرب الكوفة وتوفي في بغداد (١٣٠ - ٢١١ هـ) (الأعلام، ج ١، ص ٣٢١).

علي بن ثابت وكان علي ناسكاً فاضلاً أديباً شاعراً:

[الوافر]

ألا مَنْ لِي بِأَثْبِكَ أَنِي أَخِيَا      وَمَنْ لِي أَنْ أَثْبُكَ مَا لَدِيَا  
طَوْتُكَ خَطُوبَ ذَهْرِكَ بَعْدَ تَشْرِيرِ      كَذَلِكَ خُطُوبُهُ تَشْرَأُ وَطَيَا  
وَلَوْ نَشَرْتَ قُورَاكَ لِي الْمَنَايَا      سُكُوتَ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتَ إِلَيَا  
بِكَيْتُكَ أَنِي أَخِي بَدْرُ عَيْنِي      فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءَ عَلَيْنِكَ شَيْئَا  
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ      وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ بِمِثْكَ حَيَا

قال: أخذ هذا المعنى مما يؤثر عن بعض ملوك العجم أنه احتضر فحضره من يحضر الملوك من الحكماء حتى قضى. فقال ذلك الحكيم: كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس.

وقال أبو العتاهية أيضاً:

[الخفيف]

يَا عَلِي بِنَ ثَابِتٍ أَيَّنَ أَتْنَا      أَتَّ بَيْنَ الْقُبُورِ حَيْثُ دُفِنْنَا  
يَا عَلِي بِنَ ثَابِتٍ بِأَنْ مِنِّي      صَاحِبِ جِلِّ فَقْدُهُ يَوْمَ بِنْنَا  
قَدْ لَعْنَتِي حَكَيْتَ لِي عُصَصَ الْمَوْتِ      بَ وَحَرَكْتَنِي لَهَا وَسَكُنْنَا  
أخذ هذا المعنى من قول بعض الحكماء وحضر ميتاً، فارتفع البكاء عليه حين قضى، فقال الحكيم: حررنا بسكونه.

وقال فيه أيضاً:

[مجزوء الخفيف]

صَاحِبِ كَأَنَّ لِي هَلْكَ      وَالسُّبَيْلُ الَّذِي سَلَكَ  
يَا عَلِي بِنَ ثَابِتٍ      غَفَرَ اللَّهُ لِي وَذَكَ  
كُلُّ خِيٍّ مُمْلُوكِ      سَوَّفَ بِفَنِي وَمَا مَلَكَ

قال أبو العباس: وأنشدني أبو محمد التوزي لرجل من قيس يرثي ابنه:

[الطويل].

أَجَازَتْنَا لَا تَجْزَعِي وَأَنْيَبِي      أَنَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمُطْلِ تَصِيبي  
بُنِي عَلِي عَيْنِي وَقَلْبِي مَكَائُهُ      تَوَى بَيْنَ أَحْجَارٍ وَبَطْنِ جَبُوبِ  
عَجِبْتُ لِاسْرَاعِ الْمَبِيتَةِ نَحْوَهُ      وَمَا كَانَ لَوْ مُلِيتُهُ بِعَجِيهِ  
وَمَا هَدَى رُكْنِي أَنْ سَلِبْتُ جَمَالَهُ      عَلِي أَنِّي أَرْتِي لِكُلِّ سَلِيهِ



نَبَرْتُ عَلَى خَيْرِ الْفُتُو<sup>(١)</sup> رُزْنَتَهُ  
 مَا جَزَعِي مِنْ نَازِلٍ عَمَّ فَجَعُهُ  
 عَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ مُحَمَّدٍ  
 كَانَ كَرِيحَانَ الْعُرُوسِ بِقَاوُهُ  
 يَا حَزْنَا نُغَضَّتْ قُرْبُ مُحَمَّدٍ  
 غَرُّ طَوِيلِ السَّاعِدَيْنِ مُشْتَبِعُ  
 عَثَةُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِصَوْتِهَا  
 سَأَصْبَحَتْ أَيْدِي لِلْعَدُوِّ جَلَادَةٌ  
 ذَكَرْنِي نَوْحُ الْحَمَامِ فِرَاقُهُ  
 إِلَيَّ كُلُّ يَوْمٍ عَبْرَةٌ لَا أُنْفِضُهَا  
 فَظَلُّ لِأَحْدَاثِ الْمَنُونِ مَفْرَعًا  
 ذَا شَيْئٍ رَاعَيْتَنِي مُقِيمًا وَظَاعِمًا  
 عَدَا سَلَفٌ بِنَا وَهَجَرَ رَائِحُ  
 زَمَا نَحْنُ إِلَّا كَالْخَلِيطِ الَّذِي مَضَى  
 لَوْ مَلَّ عَيْشًا فِي حَيَاةٍ دَمِيمَةٍ  
 وَمَا خَيْرُ عَيْشٍ لَا يَزَالُ مَفْرَعًا

وَنَوْلَا اتِّقَاءَ اللَّهِ طَالَ نَحِيبِي  
 وَمِنْ وَرْدِ آبَارِي وَقَضْدِ شَعِيبِي  
 لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا تَزْعَمُوِي لِطَبِيبِي  
 دَوَى بَعْدَ إِشْرَاقِ الْعُصُونِ وَطِيبِي  
 وَأَيُّ فِتْنَى نُغَضَّتْ يَوْمَ رُكُوبِي  
 كَسَيْفِ الْمِحَامِي هَزَّ غَيْرَ كَذُوبِي  
 فَلَيْلُهُ مِنْ ذَاعِ دَعَا وَمُجِيبِي  
 وَيَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ هُنَاكَ كَثِيبِي  
 وَإِزْنَانِ أَبْكَارِ النَّسَاءِ وَثِيبِي  
 لِأَحْطَى بِصَّبْرٍ أَوْ بِحِطِّ دُنُوبِي  
 كَأَنَّ نُوَادِي فِي جَنَاحِ طَلُوبِي  
 مَصَارِعُ شُبَّانِ لُدِّي وَثِيبِي  
 عَلَى أَثَرِ الْغَادِيْنَ قَوْدُ جَنِيبِي  
 فَرَايَسَ ذَهْرٍ مُخْطِئِي وَمُصِيبِي  
 أَضْرَبَتْ بِأَبْدَانِنَا وَقُلُوبِي  
 بِقُوتِ نَعِيمٍ أَوْ بِمَوْتِ حَبِيبِي

قال أبو العباس: حدثنا المغيرة بن محمد المهلب عن الزبير بن بكار الزبيري عن سليمان بن العباس السعدي قال: جاء عبد الله بن عمر العبلي<sup>(٢)</sup> إلى «سويقة»<sup>(٣)</sup> وهو طريد بني العباس وكان ذلك بزمان خروج ملك بني أمية وانتقاله إلى بني العباس، قاصداً لعبد الله وحسن، ابني حسن، فاستنشدته عبد الله من شعره فأنشدهم فقالوا: نريد من شعرك ما رثيت به قومك، وما كان من أمركم وأمر القوم فأنشدهم قوله:

[المقارب]

(١) الْفُتُو: جمع فتى.

(٢) عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عدي «أبو عدي» بن عبد شمس ينسب إلى جدته «عيلة بنت عبد الله التميمية» وولاه محمد ذو النفس الزكية «الطائف» وهرب إلى اليمن بعد مقتل محمد سنة ١٤٥ هـ (الأعلام: ج ٤، ص ١٠٩).

(٣) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه و (مواضع كثيرة في البلاد) (معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٨٦).

تَقُولُ أَمَامَهُ لَمَّا رَأَتْ  
 وَقِيلَ تَوَمِّي عَلَى مَضْجَعِي  
 أَبِي، مَا عَرَكَ؟ فَقُلْتُ: الهمو  
 عَرَيْنَ أَبَاكَ فَحَبَسْنَاهُ  
 لِتَقْدِ الْعَثِيرَةَ إِذْ نَالَهَا  
 زَمَتْهَا الْمَنُونُ بِلا نُضَلِّي  
 بِأَسْهُمِهَا الْخَالِيسَاتِ الثُّفُونِ  
 فَضَرَعَاهُمْ فِي نَوَاحِي الْبِلَا  
 ثَقِيَّ أَصِيبَ وَأَثْوَابُهُ  
 وَأَخْرُقُ قَدْ زَسْتُ فِي حُنْفَرَةٍ  
 فَكُنَّ مِنْ كَوَابِ بَوَاكِي الْعُيُ  
 إِذَا مَا دَكَّرْتَهُمْ لَمْ تَنْتَمِ  
 يُرْجَعْنَ بِمِثْلِ بُكَاءِ الْخَمَا  
 فَذَلِكَ الَّذِي غَالَنِي فَاصْطَمِي  
 وَفِي ذَلِكَ أَشْيَاءُ قَدْ صِغَفْتَنِي  
 أَفَاضَ الْمَدَامِغَ قَتَلَنِي كُدَى<sup>(١)</sup>  
 وَبِالزَّابِيَيْنِ<sup>(٢)</sup> نَفْسٌ تَوْتُ  
 أَوْلَيْتُكَ قَوْمٌ أَذَاعَتْ بِهِمْ  
 فَذَلَّتْ قَنَاتِي لَمَنْ رَامَهَا

تَشُوذِي عَنِ الْمَنْزِلِ الْمُتَّفِيسِ  
 لَدَى مَجْمَعَةِ الْأَعْيُنِ الثُّمُوسِ:  
 مُمْ عَرَيْنَ أَبَاكَ فَلَا تُبْلِسِي  
 مِنَ الطَّرْدِ فِي شَرِّ مَا مَحْبَسِ  
 يَسْهَمٌ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُوَسِّ  
 وَلَا طَائِشَاتٍ وَلَا نُكُوسِ  
 مَتَى مَا تُصِيبُ مِنْجَةَ تَخْلِيسِ  
 دِ مَلَقَى بِأَرْضٍ وَلَمْ يُزْنَسِ  
 مِنَ الْعَارِ وَالْعَيْبِ لَمْ تُذَنَسِ  
 وَأَخْرُقُ طَارَ فَلَمْ يُخَمَسِ  
 نِ حَزْنًا وَمِنْ صَبِيَّةٍ بُؤْسِ  
 صِبَاخِ الْوُجُوهِ وَلَمْ تُجَلِّسِ  
 مِ فِي مَاتَمِ قَلْبِي الْمَجْلِسِ  
 وَلَا تَسْأَلِينِي وَتَحْتَجِجِي  
 وَلَسْتُ لَهُنَّ بِمُسْتَحْلِسِ  
 وَقَتَلَنِي بِكُفْرَةٍ لَمْ تُزَمَسِ  
 وَقَتَلَنِي بِشَهْرِ أَبِي قَطْرَسِ  
 حَوَادِثُ مِنْ زَمَنِ مُشَمَسِ  
 وَأَنْزَلَتِ الرَّغَمَ بِالْمَغَطَسِ

قال: فلما أتى عليها استبكى محمد بن عبد الله بن حسن، فنظر عبد الله إلى أخيه حسن فقال: مالك تنظر إلي! أما والله، لو كان ابنك على غير ما ترى لكان خيراً لنا ولك. فأقبل محمد على عمه بإظهار الشفقة على بني العباس ويقول: إنهم ليسوا كبني أمية لقرب بني العباس من رسول الله ﷺ، وقام الحسن إلى منزله فبعث إلى العجلي بخمسين ديناراً، وأمر له عبد الله، ومحمد وإبراهيم ابناه، كل واحد بخمسين ديناراً. وكانت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زعنة مقتنية بالعجلي.

(١) كُدَى: موضع بمكة وفيه اختلاف (معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٤١).

(٢) الزابيون وقطرس: نهران الزابيان قرب إربل والثاني قرب الرملة (معجم البلدان: ج ٣، ص ١٢٥) و (ج ٤، ص ٢٦٧).

وهند المذكورة هي امرأة عبد الله بن حسن، ومحمد وإبراهيم ولداها.  
ال العبلي:

[الوافر]

سَامَ تَوِيَّ بِثَبِّ أَبِي عُيَيْدٍ      بِحَيْرِ مَنَازِلِ الْجِيرَانِ جَارَا  
سَاهَمَ خَائِفًا وَجَلًّا طَرِيدًا      فَصَادَفَ حَيْرَ دُورِ النَّاسِ دَارَا  
أَذَمَ الْجَوَازَ نَزِيلَ قَوْمٍ      فَكَرَّزَهُمْ وَلَمْ أَذُمَّ جَوَارَا  
فَقَالَتْ هِنْدُ لِعَبْدِ اللَّهِ وَابْنِهَا مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ: وَاللَّهِ مَا مَدَحَكُم بِأَفْضَلِ مِمَّا  
حَنِي بِهِ فَلْتُعْطُهُ عَنِي مِثْلَ مَا أَعْطَاهُ أَحَدُكُمْ. فَأَعْطَوْهُ عَنْهَا خَمْسِينَ دِينَارًا.

فقال الرُّبَيْزِيُّ: إِنَّمَا يُنْسَبُ عَبْلِيًّا مَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ أُمِّيَّةِ الْأَصْغَرِ، وَلَيْسَ عَبْدُ اللَّهِ  
ذَا مِنْ وَلَدِهِ، إِنَّمَا أُمِيَّةُ عَمِّهِ.

يقال: فلان يقنفي بفلان إذا كان يؤثره، والقَفِيئَةُ: الطعام يؤثر به الرجل  
أحدًا يُقَدِّمُهُ. ويقال للرجل يُخْتَارُ وَيُقْصَدُ بِالرِّبْرِ: أَلْقَيْتُ قَفِيئِي عَلَيْكَ.

وقال أحد الأعراب الفصحاء:

[الطويل]

عَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ      نَعِيُّ حَيْبِي أَنْ سَيَذُكُمُ هَوَى  
جَلَّ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي      إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى  
مَتَى قَبْلَ لَمْ تَعْنَسِ السُّنُّ وَجْهَهُ      سَبَى شُهْبٍ فِي الرُّؤْسِ كَالْفَجْرِ فِي الدُّجَى  
سَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ فَجَاءَهَا      يُقْفَعُ بِالْأَقْرَابِ أَوْلَ مَنْ أُنَى  
لَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِيَهُ      فَادَى وَآسَاءُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى  
وقال أيضاً يرثيه:

[الوافر]

لَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى      وَلَهْفَ السَّابِكِيَّاتِ عَلَى حَيْبِي  
عَمْرُكَ مَا حَشِيْتُ عَلَى حَيْبِي      مِتَالِفَ بَيْنِ مَجِيدِ وَالسُّلَيْبِي  
لَكِنِّي حَشِيْتُ عَلَى حَيْبِي      جَرِيرَةَ زُمَجِهِ فِي كُلِّ حَيْبِي  
وقالت امرأة من كندة ترثي إختوها:

[الطويل]

بَوَا أَنْ يَفِرُّوا وَالقَنَا فِي نُحُورِهِمْ      فَمَاتُوا وَأَطْرَافُ القَنَا تَقْطُرُ الدَّمَا  
يَسُو أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعْرَةَ      وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمَا

هُوتَ أَمْهُمَ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صُرِعُوا بِجَيْشَانِ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصْرَمَا  
وقال رجل من الخوارج يرثي عدداً منهم<sup>(١)</sup>:

[الوافر]

أَلَا فِي اللَّهِ لَا فِي الثَّاسِ سَأَلْتُ  
مَضَوْا قِتْلًا وَتَشْرِيدًا وَصَلْبًا  
إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابِدُوهُ  
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا  
وقالت الكندية:

[البيط]

لَا تُخْبِرُوا الثَّاسَ إِلَّا أَنْ سَيِّدَكُمْ  
أَعْنِي فَتَى لَمْ تَهَبْ الرِّيحُ رَائِحَةَ  
الْوَاهِبِ الْأَلْفَ لَا يَبْغِي لَهَا ثَمَنًا  
وقال أبو عبد الرحمن العثبي<sup>(٢)</sup>:

[البيط]

قَدْ كُنْتُ أَبْكِي عَلَى مَنْ فَاتَ مِنْ سَلْفِي  
وَالآنَ إِذْ فُرِّقْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ  
وَمَا بَقَاءُ أَمْرِيءٍ كَانَتْ مَدَامَعُهُ  
وَأَهْلُ وَدِي جَمِيعٌ غَيْرُ أَشْتَابِ  
نَوَى بَكَيْتُ عَلَى أَهْلِ الْمَوَدَاتِ  
مَفْسُومَةٌ بَيْنَ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ  
وكان أبو عبد الرحمن وسيطاً في قزيش، من ولد عتبة بن أبي سفيان.  
وكان معدناً من معادن العلم بالأخبار - جاهليها وإسلاميتها - وكان بالإسلامي  
أخبر. وتوالى له بنون موتاً. وورثاهم مرثي كثيرة نذكر بعضها مع ما في غيرهم  
من المرثي إن شاء الله.

فمن ذلك قوله:

[الكاسن]

أَضْحَيْتُ بِخَدِّي لِلدَّمْرِجِ زَسُومُ  
وَالطَّبِيرِ يُخْنَدُ فِي الْمَجْزَيْبِ كُنْهًا  
أَسْفَا عَلَيَّكَ وَفِي الْفَيْدِ كُنُومُ  
لَا أَسْأَلُكَ فِسَالَةَ مَدْمُومُ

(١) هو سدي من فاتك الخطيبي.

(٢) معاصره بن عبيد الله بن عمرو أبو عبد الرحمن الأموي، من بني عتبة ابن أبي سفيان: أديب كثير  
الأخبار حسن الشعر من أهل البصرة ووفاته فيها (..../٢٢٨ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٢٥٨).

أ واحداً مِنْ مِثَّةِ أَنْكَثْتَهُمْ  
وَلَا مَعَالِمُ رُوبِيَهِنَّ لِمَا اهْتَدَى  
وقال أيضاً:

حُفِرَ أُنْقَسُمُ بَيْنَهُمْ وَرُجُومُ  
لِحَمِيمِهِ بَيْنَ الْقُبُورِ حَمِيمُ

[المنرح]

وَذُقْتُ تُكْلًا مَا ذَاقَهُ أَحَدُ  
ذَابَ عَلَيْهَا الْفُؤَادُ وَالْكَبِيدُ  
وَوَقْتُ فَنَسِيرَانِ حَرْهَا تَقِيدُ  
أَحْشَاءِهِ مَنْ لَمْ يَمُتْ لَهُ وَلَدُ  
إِلَّا لَيْلًا لَيْسَتْ لَهَا عَدَدُ  
جَمْرٍ وَأَذْنَى أَرْجَائِهَا الْكَمَدُ  
فَمِرٌّ وَحُزْنِي يُسْجِدُهُ الْأَبْدُ

لِلْإِنْسَانِي عَنِ وَضْفٍ مَا أَجْدُ  
أَوْطَيْتُ حُرْقَةً خَشَائِي فَقَدُ  
أَزْمَعْتُ بِالْعَزَاءِ لُجَّ بِهَا الشَّدُ  
عَالَجُ الْحَزْنِ وَالْحَرَاةِ فِي الْـ  
جَعْتُ بِابْنَيْنِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا  
بِالثُّغْرِ تُطْوَى عَلَى أَحْرَمٍ مِنَ الْـ  
كُلُّ حُزْنٍ يَبْلَى عَلَى قَدَمِ الدُّ

ويروى عن الحسن البصري أنه قال: قدم علينا بشر بن مروان<sup>(١)</sup> وهو شرف الناس، وأجمل الناس، وأشب الناس، ابن خليفة وأخو خليفة، فلبث خمسة وأربعين يوماً ثم طعن في نبطه فمات. فعُرج به إلى قبره والناس معه. جاء سودان ثلاثة يحملون أسود، فدفن هذا وهذا. وخرجت إلى الصحراء ثم رجعت وقد انصرف عنهما، فلم أعرف قبر هذا من قبر هذا.

قال أبو العباس: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك المعروف بالزيات. وحدثني بهذا الحديث الذي ذكره غيره أيضاً - أن محمد بن عبد الملك<sup>(٢)</sup> كانت له جارية وكان بها ضنيناً، وكان له منها ابنٌ يقال له عمر وهو باق الآن، نماتت وابنها هذا صغير. وسمعت أبا أيوب سليمان بن وهب<sup>(٣)</sup> يتحدث بقطعة

(١) بشر بن مروان بن الحكم: ولي إمرة العراقيين في عهد أخيه عبد الملك وتوفي في البصرة (ل/ ٧٥ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٥٥).

(٢) محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة «أبو جعفر» المعروف بابن الزيات وزير المعتصم والوائق العباسيين وعالم باللغة والأدب من بلغاء الكتاب والشعراء عمل على تولية ابن الواثق وحرمان المتوكل فنتكبه المتوكل وعذبه حتى الموت وكان من العقلاء الدهاة (١٧٣ - ٢٢٣ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٢٤٨).

(٣) سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن فنال: من أسرة كلها كتاب للخلفاء الأمويين والعباسيين كتب سليمان للمأمون ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله والمعتمد على الله مات في حبس الموفق بالله (ل/ ٢٧٢ هـ) (وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٤١٥).

من خير محمد بن عبد الملك في ضته ببنه هذا. فرثاها بيتين هما جاريان على  
السن الناس مشهوران:

[الطويل]

يَقُولُ لِي الْجَلَانُ لَوْ رُزْتُ قَبْرَهَا  
عَلَى حَالٍ لَمْ أَحْدِثْ فَأَجْهَلْ عَهْدَهَا  
وَرثَاها فقال شعراً يَقْرُبُ من القلب، وَيُضْطَرُّ إلى تصديقه، وَيُرتاح لعهد  
قائله، وَيُرْحَمُ لشكوى بته وهو:

[الطويل]

أَلَا مَنْ رَأَى الطَّفَلَ الْمَفَارِقَ أُمُّهُ  
رَأَى كُلَّ أُمٍّ وَابْنِهَا غَيْرَ أُمِّهِ  
يَبْرُنُ بِصَوْتِ قَضِّ قَلْبِي نَشِيجُهُ  
وَبَاتَ وَحِيداً فِي الْفِرَاشِ تَحْتُهُ  
أَلَا إِنَّ سَجْلاً وَاجِداً إِنَّ هَرَفْتُهُ  
فَلَا تَلْحِيَانِي إِنْ بَكَيتُ فَإِنَّمَا  
وَإِنْ مَكَاناً فِي الثَّرَى خَطَّ لَحْدَهُ  
أَحْسَى مَكَانَ بِالرِّيَازَةِ وَالْهَوَى  
فَهَبْنِي عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنِّي  
ضَعِيفُ الْقَوَى لَا يَطْلُبُ الْأَجْرَ جُنْبَهُ  
أَلَا مَنْ أَمْنِيهِ الْمُنَى وَأَعْدُهُ  
أَلَا مَنْ إِذَا مَا جِثْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي  
فَلَمْ أَرْ كَالْأَيَّامِ كَيْفَ تُصِيبُنِي  
وَلَا بِمِثْلِ أَيَّامٍ فَجِثْتُ بِمَقْدِهَا  
أَعْيُنِي إِلَّا تُسْعِدَا الْيَوْمَ غِبْرَتِي  
أَعْيُنِي إِنْ أَنْعَ الشُّرُوزُ وَأَهْلُهُ  
أَعْيُنِي إِنْ أَبَكَ الْبَشَائِثُ وَالضُّبَا  
أَلَا إِنْ بَيْتاً لَمْ أَزُرْهُ لَشَدُّ مَا  
أَلَا إِنْ بَيْتاً لَمْ أَزُرْهُ لَعَرُّ مَا  
وقال رجل من الأنصار يذكر امرأة كانت له، وكانت به برّة، وله حافظة إذا  
غاب، وسارة إذا حضر، فأصيب بها:

[الطويل]

مَا لِهَذَا النَّبِيْتِ بِذِي أَهْلٍ      تَنَكَّرْتَ مَا قَدْ كُنْتَ تَأْتِفُ مِنْ قَبْلِي  
 مَا جَارَتْهَا لَا تَبْعُدِي خَيْرَ جَارَةٍ      لِبَغْلِي وَأَخْنَاهُ عَلَى وَلَدِ طِفْلِي  
 لِمَا أَتْنِي كُنْتُ الْعَلِيلَ لِأَيَقَطَّتْ      بِنَيْهَا وَمَا نَامَتْ وَلَا فَعَلْتُ فِغْلِي  
 وقال رجل من بني شيبان<sup>(١)</sup> يرثي معن بن زائدة<sup>(٢)</sup>:

[الطويل]

حِينَ نَوَى مَعْنٌ نَوَى الْجُودَ وَالنَّدَى      يَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ آخِرُ خُطْبَةٍ  
 مِنْ الْأَرْضِ خُطِبَ لِلْمَكَارِمِ مَضْجَعَا      وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَحْرُ مُشْرَعَا  
 لِي قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودَ مِثَّتْ      كَمَا عَادَ غَيْثٌ بَعْدَ جَدْوَاهُ مَرْتَعَا  
 وقال عبد الصمد بن المعذل<sup>(٣)</sup> يرثي سعيد بن سلم. وشهرة أفعال سعيد  
 بُعْدَ صَيْتِهِ فِي عَقْلِهِ وَأَدْبِهِ، وَجَاهِهِ وَقَدْرِهِ، وَكَثْرَةَ مَعْرُوفِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ،  
 نَبِيَّةٌ عَنْ ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ:

[البيسط]

مَا لِلسَّمَاءِ عَلَيْهِ لَيْسَ تَنْفِطِرُ      لِلْبِلَادِ أَلَا تَسْمُو زَلْزَلِهَا  
 تَأْتِي النَّدَى وَأَبَا عَمْرٍو يَضْمَمُهَا      وَمَكْرُمَاتِ طَوَاهَا التُّزْبُ وَالْمَدْرُ  
 أَلَا طَالِبًا وَزَرًّا مِنْ زَيْبٍ حَادِثَةٍ      أَوْى سَعِيدًا فَلَا كَهْفَ وَلَا وَزْرُ  
 كَى عَلَيْكَ عِيُونَ الْحَيِّ مِنْ يَمِينِ      مِنْ فَضْلِ نَعْمَاكَ لَا يَجْزِي بِهَا شُكْرُ  
 لُ الْقَبَائِلِ قَدْ زَدَيْتَ أَرْذِيَةَ

(١) الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي: شاعر متقدم في القصيد والرجز من مخضرمي الدولتين  
 الأموية والعباسية وفد على معن بن زائدة في اليمن ومدحه ولعنا مات رثاه (... / ١٦٩ هـ)  
 (الأعلام: ج ٢، ص ٢٦٠).

(٢) معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني: أبو الوليد من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان  
 الفصحاء أدرك العصرين الأموي والعباسي وكان مكرماً ولاء المنصور لدفاعه عنه يوم الهاشمية على  
 اليمن ثم سجستان قتل غيلة (... / ١٥١ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٧٣).

(٣) عبد الصمد بن المعذل بن غيلان: «أبو القاسم» شاعر عباسي كان هجاءً سكيراً (... / ٢٤٠ هـ)  
 (الأعلام: ج ٤، ص ١١).

ما خصّ زُزوك لا قنيساً ولا مضراً  
 لو كان ينكي كتاب الله من أحد  
 أبو الأرميل والأيتام ليس له  
 لنهايين مصاد غير مطلع  
 من كل أفتى إليه العيس مغلّة  
 المصاد: رأس الجبل يتحصن فيه الخائفون، كما قال أوس بن حجر:

إن الرزية مغموم بها البشر  
 لبطول إلف بكثك الآي والشور  
 إلا مراعاتهم هم ولا وطر  
 وللعفاة جناب منزع خصر  
 وكل حي على أبوابه زمر  
 المصاد: رأس الجبل يتحصن فيه الخائفون، كما قال أوس بن حجر:

[الطويل]

إذا أبرز الخوف الكعاب فإئتهم  
 مشيع لا يفوت الذخل صولته  
 لا يزدهيه لغير الحق منطقه  
 ثبت على زلل الأيام مضطبع  
 سامي الجفون يروق الطرف منظره  
 الجلم يضيئه والعلم ينطقه  
 لم تنم همته يوماً إلى شرف  
 يغطي فوق الثنى من فضل نائله  
 يزيد مغروقه كبراً ويرفعه  
 وليس يسعى لغير الحمدي كسبه  
 عف الضمير رحيب الباع مضطبع  
 ما انقك في كل فج من ندى يده  
 لو هاب عن عزة أو نخدة قدر  
 لينك ففدك أطراف البلاد كما  
 ولينبك المزميلون الشعث صمهم  
 وذات هذمين تزجي ذردقا قزماً  
 وينبك الذين الدنيا لبرغبيها  
 كفلت عشرة أقوام مهاجرة  
 وقد نصرت وقد أوتت محتسباً  
 يا رب أزلمة منهم ومكتهل  
 لئله شمل جميع كان ملتئماً  
 أمسى لفقديك ظهر الأرض محتسباً

مصاد لمن يأتي إليهم ومغقل  
 وأكرم الناس عفواً حين يقتدر  
 ولا تناجيه إلا بالثقى الفكر  
 بالثابتات لصعب الدهر مقتير  
 وأظهر الناس غيباً حين يختبر  
 وفي ثقى الله ما يأتي وما يذر  
 إلا حباء بما يسمو له الظفر  
 وليس يغطيك إلا وهو معتذر  
 إن الجسم لذيذ منه محتقر  
 وليس إلا من المغروف يدخر  
 لحزيمة الله والإسلام منتصر  
 للبئس جودان: مخوي ومثظفر  
 من البرية خلقاً هابك القدر  
 لم يخل من نعمة أسديتها فطر  
 من كل أوب إلى أبياتك السفر  
 مثل الرئال حباها البؤس والكبر  
 والبر والبخر والإعسار واليسر  
 عثمان جدهم أو جدتهم عمر  
 «أبناء قوم هم أووا وهم نصروا»  
 أئتمته وهو مبيض له الشعر  
 أضحى ليوم سعيد وهو منتشر  
 بادي الكابة واختالت بك الحفر



جِيَاكَ عَمَرُو وَزَوْلَاةُ وَإِخْوَانُهُ  
 هَمَّتْهُمْ طَوْعُهُ فَانْقَادَ رُشْدُهُمْ  
 أَنَّهُمْ كَنَفَاءُ وَهَوَّ بَيْنَتْهُمْ  
 نَوْ قَتَيْبَةُ نُوْرُ الْأَرْضِ نُورُهُمْ  
 تَشَاكَهَتْ الْأَيَّامُ وَاشْتَبَهَتْ  
 مَا تَوَيْتَ فَمَا ابْتَقَيْتَ مَكْرُمَةً  
 اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ لَوْ نَطَقَتْ  
 نَ الْتَدَى فِي شَهْرِ الْحَوْلِ مُقْتَسِمًا

قال: وكان سعيداً عامراً لطريق السير، عواداً على الأيتام والأرامل، وعلى  
 إماء المهاجرين والأنصار. وكان حسن العزاء، وكان يُقدِّم من بنيه عمراً وسلاماً  
 ناه موت ابن له يقال له العباس في يوم مات سلمٌ بحضرته، وكانت ميتة العباس  
 لزماناً<sup>(١)</sup>، قتله بها الخوارج، فذكر الحسنُ بن رجاء أنهم دخلوا عليه مع  
 جاء بن أبي الضحاك ليُعزِّوه عنهما، فرأوا عنده من العزاء ما لو شهدته من لم  
 رف القصة لظنُّ أنه المعزِّي.

وحدثني ابنُ لموسى بن سعيد بن سلم أن سعيداً كان عنده قومٌ على الطعام  
 ، عقب موت سلم، فحدثهم حديثاً ثم قال لهم، واللقمة في يده: حدثني بهذا  
 ي سلم رحمه الله. ثم وضع اللقمة في فيه.

وقال عبد الصمد فيه:

[الخفيف]

بُ طِفْلٍ نَعَشْتُهُ بَعْدَ يَثْمٍ      وَقَفِيرٍ اغْتَيْبْتُهُ بَعْدَ عُدْمِ  
 لَمَّا عَضَّتِ الْحَوَادِثُ نَادَى      رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلْمِ

وقال عبد الصمد يرثي عمرو بن سعيد بن سلم:

[الطويل]

رَيْقًا دَعَا إِنْ أَنْفَدَتْ عَبْرَةَ تَجْرِي      أَبِي الصَّبْرِ أَنْ الرُّؤْيَا جَلَّ عَنِ الصَّبْرِ  
 لَا تَجْمُدَا عَيْنِي قَدْ حَسَّنَ الْبُكَاءُ      وَقَرِظَ الْأَمْسَى فَقَدْ الْمُغْتَيْبِ فِي الْقَبْرِ  
 يُغْرِكَمَا بِالْبَيْتِ أَنْ لَسْتُ وَإِقْفَاءُ      مِنَ الصَّبْرِ يَوْمًا بَعْدَ عَمْرٍو عَلَى عُدْرِ

(١) كزمان أو كزمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان (معجم

سَلامَ وَسُقَيَا مِن يَدِ اللَّهِ تَرَةً  
 جَرَتْ فَوْقَهُ الْأَرْوَاحُ أَمْنًا لِحَزْرِهِ  
 تَوَلَّى التَّدْيَ وَالْبَأْسَ وَالْحِلْمَ وَالتَّقَى  
 فَإِنْ تَطَوَّه الْأَيَّامَ لَا تَطَوُّ بِغَدِّهِ  
 مَتَى تَلَقَّه لَا تَلَقَّ إِلَّا مُنْتَعِمًا  
 وَأَيُّ مَحَلٍّ لَا لِكَفْيِهِ نِعْمَةٌ  
 وَمَا اخْتَلَفَتْ حَالًا إِلَّا زَائِنَةٌ  
 وَمَنْ تَكُن الْأَوْراقُ وَالتُّبْرُ دُخْرُهُ  
 كَمَا حَالَتِيهِ الْجُودُ أَنَّى تَصْرُفَتْ  
 وَمَا عِدِمَتْ يَوْمًا لِكَفْيِهِ أَنْعَمُ  
 وَمَا انْتَسَبَتْ إِلَّا إِلَيْهِ صَنِيعَةٌ  
 يَرَى غَيْبًا يَوْمًا يَمُرُّ وَلَيْلَةٌ  
 تُغْضُّ لَهُ الْأَبْصَارُ عِنْدَ اجْتِلَالِيهِ  
 تَرَى جَهْرَهُ جَهْرَ التَّقَى وَيَسْرُهُ  
 وَلَمْ يَضْحُ مِنْ يَوْمٍ وَلَمْ يَمْسَ لَيْلَةٌ  
 وَكَانَتْ نَعْمُ النَّاسِ نِعْمَاءَ كَفِّهِ  
 تَنَاعَاهُ أَقْطَارُ الْبِلَادِ تَفْجَعًا  
 تَبَاشَرَ بَطْنُ الْأَرْضِ أَنْسًا بِقُرْبِهِ  
 وَلَمْ تَكُ تُسْقَى الْأَرْضُ إِلَّا بِسِنِيهِ  
 إِذَا نَشَأَتْ يَوْمًا لِكَفْيِهِ مُزْنَةٌ  
 هَوَى جَبَلُ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مَعْقِلًا  
 عَجِبْتُ لِأَيْدِي الْحَتَفِ كَيْفَ تَغْلَغَلَتْ  
 وَمَا كُنْتُ بِالْمُعْضِي لِيَذْهَبَ عَلَى الْقَدَى  
 وَلَوْ دَفَعَ الْعِزُّ الْجَمَامَ عَنِ امْرِئِهِ  
 أَلَمْ تَكُ أَنْسَابُ الرُّدَى طَوْعَ كَفِّهِ  
 إِذَا صَاحَ دَاعِي الرُّوْعِ سَارَ أَمَامَهُ

عَلَى جَسَدِ بَالٍ بِلَمَاعَةِ قَفْرِ  
 وَقَدْ كُنْ حَسْرَى حِينَ يَجْرِي كَمَا تَجْرِي  
 فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَعْدَ عَمْرِ وَيَسْوَى الذُّكْرِ  
 صَنَائِعَ مِنْهُ لَا تَبِيدُ عَلَى التُّشْرِ  
 جِمَاهُ، مَضُونُ الْعِرْضِ مُبْتَدَلُ الْوَفْرِ  
 عَلَى أَهْلِيهِ مِنْ أَرْضِ بَرْ وَلَا بَحْرِ  
 زَكُوبُ الَّتِي تُسَبِّي هَيُوبُ الَّتِي تُزْرِي  
 فَمَا كَانَ غَيْرَ الْحَمْدِ يَزْغِبُ فِي دُخْرِ  
 بِهِ دَوْلُ الْأَيَّامِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ  
 تُضَافُ لَهُ مِنْهَا عَوَانٌ إِلَى بَكْرِ  
 وَمَا تَطَقَّتْ إِلَّا بِهِ أَلْسُنُ الْقَحْرِ  
 عَلَيْهِ وَلَمْ يَكْسِبْ طَرِيقًا مِنَ الشُّكْرِ  
 وَلَيْسَ بِهِ إِلَّا الْجَلَالَةُ مِنْ كِبْرِ  
 إِذَا مَا اخْتَبَرْتَ السَّرَّ اتَّقَى مِنَ الْجَهْرِ  
 بِغَيْرِ اكْتِسَابِ الْحَمْدِ مُشْتَبِلِ الْفِكْرِ  
 فَعَمُوا عَلَيْهِ بِالْمُصِيبَةِ وَالْأَجْرِ  
 لِمَضْرَعِهِ تَبْكِيهِ قَطْرًا إِلَى قَطْرِ  
 وَأَضْحَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ حَاشِعَةُ الظُّهْرِ  
 إِذَا مَا جَفَا أَقْطَارُهَا سُبُلُ الْقَطْرِ  
 أُدْبِلُ الْغِنَى فِي كُلِّ قَجٍّ مِنَ الْقَفْرِ  
 وَعِزًّا لِيَدِينِ اللَّهِ، ذَلًّا عَلَى الْكُفْرِ  
 إِلَيْكَ وَبَيْنَ التُّشْرِ بَيْنُكَ وَالتُّشْرِ<sup>(١)</sup>  
 وَلَا لَبِينَ لِلْحَادِثَاتِ عَلَى الْقَسْرِ  
 لَمَّا نَالَ عَمْرًا لِلْجَمَامِ شِبَا ظْفْرِ  
 تُجِبُّ لِمَضْرَفِي مَا يُرِيشُ وَمَا يَنْبِرِي<sup>(٢)</sup>  
 لِيُؤَاهِي مَعْقُودَانِ بِالْفَتْحِ وَالتُّشْرِ

(١) النسران: كوكبان «النسر الطائر» و «النسر الواقع».

(٢) فلان لا يريش ولا يبري: لا يفتح ولا يضر. بري السهم: نحته وراشه: جمع له ريشاً.

سَمُّ آجَالِ الْعَبْدَى عَزَمُ بِأَبِيهِ  
 مَا دُبُّ إِلَّا عَنِّ جَمَى الدِّينِ سَيْفُهُ  
 إِذْ كَانَ يَغْرِي الْخَنَفَ أَعْدَاءَ سِلْمِهِ  
 لِي أَبُو عَمْرٍو فَعَلْنَا لَنَا عَمْرٍو  
 سَأَ أَبُو عَمْرٍو مُعَادَا حَيَاتِهِ  
 سَأَ عَلَيْنِهِ نَحْذِرُ الدَّغْرَ وَخَدَهُ  
 سَوْنُ وَجَدِي أَنْ مَنَ عَاشَ بَعْدَهُ  
 سَوْنُ وَجَدِي أَلْتَنِي لَا أَرَى امْرَأَةً  
 سَتَا اللَّيَالِي فِيكَ يَا عَمْرٍو بَعْدَ مَا  
 أَجْزَيْكَ شُكْرِي مَا حَبِيبَتْ فَإِنَّ أُمَّتْ  
 وَبِرُّ حُزْنِي فِيكَ دُونَ تَجَلُّدِي

قال أبو العباس: وكان مروان بن أبي الحنوب بن سليمان بن يحيى بن أبي  
 فصة<sup>(١)</sup> مداحاً للخلفاء من لدن المهدي إلى أن قام محمد ولي عهد، ولم يبلغ  
 لافته. وكان مطبوعاً خطيباً في شعره، صحيح المعاني، قليل الإغماض<sup>(٢)</sup>  
 لبب الكلام، وأعطاه المهدي فأكثر. وفي ذلك يقول:

[البيسط]

سَدَقْتُ يَا خَيْرَ مَأْمُولٍ وَمُنْتَجِعٍ  
 سَطِيتُ تَسْعِينَ أَلْفًا غَيْرَ مُتَّبِعِهَا  
 ظَنَنْتِي بِأَضْعَافٍ مَا قَدْ كُنْتُ أَحْتَسِبُ  
 مَتَا وَلَسْتُ بِمَتَانٍ لِمَا تَهَبُ  
 فلما مات المهدي جزع عليه جزءاً شديداً، ورثاه بأشعارٍ اخترنا منها قوله:

[الكامل]

سَوَّ خُلِدَتْ بَعْدَ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ  
 سَمَّ قَائِلٍ لَمَّا أَتَاهُ نَعِيُهُ:  
 سَأَ الْبِلَادَ غَدَاةً أَضْبَحَ شَاوِيَا  
 سَرَّكَ الْمَسَامِعَ فَغَدَةُ مُسْتَكَّةُ  
 سَأَ نَفْسِي لَمَّا فَرِحْتَ بِطَوْلِ بَقَائِهَا  
 سَأَ شَجَا الثُّفُوسَ وَحَالَ دُونَ عَزَائِهَا  
 كَالسَّارِ مُوضِدَةً عَلَيَّ أَحْسَائِهَا  
 سَأَ الْيَوْمَ شَاغِبَتِ الثُّفُوسُ حِرَاةُ

(١) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي فصة يزيدي: شاعر جمع ثروة واسعة من مدحه للخلفاء والقرود  
 تقرب للرشيد بمدح العلوية وأعطى بكل بيت ألف درهم على مدحه الخلفاء توفي ببغداد (١٠٥هـ -  
 ١٨٢هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٠٨).

(٢) الإغماض: الإبهام.

وَالْيَوْمَ أَقْلَمَتِ الْبِلَادُ وَرُبَّمَا  
 وَالْيَوْمَ أَصْبَحَتِ الْأَرَابِلُ وَلَهَا  
 كَانَتْ تَعُودُ مِنَ الشُّتَاءِ إِذَا شَتَتْ  
 وَتَبِيَتْ أَيْمَةً لَدَى حَجْرَاتِهِ  
 أَقْنَى الْبُكَاءِ عَلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ  
 لَمَّا اسْتَنَارَ بِبَطْنِ مَكَّةَ هُنُكُهُ  
 فَرِحَتْ بَطُونَ الْأَرْضِ إِذْ كَسِيَتْ بِهِ  
 وَبَكَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورَهَا  
 كَانَتْ خِلَافَتُهُ خِلَافَةَ رَحْمَةٍ  
 مَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيْهِ وَلَيْلَةٍ  
 زَوَى الظُّمَاءَ بُوَادِيًا وَعَوَادِيًا  
 عَمَّ الصُّحَاخَ بِغَدْلِهِ وَبِعُزْفِهِ  
 وَصَلَتْ جَنَاحِي مِنْ قَوَائِلِ سِنِيهِ  
 فَلَاتَبِعَنَّ لَهُ الْمَدِيحَ مَرَاتِيًا  
 أَنْسِي لِأَجْزِيئِهِ أَيَادِي عُرْفِهِ  
 أَقْلِي الْحَيَاةَ إِذَا رَأَيْتُ قُصُورَهُ  
 وَجِيَادَهُ قَدْ عُرِّيَتْ وَقِيَابَهُ  
 فَقَدْتِ مُشْرِفَهَا الْجِيَادَ فَأُضِيحَتْ  
 فَفُحُولَهُنَّ عَنِ الْحُجُورِ ذَوَاهِلُ  
 سَقِيَتْ عَلَى الظُّمَى الْقِرَاحَ لِفَقْدِهَا  
 وَلَقَدْ تَرَاهَا وَالْحَلِيبُ صَبُوحَهَا  
 قُلِعَتْ لِتَرْكِ زُكُوبِهَا غِلْمَاتِهَا

القلع : الذي لا يستقر على سرج .

يَا مَنْ عَلَا شَمْسُ النَّهَارِ لِفَقْدِهِ  
 إِنَّ الْقُبُورَ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا

كَشَفَتْ بِغُرُوبِهِ دُجَى ظُلُمَاتِهَا  
 تَدْعُو وَمَا ظَلَمَتْ بِطُولِ شَقَائِهَا  
 بِفَنَائِهِ وَتَعَيْشُ فِي أَذْرَائِهَا<sup>(١)</sup>  
 كَحَمَامٍ مَكَّةَ قَطْنًا وَظَبَائِهَا  
 مَاءَ الْعَيْونِ قَأَسَعَدَتْ بِدِمَائِهَا  
 حَنْ الشُّرَابِ إِلَيْهِ مِنْ بَطْحَائِهَا  
 نُورًا جَلَا ظُلُمَاتِهَا بِجَلَائِهَا  
 إِذْ غَابَ زَيْنُ عَيْشِيهَا وَصَحَائِهَا  
 حَتَّى مَضَتْ أَيَّامُهُ لِمَضَائِهَا  
 إِلَّا تَذَقَّقَ كَفُّهُ بِعَطَائِهَا  
 عَفُوقًا بِأَزْيِسِيَةِ الْكُدَى وَدِلَائِهَا  
 وَشَفَى الْمِرَاضَ بِسَيْفِهِ مِنْ دَائِهَا  
 سَبِعُونَ أَلْفًا رَاشِنِي بِجَبَائِهَا  
 يَبْقَى عَلَى الْمَهْدِيِّ حَسَنَ ثَنَائِهَا  
 عِنْدِي وَلَسْتُ بِبَالِغِ لِحْزَائِهَا  
 عُبْرًا خَوَائِعَ بَعْدَ طَوْلِ بَهَائِهَا  
 مُخْتَلَّةَ عَرَصَاتِهَا لِخَلَائِهَا  
 تَبْكِيهِ عِنْدَ صَبَاحِهَا وَتَسَائِهَا  
 وَحُجُورُهُنَّ تُصَدُّ عَنْ أَقْلَائِهَا  
 مَنْ كَانَ يَعْرِضُهَا عَلَى أَسْمَائِهَا  
 وَعَبُوقُهَا فِي قَيْظِهَا وَتِسَائِهَا  
 وَلَقَدْ تَرَى ثَبْتًا عَلَى أَقْرَائِهَا<sup>(٢)</sup>

رَهْجُ الْقَتَامِ<sup>(٣)</sup> فَحَالَ دُونَ ضِيَائِهَا  
 لِصَدَاكَ قَاضِلَةٌ عَلَى إِضْدَائِهَا

(١) أذراء : جمع ذرى كل ما استظلت به .

(٢) قره الفرس : أيام سفادها .

(٣) رهج القتام : الغبار الأسود .

لَا حُفْرَةَ أَسْنَى وَأَكْرَمَ سَاكِنًا  
 أَلْتِي أَمْسَى السُّبْحِي مُحَمَّدًا  
 لَيْتَ نَفْسِي قَبْلَ نَفْسِكَ غَالِيهَا  
 قَبِيَتْ مَا بَقِيَ الثُّهَارُ لِأُمَّةٍ  
 جَعَتْ بِبِيرْتِكَ الرَّعِيَّةُ بَعْدَمَا  
 بَسَنَهَا كَنَفِي زُؤُوفٍ حَافِظِ  
 مَشِي السَّيَامَى فِي ذَرَاهِ كَأَنَّمَا  
 لَا ابْنُكَ الْكَافِي الْخُطُوبَ لِأَذْبَرَتْ  
 مِنْ حُفْرَةِ حَدْرُوكَ فِي أَرْجَانِيهَا  
 فِيهَا فَإِنَّ لَيْتَكَ فَضَّلْ سِنَانِيهَا  
 زَيْبُ الْمُنُونِ فَحَالُ دُونَ نَوَابِيهَا  
 مَا إِنْ تَمَلُّ عَلَيْنِكَ طَوْلُ بُكَائِيهَا  
 أَسْنَيْتَهَا الْمَاضِيْنَ مِنْ خُلْفَائِيهَا  
 حُرْمَ الْحَقُوقِ، مُوَكَّلِي بِأَدَائِيهَا  
 يَأْوِي الْمَيْثُ بِهَا إِلَى آبَائِيهَا  
 عَنَّا بِقِيَّةً عَمِيْنَا بِرَحَائِيهَا

قال أبو العباس: كتب الحسنُ بن وهب<sup>(١)</sup> إلى الأمير محمد بن عبد الله بن  
 اهر يُعزِّيه عن مصيبة: «بسم الله الرحمن الرحيم، أطال الله بقاء الأمير مسروراً  
 بر محزون، ومُعطى غير مسلوب، ووفقه في أحواله كلها لما يستديم به النعمة،  
 يستحقُّ عنده المَثُوبَةَ. أفلغني - أعزَّ الله الأمير ما رأيتُ بالأمير - جعلني الله فداءه  
 من هذه الرزية التي كادت تكون أشبه بالنعيم منها بالرزايا، لما وقرَّ الله، إن شاء  
 الله، للأمير - أيده الله - من ثوابها، وتبقي له في نفسه - حاطه الله - من بعدها. فإنَّ  
 ياة الأمير مدَّ الله في عمره - حياةً لأهله وذوي تأميلة، بعد الذي جعل الله للذنين  
 لخلافة من الأنس والعزَّ بسلامته، وللأمة من جميل مكانه وموضعه، ووقَّر الله  
 الأمير، ولا نقضه وتولاه بحُسن المدافعة عنه والحياطة، ولا أراه سوءاً في نفس  
 لا حميم، بقدرته. وهذه جعلتُ فداء الأمير - أبيات ينظر فيها أيده الله عند  
 ما طه إن شاء الله:

[مجزوء الكامل]

لِإِلْمُجِيرِ عَلَيِ الدُّهُورِ  
 مَنْ يُصَنَّرُ كِبْرُهُ  
 شَى يُرَى بَعْدَ الْجَلَا  
 الْأَمِيرِ أَجَلُ قَدْ  
 مَنْ أَنْ تَفِيضُ دُمُوعُهُ  
 بَلْ يَكُونُ مُسَلِّمًا  
 وَمُقْبِلِ ذِي الْجَدِّ الْعَثُورِ  
 مُسْتَعْظِمِ الْخُطْبِ الْكَبِيرِ  
 لَةِ مِثْنُهُ فِي حَالِ الضَّغِيرِ  
 رَأَى فِي مُلِمَاتِ الْأُمُورِ  
 لِفِرَاقِي إِلْفِ أَوْ عَشِيرِ  
 لِحُكُومَةِ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ

(١) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي «أبو علي» كاتب من الشعراء عاصر أبيي تمام استنكبه الخلفاء وهو أخو الوزير سليمان بن وهب زئاع البحرني (٢٥٠/.. هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٦٦).

وَبُبُّهُ مِنْهُ الرُّضَى  
وَالصَّبْرُ فِي الْبَلْوَى فَيَعِدُ  
وَالشُّكْرُ فِي التُّغْمَى لِيَعُدُ  
فَاللَّهُ يُنْسِيهِ عُمُرَهُ  
وَإِذَا بَكَتْ غَزْرُ الْعِيُو  
لَا يَلُ تَبِيحُ قَرِيْرَةُ  
مَاذَا بِعَبْدِكَ مُذْ رَأَى  
عَبِيدُ يَرَاكَ وَالسِّي نَعْدُ  
وَيَرَاكَ جَابِرَ مَا وَعَى  
وَيُجِبُنْ وَذَا، حُجْبَرُهُ

عَنْهُ بِإِخْلَاصِ الضَّمِيرِ  
طَى وَإِيَّأَ أَجْرَ الصَّبْرِ  
نَمَ مَا يُضَاعَفُ لِيُنشُكُورِ  
فِي مُنْتَهَى رُتَبِ الْحُبْرِ  
بِ قَلَا بَكَتْ عَيْنُ الْأَمِيرِ  
أَبْدَأَ عَلَى بَزْدِ الشُّرُورِ  
كَ مِنْ الْكَأَبَةِ وَالْفُتُورِ  
حَتَّى إِلَى يَوْمِ التُّشُورِ  
مِنْ عَظْمِهِ ذَاكَ الْكَسِيرِ  
عِنْدَ الْعَلِيمِ بِهِ الْحَبِيرِ

قال : وكان الحسن بن وهب يقدم حبيب بن أوس أبا تمام الطائي تقدماً يتجاوز فيه، ولا يرى له في الشعر نداءً قديماً فضلاً عن حديثه. فأناه خبر موتة بالموصل فرثاه بشعر سلك فيه مثل طريقه، وترك مذهبه في السهولة والبيان وألفاظ الكتاب فقال :

[الوافر]

سقى بالموصل القنبر الغريباً  
إذا ظللته أطلقتن فيه

سحائب ينشجبن له نحيباً  
شعيب المرن تشبعها شعيباً

الشعيب : المزادة التي يحملها البعير .

إذا ظللته أطلقتن فيه  
ولطمت البروق لها خدوداً  
فإن ثراب ذاك القنبر يحوي  
لبيباً شاعراً فطناً أدبياً  
إذا شاهذته زواك منما  
أبا تمام الطائسي إننا  
فقدنا منك علفاً لا نرانا  
وكنث أختاً لنا يُدني إلينا  
وكائن مذجج تطوى علينا  
فلما بنت تكرب النياالي  
وأبدى الدهر أقبح صفحتيه

شعيب المرن تشبعها شعيباً  
وشققت الرعود لها جيوباً  
حبيباً كان يُدعى لي حبيباً  
أصيل الرأي في الجلى أريباً  
يسرك رقة منة وطيباً  
لقبينا بعذك العجب العجيباً  
نصيب له مدى الدنيا ضريباً  
ضمير الوذ والتسب القريباً  
جميعاً ثم نشرنا شعوباً  
قريب الدار والأقصى الغريباً  
ووجهها كالبحا جهماً قطوباً

أخِرِ بِأَنْ يَطْيِبَ المَوْتُ فِيهِ وَأَخِرِ بِعَيْشَةٍ أَلَا تَطْيِيبًا  
وقال أبو عبد الرحمن العُتْبِيُّ يرثي بنه :

[المقارب]

يَبْقَى البَنَاتِ وَيُفْنِي البَنِينَا  
فَلَمْ تَبْقَ فَرُوقُ عُصُونِي عُصُونَا  
وَقَدْ فَتَقُوا أَعْيُنَ الحَايِدِينَ  
كَمَرُ الدَّرَاهِمِ بِالنَّاقِدِينَا  
وَأَلْقَيْنَ ذَاكَ إِلَى مُلْجِدِينَا  
بِ حَتَّى أَمَاتَهُمْ أَجْمَعِينَا  
وَقَدْ أَتَعَبُوا بِالدُّمُوعِ العِيُونَا  
تَرَى حَايِدِيهِ لَهْ رَاغِبِينَا  
فَصَارُوا إِلَى بَطْنِهَا يُثْقَلُونَا  
فَحُزْنِي تُجَدِّدُهُ لِي السَّنُونَا

مَا يَزْجُرُ الدُّغْرُ عَنَّا المَنُونَا  
نَحَثُ عَلَيَّ بِمَا رَحِمْتَنِي  
نَحْتُ أَبَا بَيْتَةٍ كَالْبُدُورِ  
حَمَزُوا عَلَيَّ حَادِيَاتِ المَنُونِ  
أَلْقَيْنَ ذَاكَ إِلَى صَارِخِ  
مَا زَالَ ذَلِكَ ذَابَ الزَّمَا  
حَتَّى بَكَى لِي حَسَادُكُمْ  
حَسْبُكَ مِنْ حَادِيٍّ بِأَمْرِي  
يَتُّ بَنِي عَلِيٍّ ظَهْرَهَا  
مَنْ كَانَ يُنْصَلِيهِ مَرُّ السَّنِينِ  
وقال فيهم :

[الكامل]

لِخُدُودِهِمْ نَحَثُ الجَبُوبِ وَسَادُ  
بَغْضًا فَهُنَّ وَإِنْ قَرُنُنَ بِعَادُ  
قَدْ أَسْلَمَتْ أَطْنَابُهُ الأَوْتَادُ  
إِلَّا بَكَتْ حَتَّى بَكَى الحُسَادُ  
يَسْتُونَ أَكْمَلَهَا لِي المِيلَادُ؟  
قُلِ الجَمِيعُ وَغَيْبِ الأَوْلَادُ

مَا بَيْتَةٌ أَوْذَعَتْهُمْ حُفْرَ البَيْلَى  
حَمَعُوا جُفُونِي أَنْ يُصَافِحَ بَعْضُهَا  
مَا بَقِيَتْ عِمَادُ بَيْتٍ مُفْرَدًا  
مَنْ تَبَقَ عَيْنٌ أَسْعَدَتْهَا عِبْرَةٌ  
إِذَا أَرَجِي بَعْدَ حُمْسٍ بَعْدَهَا  
سَطَّتْ عَلَيَّ مِنَ الزَّمَانِ يَدُهَا  
وقال يرثي أخته :

[الطويل]

فَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا التَّأْسُفُ مِنْ جِهْدِي  
مِنْ الحُزْنِ مَا تَبْقَى عَلَى الرَّجُلِ الجَلْدِ  
عَنِ ابْنَةِ أُمِّي مَدْفَعًا لَعَلِّي وَعَدِ

قَدْ خَانَنِي صَبْرِي بِأَمِّ مُحَمَّدٍ  
سَوَى أَنْ صَدْرِي تَحْتَهُ مُسْتَكْبِتَةٌ<sup>(١)</sup>  
إِنِّي مِدَّ السُّيُومِ الَّذِي لَمْ أَطُقْ بِهِ

(١) المستكبة: الوفدة من الحزن.

وقال يرثي محمد بن عبّاد بن حبيب بن المهلب<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

مُحَمَّدُ إِنْ آتَيْتُ مِنْي جَانِبًا      بِقَرَبٍ لَقَدْ أَوْحَشْتَ بِالْبُعْدِ جَانِبًا  
وَقَدْ عَظُمْتَ فِيكَ الْمَصَائِبُ إِنَّهَا      تُضَعَّرُ عِنْدِي فِي سِوَاكَ الْمَصَائِبَا  
سَلَوْتُ بِهِ عَمَّنْ تَقَدَّمَ قَبْلَهُ      وَاللَّيْتُ أَضْفَى بَعْدَهُ الْوُدَّ صَاحِبَا  
سَتَبِكِيكَ أَخْلَاقُ الْمُرُوءَةِ إِنَّهَا      مُغْشِيَةٌ مَا دُمْتَ غَثُّهُنَّ غَائِبَا  
وقال يرثي ابنه سليمان، وكان نفيماً من ولده:

[الطويل]

سُلَيْمَانُ وَاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ      لَقَلْبِي عَلِيلٌ مَا بَقِيَتْ حَزِينُ  
تَقَاضَاكَ ذَهْرٌ فَأَقْتَضَاكَ بِذَيْنِهِ      وَلِلذَهْرِ فِي نَفْسِي عَلَيَّ دِيُونُ  
فَقَرْتُ عِيُونَ كُنْتُ شَمْلُ جُفُونِهَا      وَجَادَتْ بِحَزْنٍ بِالذَّمَاءِ عِيُونُ  
فَلَيْسَ عَلَيَّ ذَهْرٌ مُجِيرٌ إِذَا عَدَا      بِكُرُوهٍ، وَلَا خَلَقَ عَلَيَّ مُعِينُ  
ذَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَضْبَحْتُ      لَهَا دَافِقُنْ مِنْ نَفْسِهَا وَذَفِينُ  
قَلْبِي مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا حَوَى      وَأَخْرَجَ بِأَمْرِ كَاتِبِنِ سَيِّكُونُ  
فَيَا فَجَعَةَ الدُّنْيَا يَمَنْ شِئْتُ بَعْدَهُ      فَيَسِيَانِ مَضْنُونٌ بِهِ وَضْنِينُ  
وقال يرثي صديقاً له يقال له عيسى بن القاسم:

[الطويل]

بَكَتْ عَيْنٌ مَنْ لَمْ يَبْكِ عَيْسَى بِنَ قَاسِمٍ      بِأَرْبَعَةٍ حَشَى تُجِفُّ نَوَاطِيزُهُ  
فَتَى غَابَ عَنْهُ أَقْرَبُوهُ فَلَمْ يَكُنْ      لَهُ مِنْ يُحَامِي دُونَهُ وَيُؤَاوِزُهُ  
مَرَزَتْ عَلَيَّ رَنَجٌ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ      فَبَاطِلُهُ يَشْكُو الْحَرَابَ وَظَاهِرُهُ  
تَكَادَ مَغَانِيهِ تَقَوُّنَ لِقَفْدِيهِ      لِسَائِلِهَا عَنْ أَهْلِيهِ: مَاتَ عَامِرُهُ  
سَلَامٌ عَلَيَّ الْإِخْوَانَ وَالْعَيْشِ بَعْدَهُ      وَمَنْ كُنْتُ أَصْفِيهِ الْهَوَى وَأَعَايِرُهُ  
وَمَنْ كَانَ يُسَلِّي أَلْهَمَ عَنِّي حَدِيثُهُ      إِلَيَّ إِذَا ضَاقَتْ بِأَمْرِي مَصَادِرُهُ  
فَبِإِنْ أَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَمَا عَنْهُ سَلُوهُ      وَمَهْمَا أَضْيَعَهُ فَبِإِنِّي ذَاجِرُهُ  
وقال في ابن له يكنى أبا عمرو - مات في آخر ولده - قصيدة يطيلها،  
اخترت منها هذه الأبيات:

[الطويل]

(١) محمد بن عبّاد بن حبيب المهلب: أمير البصرة في زمن المأمون توفي فيها وهو من أبناء المهلب بن أبي صفرة كان من أكابر الأمراء جواداً ممدحاً (.../٢١٦ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ١٨١).



فقد شجبت الأعداء بي وتغيرت  
 جبراً عليّ الدهر لما فقدته  
 سُكَّانَ بطنِ الأرضِ لو يُقبَلُ الغدى  
 يا ليت من فيها عليها ولت من  
 ماتوا كأن لم يعرف الموت غيرهم  
 وقال دعبل بن علي الخزاعي يرثي أبا القاسم نصر بن حمزة<sup>(١)</sup>:

[البيط]

كانت خُزاعةٌ بلاءَ الأرضِ ما اتسعت  
 ماذا أبو القاسمِ الشاوي ببلقعة  
 ميث وقد علمت أن لا هبوب به  
 ضحى قريّ للمنايا إذ نزلن به  
 وقال أشجع بن عمرو السلمي<sup>(٢)</sup> يرثي محمد بن منصور:

[السريع]

ما مثل من اتقى بموجود  
 مثيباً في البيض والشود  
 كغياً وأولافهم بتمجيد  
 وأيد لئس برغديد  
 مثل فبراح الطير مجهود  
 ومسلم في القيد مضفود  
 بقية الماء من العود  
 جانبها لئس بمسدود  
 يملأ ما بين ذرى البيد  
 قد جعفا في بطن ملحد  
 وعذوة البخل على الجود  
 ما بين أعناق القرايد  
 اتقى فتى الجود إلى الجود  
 اتقى فتى أصبح مفروقه  
 اتقى إلى الفتيان أغلامه  
 اتقى ابن منصور إلى سيد  
 وأشعث يسقى على صبية  
 وطارق أغيا عليه القري  
 اتقى فتى مصر الثرى بعهده  
 وانسلم المجد به ثلثة  
 اتقى فتى كان ومفروقه  
 فأصبحا بعد تساميهما  
 اليوم تخشى عثرات الثدى  
 يا راكب العيس التي تختطي

(١) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي «أبو علي» شاعر كوفي هجاء أقام ببغداد وهجا الخلفاء وطال عمره وكان ضخماً طويلاً طروشاً (١٤٨ - ٢٤٦ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٣٩).

(٢) أشجع بن عمرو السلمي «أبو الوليد»: شاعر فحل ولد باليمامة ونشأ بالبصرة واستقر ببغداد ماح الرشيد والبرامكة (١٩٥ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٣٣١).

إِنَّ بِبَابِ الْبَرْدَانِ الْفَتَى النَّضُّ  
 مَنْ قَتَعَ الْمِسْكَينَ لَمَّا مَضَى  
 مَنْ لَمْ يَكُنْ سَائِلُهُ مُنْبِيئًا  
 لَا حَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ أُغْلِقَتْ  
 لِزُرْتَجِ الْبُخْلِ عَلَيْهَا فَتَقْدُ  
 أَوْزَدَهُ حَوْضًا عَظِيمَ الشَّأَى  
 كُلُّ فَتَى يَسْمَعِي إِلَى مُدَّةِ  
 سَيْطِطِقِ الشَّعْرُ بِأَيَّامِهِ  
 كَمَا أَنَّ الْمَجْدَ قَدْ أَضْبَحَتْ  
 جُودِي بِدَمْعِ أَوْ دَمِ جُودِي  
 فَكُلُّ مَفْقُودٍ إِلَى جَنْبِهِ  
 يَا وَافِدِي قَوْمِهِمَا إِنَّ مَنْ  
 طَلَبْتُمَا الْجُودَ وَقَدْ ضَمُّهُ  
 فَاتَّكَمَا الْمَوْتُ بِمَمْرُوفِهِ  
 يَا عَضُدًا لِلْمَوْتِ مَفْثُوثَةٌ  
 أَوْ هَنْ زُنْدِيهِ وَأَكْبَاهُمَا  
 وَعَدَهَا الرُّكْنَ الَّذِي كَانَ بِأَلْ

### باب

أَيْمَنْ حَاجَاتِ الْمَجَاهِدِ  
 مِنْ رَعْدِ الْعَيْشِ بِتَضْرِيْدِ  
 مِنْهُ بِأَذْنَابِ الْمَوَاعِيْدِ  
 أَبْوَابُهَا دُونَ الْفَتَى الْمُودِي  
 مَضَى فَتَاهَا بِالْمَقَالِيْدِ  
 فِي الْمَجْدِ يَوْمَ غَيْرِ مُحَمَّدٍ  
 مِنْ أَجْلِ قَدْ خُطَّ مَفْقُودِ  
 عَلَى لِسَانِ غَيْرِ مَفْقُودِ  
 أَعْلَامُهُ فِي بَطْنِ أَخْدُودِ  
 يَا عَيْنَ لَا عُذْبَ بِمَجْلُودِ  
 - وَإِنْ تَغَالَى - غَيْرُ مَفْقُودِ  
 طَلَبْتُمَا تَحْتَ الْجَلَابِيْدِ  
 مُحَمَّدٌ فِي جَوْفِ مَلْحُودِ  
 وَلَيْسَ مَا فَاتَ بِمَرْدُودِ  
 وَسَاعِدًا لَيْسَ بِمَغْضُودِ  
 قَرُوعِ الْأَمْنَايَا فِي الصُّنَادِيْدِ  
 لَأَمْسِ عِمَادًا غَيْرَ مَهْدُودِ

قال أبو العباس قد أملينا من أشعار المخدثين جملةً يُخَافُ على مثلها  
 الملل . وإنما كتابنا هذا - وإن كان يُقصدُ به معنى واحد - فإنما يُخرجه شيء من  
 ذلك المعنى إلى آخر منه . فكأنه بابٌ يخالف باباً . وهذا بابٌ مواعظٌ وتعازٍ  
 وأشعارٍ داخله في ذلك ، موصولةً به .

وقد كُنَّا أملينا أخباراً عن عُرْوَةَ بن الزبير في قطع رجله ، ومصاب ابنه  
 بضرب دابةٍ إياه . وهذا الذي نذكره مما يتصل بجملة أخباره :

قال إسماعيلُ بن يسار يري محمد بن عروة :

[الخفيف]

تِلْكَ عِرْسِي رَامَتْ سَفَاهاً فِرَاقِي  
 وَجَفَّقْتَنِي فَمَا تُرِيدُ عِنَاقِي  
 زَعَمْتَ أَنَّهَا هَلَكَ فِي مَغِ الْمَا  
 لٍ وَأَنْتِي مُحَالِفِي إِفْلَاقِي

وَتَسَانَسَتْ زَزِيَّةٌ بِدِمَشْقِي  
يَوْمَ تُدْعَى إِلَى ابْنِ عَزْوَةَ تَغَشَا  
مُسْتَحْتَاً بِهِ سِيَاقُ إِلَى الْقَبْرِ  
بِمَقَامِ زَنْجٍ أَجْتُوا  
مكان زنج : إذا كان لا يُسْتَقَرُّ عليه .

أَشْخَصَتْ مُهَجَّتِي فَوَيْقُ الشَّرَافِي  
فَوَيْقُ أَيْدِي الرُّجَالِ وَالْأَعْنَافِي  
رَ وَمَا إِنْ يَحُكُّهُمْ مِنْ سِيَاقِ  
شَخْصَةً اذْتَقَوْا وَلَيْسَ بِرَاقِ

ثُمَّ وَلَيْتُ مُوجِعاً قَدْ شَجَانِي  
وَلَقَدْ كُنْتُ لِلْحُتُوفِ عَلَيهِ  
فَإِذَا الْمَوْتُ لَا يُرَدُّ بِجِرْصِ  
وَعَبِينَا كَابِتِي نُؤَيَّرَةُ يَوْمًا<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ صِرْنَا لِبُفْرُقَةَ ذَاتِ بُغْدِ  
وقال أيضاً يرثيه :

فُرِزْتُ عَهْدِي بِهِ وَبُعْدُ ثَلَاثِي  
مُشْفِقاً لَوْ أَعَادَهُ بِشَفَاقِي  
لِحَرِيصٍ وَلَا لِبَرْقِيَةِ رَاقِي  
فِي رَحَاءٍ وَلَسُدَّةٍ وَأَتَفَاقِي  
كُلُّ حَيٍّ مَصِيرُهُ لِبِفِرَاقِي

[الكامل]

صَلَّى إِلَهُ عَلَى امْرئِي فَارَقْتُهُ  
بِوَأْتِهِ بِسَيْدِي دَارَ مَقَامَةِ  
وَلَيْتَن تَرَكْتُكَ يَا مُحَمَّدَ ثَابِياً  
وَعَبْرَتُ أَعْمُولِهِ وَقَدْ أَسْلَمْتُهُ  
وَأَرَى الْوُفُودَ لَدَى الْمَنَازِلِ مِنْ بَنِي  
أَعْنِي ابْنَ عَزْوَةَ إِنَّهُ قَدْ هَدَّنِي  
وَالْمَرْءُ زَهْنٌ مَبْنِيَّةٌ يُدْعَى لَهَا  
وَإِذَا دَعَبْتُ إِلَى السَّعْزَاءِ أَرِيدُهُ  
عَلِبَ الشُّعْرِي أَنَّنِي لِفِرَاقِهِ  
وقال البعيث<sup>(٢)</sup> ومات ابن له فقال يرثيه بشعرٍ حُفِظَ مِنْهُ بَيْتٌ اسْتَحْسَاناً :

بِالْشَّامِ فِي حَدِّ الضَّرِيحِ الْمَلْحَدِ  
نَاتِي الْمَحَلَّةِ عَنْ مَزَارِ الْعُودِ  
لَبِمَا تَرُوحُ مَعَ الْكِرَامِ وَتَغْتَدِي  
لِسَفَى الْأَمَاعِزِ وَالْمَزَارِ الْأَبْعَدِ  
شَهَدُوا وَإِنَّكَ غَائِبٌ لَمْ تَشْهَدِ  
فَقَدْ ابْنَ عَزْوَةَ هُدَّةً لَمْ تَقْصِدِ  
لَا بُدَّ أَشْرَعٍ مِنْ رِدَائِ السُّمْرْتَدِي  
عَلِبَ الْعَزَاءِ وَحِيلَ دُونَ تَجَلُّدِي  
لَيْسَ الْعَدُوُّ عَلَيَّ جِلْدَ الْأَزِيدِ  
وقال البعيث<sup>(٣)</sup> ومات ابن له فقال يرثيه بشعرٍ حُفِظَ مِنْهُ بَيْتٌ اسْتَحْسَاناً :

[الطويل]

فَصَادَفَ بَنِي غُصَّةٍ لَا يُسَيِّئُهَا  
وأخبرنا عن مخلد بن حمزة عن عبد الملك بن عمير قال : دخل عبد

شَرَابٌ وَلَمْ يُذْهِبْ مِرَازَتَهَا الْعَسَلُ

(١) مالك ومتمم ابنا نويرة .

(٢) جدش بن بشر بن خالد «أبو زيد التميمي» المعروف بالبعيث : خطيب شاعر من أهل البصرة دامت مهاجراته تحرير أربعين سنة توفي بالبصرة ( . . . / ١٣٤ هـ ) (الأعلام : ج ٢ ، ص ٣٠٢) .

الله بن الزبير على أمه، أسماء ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال: يا أمه، قد خذلني الناس، فلم يبق معي إلا من ليس عنده من المنع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت. فما رأيك؟ قالت: يا بُني، أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق، وإليه تدعو، فامض على حَقِّك، ولا تُمكن غلمان بني أمية من نفسك. فقال: وقَفَّك الله، هذا رأيي، وإني لأحسُّ الظنَّ بربي، فإن هلكت فلا يشتدُّ جزعُك عليّ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان ذنبة، ولا عملاً بفاحشة، ولم يَسعِ بغيري، ولم يُجزَّ في حُكْم، ولم يكن شيء أترَّ عنده من رضى ربه. اللهم إني لا أقولُ هذا تزكيةً لنفسِي. أنت أعلم بي. ولكني أقوله لتسلو عني.

ويروى أنه خرج فحمل على أهل الشام وهو يتمثل:

[الطويل]

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الحَيَاةِ بِسَبَّةٍ      وَلَا مُرْتَقِي مِنْ حَشِيَّةِ المَوْتِ سُلْمَا  
وقال رحمه الله تعالى:

[الرجز]

يا أمُّ إِنْ مُتُّ فَلَا تُبْكِينِي      الذُّرْعُ وَالْبَيْضَةُ لَا تُشْجِينِي  
مِنْ قَدْرِ اللّهِ إِذَا يَأْتِينِي      قَدْ عَلِمَ الْأَعْبُدُ أَنْ دُونَ  
ضَرْباً كإيزاغِ المخاضِ الجونِ      إِيهَا شِمَالِي عاونِي يَمِينِي  
فَإِنْ كَرِهْتَ صُحْبَتِي فَبِينِي      فإِنَّمَا يُضِنُّ بِالضَّنِيرِ

وتحدث عن سفيان بن عيينة<sup>(١)</sup> قال: رأى سعيد بن جببر<sup>(٢)</sup> ابنه يطوف بالبيت فقال: هذا أعزُّ الخلق عليّ، وما شيء أسرُّ إلي من أن يكون في ميزاني.

وأخبرنا عن عامر بن حفص<sup>(٣)</sup> قال: جزع القلائخ بن حزن<sup>(٤)</sup> على أخيه جحناء فقال:

[الطويل]

(١) أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي: محدث الحرم المكي من النعمالي ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي فيها كان حافظاً ثقة واسع العلم (١٠٧ - ١٩٨ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ١٠٥).

(٢) سعيد بن جببر أبو عبد الله تابعي من كبار العلماء قتله الحجاج بعد انتصاره على عبد الرحمن بن الأشعث (٤٣ - ٩٥ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٩٣).

(٣) عامر بن حفص: عالم بالأنساب (تقدمت ترجمته).

(٤) هو القلائخ بن حزن بن جناب بن جندل.

عَاذِلْ مَنْ يُرْزَأُ كَجَحْنَاءَ لَا يَزَلْ حَزِينًا، وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ  
 حَالِ أَنَسٍ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَيَذْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ أْبْلَخٍ شَاغِبٍ<sup>(١)</sup>  
 الأبلخ: المتكبر. وقال ضمرة بن ضمرة<sup>(٢)</sup>:

[المتقارب]

سَاوِي لَسْتُ بِرَغْدِيذَةٍ أَبْلَخَ جَادَ عَلَى الْمُنْغِيمِ

وقال عن الحسن بن دينار: جزع رجل على ابن له، فشكا ذلك إلى  
 لحسن بن أبي الحسن فقال له الحسن: هل كان ابنك هذا يغيب عنك؟ قال: نعم  
 ثانت غيبته عني أكثر من حضوره قال: فأنزله غائباً، فإنه لم يغيب عنك غيبةً،  
 لأنجر لك فيها، أعظم من هذه الغيبة.

ومن غير هذا الإسناد أنه قال: فأنزله غائباً عنك، فإنه إن لم يقدم عليك  
 ديمت عليه. قال: يا أبا سعيد، قد هونت من وجدي على ابني.

وأخبرني عن أبي إسماعيل الهمداني عن مجالد<sup>(٣)</sup> عن الشعبي<sup>(٤)</sup> قال: مات  
 بن لشريح<sup>(٥)</sup> فلم يشعر أحد بموته، ولم يصرخ عليه أحد، فغدا قوم إلى شريح  
 يسألونه عن ابنه فقالوا: كيف أصبح مريضك يا أبا أمية؟ قال: قد سكن علزّه،  
 رجاء أهله، وما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة.

والعلز: شدة القلق.

وقال أحد بني كليب:

[البسيط]

إِن رَأَيْتَ سُهَيْلًا ظَلَّتْ مَكْتَبِيًّا كَأَنْسِي رَاقِبٌ لِلشُّجَمِ أَوْ عِلِيًّا

وأخبر عن أبي عمرو بن يزيد قال: احتضر رجل فوضع رأسه في حجر

(١) شاغب: مهيج الشر والفتنة.

(٢) ضمرة بن ضمرة بن جابر النهشلي: شاعر جاهلي وفارس من بني دارم صاحب يوم «ذات الشفوق»  
 من أيام العرب وكان له على بني أسد (الأعلام: ج ٣، ص ٢١٦).

(٣) مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني: راوية للحديث والأخبار من أهل الكوفة اختلفوا في توثيقه  
 (.../١٤٤ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٧٧).

(٤) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي: نسبة إلى «شعب» وهو بطن من همدان كان فقيهاً  
 شاعراً استقضى عمر بن عبد العزيز (١٩ - ١٠٣ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٥١).

(٥) أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي: أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام  
 مات بالكوفة (٧٨/ـ) (الأعلام: ج ٣، ص ١٦١).

أخيه، فدمعت عين أخيه فقطرت قطرةً من دموعه على خد المريض، فأفاق من غَشِيَّتِهِ، فنظر إلى أخيه يبكي فقال:

[الطويل]

أَخْيَيْنِ كُنَّا فَرَّقَ الدُّهُرُ بَيْنَنَا إِلَى الأَمَدِ الأَقْصَى وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّهُرَا؟

وتحدث عن عمر بن غياث عن محمد بن حرب قال: كتب إبراهيم بن أبي يحيى إلى بعض الخلفاء يعزيه: أما بعد. فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ عَرَفَ حَقَّ الله عَلَيْهِ فيما أَخَذَ مِنْهُ، مَنْ عَظَّمَ حَقَّ الله جَلَّ وَعَزَّ عِنْدَهُ فيما أَبْقَى لَهُ. واعلم أن الماضي قبلك الباقي لك، وَأَنَّ الباقِي بَعْدَكَ هو المَاجُوزُ فِيكِ، وَأَنَّ أَجْرَ الصَّابِرِينَ فيما يصابون به أعظم من النعمة عندهم فيما يعافون منه.

وقال عُمر بن غياث: عَزَى رَجُلٌ قَوْمًا فِيهِمْ نَصْرَانِيٌّ فَقَالَ: مِثْلِي لَا يُعْزِيكَ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى مَا زَهَدَ فِيهِ الجَاهِلُ فَارْغَبْ فِيهِ.

قال الأصمعي: حَدَّثَنِي مُعْتَمِرُ بْنُ سَلِيمَانَ<sup>(١)</sup> أَنَّ أَخًا لَهُ مَاتَ، قَالَ: فَكُنْتُ أَرْغَبُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَرَاهُ فِي نَوْمِي، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِشُعَيْبِ بْنِ الْحَبَّابِ فَقَالَ: إِنَّ الحَزْنَ يَنْضُو عَنِ ابْنِ آدَمَ كَمَا يَنْضُو صِبْغُ الثَّوْبِ، وَلَوْ بَقِيَ عَلَى ابْنِ آدَمَ قَتْلُهُ.

وقال الأصمعي: سَمِعْتُ بَعْضَ المَحْدِثِينَ يَقُولُ: تُعْيِ مَجْزَأَةَ بَنِ ثَوْرٍ السُّدُوسِيَّ<sup>(٢)</sup> إِلَى أَخِيهِ شُقَيْبِ بْنِ ثَوْرٍ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُرْ ذَلِكَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ البَرِيدِ: هَلْ نَعَاهُ إِلَيْكَ أَحَدٌ قَبْلِي قَالَ: نَعَمْ، قَدْ خَبَرْنَا اللهَ جَلَّ ذَكَرَهُ أَنَا كُلُّنَا سَمِعْتُمْ.

وقال الأصمعي: مَاتَتْ امْرَأَةٌ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشَّخِيرِ، فَتَبَخَّرَ وَلبسَ حُلَّةً، فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أَسْتَكِينُ لِلْمَصِيْبَةِ.

وقال أبو الحسن المدائني عن سعيد بن عبد العزيز<sup>(٣)</sup>: إِنْ مَسَلَمَةَ بَنِ عَبْدِ المَلِكِ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ يُقَالُ لَهُ شِرَاحِيلُ، فَمَاتَ، فَجَزَعُ عَلَيْهِ وَخَرَجَ فَصَلَّى عَلَيْهِ

(١) معتمر بن سليمان بن طرخان «أبو محمد» محدث البصرة في عصره حدث عنه أحمد بن حنبل له كتاب المغازي (١٠٦ - ١٨٧ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٦٥).

(٢) مجزأة بن ثور بن عُفَيْرِ السُّدُوسِيَّ: صحابي شجاع فتح مدينة تُنَشَّرَ وقتل في موقعها (٢٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٧٩).

(٣) سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي «أبو محمد» فقيه دمشق في عصره (٩٠ - ١٦٧ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٩٧).

دخل قبره فلما خرج أتاه المعزّون، وفيهم عبدُ الله بنُ عبد الأعلى، فعزّاه، فبكى سلمةُ وقال:

[الطويل]

يَمُونُ وَجِدِي عَنِ شَرَا حَيْلِ أُنْسِي إِذَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ إِفْرَاءَ مَاتِ صَاحِبِيهِ  
وقال القاسم بن الوليد: حدثني أبي، الوليدُ بن خلف، أنّ الحجاج بن  
وسف أوفد مالك بن أسماء بن خارجة<sup>(١)</sup> إلى عبد الملك بن مروان فدخل عليه  
نَسِيعَ صَوَارِخٍ فِي دَارِهِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الصَوَارِخُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ  
لَمَلِكٍ: مَاتَ أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَجْرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ  
لِمُؤْمِنِينَ، فَوَاللَّهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ بَيْتِ أَعْظَمَ مَرْزُوقَةٍ وَاحِدٍ عَلَى النَّاسِ وَلَا  
لِلَّهِ أَكْفَى لَهُمْ بِالوَاحِدِ الْبَاقِي مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ. فَأَعْجَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ  
كَلَامَهُ، فَاسْتَعَادَهُ، وَفَضَّلَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ.

وكان الحجاج لا يستعمل مالكا لإذمانه الشراب واستهتاره فكتب عبد الملك  
إلى الحجاج: إنك أوفدت إليّ رجل أهل العراق فولّه واستعمله وأكرمه.

قال أبو الحسن المدائني عن عامر بن الأسود وغيره أنّ الحجاج رأى في منامه  
كأن عينيه ذهبتا. فلما طلق هند ابنة أسماء، وهند ابنة المهلب ظن أنها تأويل رؤياه.  
فلما مات ابنه محمد وأتاه موث محمد أخيه قال: «هذا تأويل رؤيائي من قبل»<sup>(٢)</sup>.

وأخبر المدائني عن أبي محمد بن عمرو الثَّقَفِيِّ قال: لما مات محمد بنُ  
الحجاج جَزَعُ عَلَيْهِ فَقَالَ: إِذَا عَسَلْتُمُوهُ فَأَذْنُونِي بِهِ. فَأَعْلَمُوهُ بِهِ فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَنَظَرَ  
إِلَيْهِ فَقَالَ:

[الكامل]

الآنَ لَمَّا كُنْتُ أَكْمَلُ مِنْ مَشَى وَأَفْشَرُ نَابُكَ عَنِ سَبَابَةِ الْقَارِحِ  
وَتَكَامَلْتُ فِيكَ الْمُرُوَّةَ كُلَّهَا وَأَعْنَتْ ذَلِكَ بِالْفَعَالِ الصَّالِحِ  
فَقِيلَ لَهُ: أَتَى اللَّهُ وَاسْتَرْجِعْ، فَقَالَ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» وَقَرَأَ:  
«الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ  
رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري «أبو الحسن»: شاعر من أشراف الكوفة تزوج الحجاج اخته هند وولاه خوارزم وأصبهان ثم حبسه مدة طويلة (ل/ ١٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٣٥٧).

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٦ و ١٥٧.

وأناه موث محمّد بن يوسف وكان بينهما جمعة، فقال:

[الطويل]

حَسْبِي حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيْتٍ      وَحَسْبِي بَقَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَائِكٍ  
إِذَا مَا لَقَيْتُ اللَّهَ زَيْتِي مُسْلِمًا      فَإِنَّ نَجَاةَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَاكَ

وجلس الحجاج للمعزّين ووضع بين يديه مرآة، وولى الناس ظهره وقعد في مجلسه، فكان ينظر إني ما يصنعون، فدخل الفرزدق فلما نظر إلى فعل الحجاج تبسم، فلما رأى الحجاج ذلك منه قال: أتضحك وقد هلك المحمّدان فأنشأ يقول:

[الطويل]

لَيْسَ جَزَعُ الْحَجَّاجِ مَا مِنْ مُصِيبَةٍ      تَكُونُ لِمَخْرُوزٍ أَجَلٌ وَأَوْجَعَا  
مِنْ الْمُضْطَفَى وَالْمُضْطَفَى مِنْ خِيَارِهِمْ      جَنَاحِيهِ لَمَّا فَارَقَاهُ فَزُدَعَا  
أَخْ كَانَ أَغْنَى أَيْمُنَ الْأَرْضِ كُلِّهَا      وَأَغْنَى ابْنَهُ أَمْرَ الْعِرَاقَيْنِ أَجْمَعَا  
جَنَاحَا عَقَابٍ فَارَقَاهُ كِلَاهُمَا      وَلَوْ قُطِعَا مِنْ غَيْرِهِ لَتَضَعَضَعَا  
سَمِيًّا نَبِيَّ اللَّهِ سَتَاهُمَا بِهِ      أَبٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الثَّوَابِ أَخْضَعَا

وكتب إليه الوليد يُعزّيه عن محمد بن يوسف ويحثّه على الصبر فكتب إليه:  
«كتب إلي أمير المؤمنين يُعزّيني عن محمد بن يوسف ويذكر رضاه عنه، ويأمرني بالصبر، وكيف لا أصبر وقد أبى الله لي أمير المؤمنين؟».

وتحدّث المدائني عن يونس بن حبيب قال: كان الحجاج إذا سمع نوحاً في دار هدمها. فلما مات ابنه وأخوه كان يعجبه أن يسمع النوح، وكان يتمثل بشعر الفرزدق:

[الطويل]

هَلْ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاصْبِرِي      فَلَنْ يُزَجَّعَ الْمَوْتِي حَنِينُ الْمَاتِمِ  
قال أبو العباس: حدّثني الثّوّزي قال: سمعت أبا زيد يُنشد «حنين الماتم». وكان يتمثل أيضاً بشعر ليزيد بن الحكم الثّقفي<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

أَنْ تَحْتَسِبَ تُوجِرُ وَإِنْ تَبَكَّه تَكُنْ      كَبَاكِيمَةٍ لَمْ يُحْيِ مَيْتاً بُكَاءُهَا  
وَمِنْ شَرِّ حَقْلِي مُسْلِمٍ مِنْ حَمِيمِهِ      بُكَاءُ وَأَخْرَانٌ قَلِيلٌ جَدَاؤُهَا

(١) يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثّقفي: شاعر أموي (١٠٥ هـ).



وتحدّث المدائني عن عوانة<sup>(١)</sup> قال: أرسل الحجاج إلى علي بن ثابت بن قيس الأنصاري فقال: أنشدني مرثيتك ابنك فأنشده:

[المنسرح]

يا كذّاب اللّه من نعى حسناً      ليس إنكذيب نغيبه ثمّن  
أجول في الدار لا أراك وفي الد      ار أناس جوارهم غبّن  
كثت خليلي وكنت خالصتي      لكل حي من أهله سكن  
بذلّهم منك، لئيت أنهم      آمنوا وبيني وبئتهم عدن

فقال الحجاج: إرث ابني محمداً، فرثاه. فقال الحجاج: مرثيتك ابنك أجود. قال: إن قلبي وجد على ابني ما لم يجد على ابنك. قال: كيف كان حيك له؟ قال: لم أمل من النظر إليه، ولم يغيب عني إلا اشتقت إليه قال: كذاك كنت أجد بابني محمد. وقال الفرزدق:

[البيسط]

إنني لباك على ابني يوسف عمري      ومثل هلكهما للدين ينيكني  
ماسد حني ولا ميت مسدوما      إلا الخلايف من بعد الثبينين  
وقال أيضاً:

[الكامل]

إن الرزية لا رزية مثلها      فعدان مثل محمد ومحمد  
ملكاب قد خلب المناير منهما      أخذ المنون عليهما بالمزبد

وأخبر المدائني عن سلمة بن عثمان وغيره أن الحجاج جزع على ابنه محمد، فقيل لرجل من بني عقيل كان الحجاج قتل ابنه: إن الحجاج شديد الجزع على ابنه محمد وقد أنته وفاة أخيه محمد بن يوسف، فتمثل العقيلي:

[الطويل]

دوقوا كما دقنا غداة محرق      من الغيظ في أكبادنا والشحوب

وتحدّث المدائني عن إسحاق بن أيوب عن مطير، مولى يزيد قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يعزيه عن أخيه محمد بن يوسف فكتب إليه الحجاج: ما التقيت أنا ومحمد بن يوسف مذ كذا وكذا عاماً، وما غاب عني غيبة أنا، لطول اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دار لا تفرق فيها.

(١) عوانة بن الحكم: مؤرخ ورواية تقدمت ترجمته.

وقال ابن كُنَاسة<sup>(١)</sup>: مات محمد بن الحجاج ونُعِيَ محمدُ بن يوسف في جُمعة فخطب الحجاج الناس فقال: إنَّ محمد بن الحجاج ومحمد بن يوسف ماتا في جُمعة فكانَ الباقي منا ومنكم قد فني، وكانَ الحي منا ومنكم قد بلي، وتُدال الأرض منا ومنكم فتأكل من لحومنا كما أكلنا من ثمارها، وتشرب من دماننا كما شربنا من أنهارها، ولتجدنها كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال عَوَانَةُ بن الحكم: لما مات محمد بن الحجاج وأتاه نَعِيُّ أخيه بعث إلى مالك ابن أسماء وهو في السُّجْن فقال: أنشدني مَرثِيَتَكَ أَخَاكَ فَأَنشده:

[الخفيف]

أَقَطَعَ اللَّيْلُ زُفْرَةَ وَنَحِيبَا      وَلَمَّا قَدْ لَقِيْتُ أُمِّي كَشِيبَا  
أَذْكَرُ الْيَأْسَ مِنْ بَقَائِكَ فِي الْـ      لِدُنْيَا وَعَهْدًا مِنَّا وَمِثْكَ قَرِيبَا  
يَوْمَ أَذْعُوكَ لِلْحَطُوبِ وَلَوْ يَسُ      سَعُ دَاعِيكَ مَنْ دَعَا لِأَجِيبَا  
قال: وأنا، واللَّهِ، لو أسمعتهما النداء لأجابا.

وقال إبراهيم بنُ سعد: سمع علي بن الحسين واعيةً من بيته وهو في مجلسه وعنده جماعة، فنهض إلى منزله فسكتهم ثم خرج إلى مجلسه فقالوا له: أَمِنْ حَدِيثِ كَانَتِ الْوَاعِيَةُ؟ فقال: نعم، ابن لي، فعزَّوه وتعجبوا من صبره. فقال: إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ نَطِيعِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيمَا نَحَبَ وَنَكَرَهُ، وَنَحْمَدُهُ، فَإِذَا نَزَلَ مَكْرُوهٌ حَمِدْنَا وَاحْتَسَبْنَا.

قال أبو القاسم بن قيس العامري: لما دُفِنَ علي بن أبي طالب فاطمة عليهما السلام، تَمَثَّلَ عند قبرها:

[الطويل]

وَإِنْ أَفْتَقَادِي وَاجِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ      ذَلِيلٌ عَلَى الْأَيْدِومِ خَلِيلٌ  
وتمام هذا الشعر:  
ذَكَرْتُ أبا أَرْوَى قَبِيْتُ كَأَنْسِي      بِرِزْدِ الْأُمُورِ الْمَاضِيَاتِ وَكَيْلُ

(١) محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المازني الأسدي «الملقب بابن كُنَاسة»: شاعر عباسي من الكوفة عالم بالعربية وأيام الناس وهو ابن أخت الزاهد إبراهيم بن آدم (١٢٣ - ٢٠٧ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٢٢١).

(٢) سورة يس: الآية ٥١.

كُلَّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلٌ  
إِنْ افْتِقَادِي وَاجِدًا بَعْدَ وَاجِدٍ دَلِيلٌ عَلَى الْأَيْدِمْ خَلِيلٌ

وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - للأشعث بن قيس<sup>(١)</sup> وعزاه عن  
ن له: يا أشعث، إن تجزعت علي ابنك فقد استحقت ذلك منك الرِّجْمُ، وإن  
عسِرَ ففي الله الخَلْفُ. يا أشعث، إنك إن صَبَرْتَ جرى عليك القدرُ وأنت  
أجور، وإن جَزَعْتَ جرى عليك القدرُ وأنت مَوزور.

وكان علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - يقول إذا عَزَى: إن تجزعا  
لرِّجْمُ أهلُ ذلك منكم، وإن تصبروا ففي ثواب الله خَلْفٌ من المصيبة. عَظُمَ اللَّهُ  
جركم.

وعزى رجلٌ رجلاً عن ابنه فقال: ذهب أبوك وهو أصلك، وذهب ابنك  
هو فرعك، فما حال الباقي بعد أصله وفرعه؟.

وعزى رجلٌ رجلاً فقال: ما كان لك في الآخرة أجرٌ خيرٌ لك مما كان في  
دُنيا سروراً.

وقال موسى الهادي<sup>(٢)</sup> لإبراهيم بن سلم وعزاه عن ابنه: أيسرُك وهو بليئةٌ  
ثنته، ويُحزِنك وهو صلاةٌ ورحمةٌ؟.

وقال سعيد بن عبد الله: قال الحسن لرجلٍ عزاه عن ابنه: إنما يستوجب  
لى الله وعدّه من صبر الله بحقّه. فلا تجمع، إلى ما أصبَتْ به، الفجيرةُ بالأجر  
نها أعظمُ المصيبتين عليك وأنكأ المرزئتين لك.

وقال أبو الحسن المدائني: لما هلك يزيد بن الصعق ورثه مَعِيئَةُ بن يزيد  
رَهَ وَجَفَّتْهُ فقالت ليلي بنت يزيد:

[الطويل]

زَيْدُ أَبَا قَيْسٍ وَهَلْ تَسْمَعُهُ وَعِنْدَكَ تَعْبِيرٌ لَوْ أَنَّكَ تَسْمَعُ  
صَبِيحَ مَا جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ صَالِحٍ مَعِيئَةُ يُعْطِي النَّاسَ مِنْهُ وَيَمْنَعُ

(١) الأشعث بن قيس الكندي «أبو محمد»: أمير كندة في الجاهلية والاسلام من ذوي الرأي والإقدام  
والهبة له أخبار في الفتوح (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٣٢).

(٢) موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور «أبو محمد»: خليفة عباسي قتلته أمه خناً  
على يد جواربها عندما أراد خلع أخيه هارون من ولاية العهد (١٤٤ - ١٧٠ هـ) (الأعلام: ج ٧،  
ص ٢٢٧).

فَلَا تَأْمَنَنَّ الدُّهْرَ شَيْئاً زَأَيْتُهُ  
وقال سعيد بن قيس المحاربي:

وَلَا أَنْ يَسُوقَ النَّاسَ عَبْدٌ مُجْدَعٌ

[الوافر]

أَبَادِرُ قِسْمَةَ الشُّرَكَاءِ مَالِي  
وَقَالُوا: خَفُّنَا التُّلْشَانَ مِثْلَهُ  
تَقُولُ عَجْرُؤُهُمْ فِي ذَلِكَ سَهْمِي  
وَكَانَتْ قَبْلُ تَمْلِكُهُ جَمِيعاً

إِذَا حَسَبُوا وَهُمْ حَوْلِي قُعودُ  
وَقَدْ صَدَقُوا لَعْمَرِي أَوْ يَزِيدُ  
بَلَى وَيَسْهُمَكَ الْعَيْنُ الشَّدِيدُ  
تُعْنِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا تُرِيدُ

وقالت المُحَيَّاة بنت طَلْق الجَشْمِيَّة، من بني تيم اللات بن ثعلبة في الإسلام،  
وجاء العَصْبَةُ يَقتسمون دارها التي كانت لزوجها، فسمعت أصواتهم فقالت:

[السريع]

يَا ذَعْوَةَ مَا ذَعَوْتِي عَامِراً  
تَاللَّهِ لَوْ يَسْمَعُ ذَعْوَاهُمْ

بِاللَّهِ لَوْ يَسْمَعُنِي لَأَسْتَجِبَ  
لَفَلَّهْمُ عَنِّي بِظَفْرِ وَنَابِ

فرجعوا عنها وغبروا حيناً ثم عادوا، فقالت:

[الطويل]

لَقَدْ بُدِّلَتْ دَارُ الْأَحْيَةِ بَعْدَهُمْ  
فَلَوْ أَنَّ دَاراً أَعْرَلَتْ قَدْ أَهْلَهَا

مَوَالِي مِنْهُمْ مُلْحَقُونَ وَتَابِعُ  
بَكَتْ دَارَنَا وَالْتَمَعُ<sup>(١)</sup> مِنْهَا الْمَايِعُ

فرجعوا فمكثوا حيناً ثم عادوا، فقالت:

[مجزوء الكامل]

الدَّارُ تَبْكِي أَهْلَهَا  
فِيَقَالُ: إِنَّهُمْ تَرَكُوهَا لَهَا.

وَبُكَتْ دَارُنَا شَيْءٌ عَجِيبُ

قال المدائني: تُوْفِي ابْنُ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ يَكْنَى أَبُو الْحُصَيْنِ فَقَالَ: رَحِمَ  
اللَّهُ الْحُصَيْنِ. وَاللَّهُ إِنْ كَانَ، مَا عَلِمْتَهُ، لَبَرّاً بِوَالِدِيهِ، وَصَوْلَاً لِرَحِمِهِ بَعِيداً مِمَّا  
يُصْرَفُ بِهِ الشُّبَّانُ.

قال أبو العباس: وَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْخَبْرِ عَلَى غَيْرِ هَذَا. إِنَّهُ تُوْفِي ابْنٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ  
تُعَيْمٌ فَقَالَ: لَا أَنْسَى تُعَيْمًا أَبَدًا. وَفِي هَذَا الْخَبْرِ: وَلَقَدْ ذَكَرْتُ عِنْدَ مَوْتِهِ قَوْلَ  
الشَّاعِرِ - يَعْنِي أَبَا جِرَاشِ الْهَدَلِيِّ:

[الطويل]

(١) التمع: اصطك.

سَأَلَهُ لَا أَتَسَى قَتِيلاً زُرْتُهُ      بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ  
ثُمَّ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَسَاهُ فَقَالَ :

لَمَّا سَأَلَهُ بِهَا تَغْفُوَ الْكُلُومَ وَإِنَّمَا      نُؤَكِّدُ بِالْأُذُنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي  
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ فِي أَخْبَارِ الطَّاعُونَ : الَّذِي بَلَّغْنَا مِنْ خَبَرِ الطَّاعُونَ أَنَّ النَّاسَ  
لَا يَجْزَعُونَ فِيهِ عَلَى مَوْتَاهُمْ كَجَزَعِهِمْ فِي غَيْرِ الطَّاعُونَ ، وَذَلِكَ لِتَأْسِي النَّاسِ  
بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَلَمَّا يَدْخُلُهُمْ مِنَ الْخَوْفِ ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ فَيَسْلُو  
مَنْ الْوَلَدَ وَالْأَهْلَ وَالْقُرَابَةَ .

وقال : وكانت الطواعين المشهورة العظام في الإسلام بالعراق خمسة :

- طاعون شيرويه بالمدائن في سنة ست من الهجرة .  
- والطاعون الجارف سنة تسع وسبعين في شوال . هلك في ثلاثة أيام في كل  
يوم سبعون ألفاً . مات لأنس بن مالك فيه ثلاثة وثمانون ابناً ويقال : وسبعون .  
مات لعبد الرحمن بن أبي بكره أربعون ابناً ، وهرب عبيد الله بن عمير ، مات له  
لاثون ابناً ، وإنما هرب بهم من الطاعون . وقال البراء المازني : مات في الطاعون  
صدقة بن عامر المازني سبعة بنين في يوم واحد ، فدخل ، فوجدهم قد سَجَّوا  
جميعاً ، فقال : اللَّهُمَّ ، إِنِّي مُسَلِّمٌ مُسَلِّمٌ .

وقال محمد أبو عبد الله التميمي : هرب المرقع بن العلاء ، أخذ بني  
بيعة بن مالك بن زيد مناة ، من الطاعون ، وله اثنا عشر ابناً ، فماتوا جميعاً ،  
دفنهم في سفح سنام فريثهم فقال :

[الوافر]

فَلَمَّا دَفَعْتِ الدَّفْعِينَ الضَّيْمَ غَنِي      بِرَأْسِيَةِ مُجَاوِزَةِ سَنَامَا  
قَوْلُ إِذَا ذَكَرْتُهُمْ جَمِيعاً      بِنَفْسِي تِلْكَ أَوْلَادُ وَهَامَا  
لَمَّا جَمَانَهُمْ إِذْ فَارَقُونَا      تَلَّقَانَا وَكَانَ لَنَا جَمَامَا  
لَمْ أَرِ مِثْلَهُمْ فَمَلَكُوا جَمِيعاً      وَلَمْ أَرِ مِثْلَ هَذَا الْعَامِ عَامَا  
قال : أنشدني الرياشي ثلاثة أبيات منها ولم ينشدني الرابع .

وقال علي بن الغاسم : حدثني رجل قال : رأيت في المنام أيام الطاعون  
كأنه أخرجت من داري اثنا عشرة جنازة وأنا وعيالي اثنا عشر ، فمات منا أحد  
عشر وبقيت و... ، فقدت في نفسي : أنا تمام العدة ، فخرجت من الدار ثم  
رجعت من غد إليها فإذا نَصٌّ قد دخل الأسرقة فقطع في الدار فمات ، فأخرجنا  
جنازته .

قال أبو الحسن: بلغني أن رجلاً نبّس في الطاعون قبراً فأخرج الميت من قبره وأخذ ثيابه فقطع من ساعته فمات فوجد والثياب معه.

وقال سليمان بن قحذم: خرجت في الطاعون الجارف إلى مكة، ودارنا مشحونة، فرجعنا وقد خلت، فقال لي أبي: يا بني، ما بقي في الدار أحد ممن تركت غيري وغير أُمِّي جدّتك.

وقال معاذ التّمّار: بلغني أنّ دوراً كثيرة مات أهلها. فلما قديم الحجّاج هدمها مخافة أن يكمن فيها الخوارج، واشترى الناس دوراً كثيراً فدُفنوا فيها.

قال: بلغني أنّ داراً مات أهلها جميعاً، فأغلقوا بابها وفيها صبي صغير رضيع لم يعلموا به، فلما خفّ الطاعون فتحو الباب بعد أشهر فإذا صبيّ يحبو، فتعجبوا منه، فإذا كلبه تطفر إلى الدار فتربّض ناحية ويحبو إليها الصبيّ فيشرب من أطباتها ثم تطفر الحائض إلى خارج. فلم يزل ذلك داب الصبيّ حتى حبا خبواً.

قال: وأخبرت أن الدار كانت تُصبح وفيها خمسون، وتُصبح الغد وليس فيها واحد.

قال: وكان الرجل بعد الطاعون يلقي المرأة، فلو شاء أن يغصبها نفسها فَعَل قبل أن يمُرّ أحد.

ثم خفّ الطاعون وخليفة مُصعب بن الزبير<sup>(١)</sup> على البصرة سنان بن سلمة الهذلي<sup>(٢)</sup> فخطب الناس فقال: اتقوا الله أيها الناس فإن عند الله أياماً مثل سؤال. قال: وكان طاعون القينيات في سؤال سنة سبع وثمانين، مات فيه الجوّاري.

ثم كان طاعون سنة إحدى وثلاثين ومئة في رجب فاشتدّ في شهر رمضان فكان يُحصى في سَكّة المِرّند في كل يوم عشرة آلاف جنازة، أياماً، وخفّ في سؤال.

وقال طارق: أخبرني رجلٌ قال: تزوجت امرأة فدخلت بها ليلة الإثنين،

(١) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي العرشي «أبو عبد الله»: أحد أولاد في صدر الإسلام تولى العراق لأخيه عبد الله حتى هزمته جيوش عبد الملك (٢٦ - ٧١ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٤٧).

(٢) سنان بن سلمة الهذلي: شجاع المذكور عمر طويلاً حتى زمن الحجّاج ومولده يوم الفتح (اليان والبيّن: ج ٣، ص ١٤١).

صبحت غادياً من عندهم وهي عند أبيها وأمها وأختها وخدامهم، فعدت إليهم  
م الجمعة فلم يبق منهم أحد.

وهرب من الطاعون علي بن زيد بن جُدعان إلى السَّيْالَة<sup>(١)</sup>، وكان يجمع  
لُ جمعة ويرجع فكان إذا جمع صاحوا به: فر من الطاعون، فطعن فمات  
لسيالة. وهرب عمرو بن عبَّيد ورباط بن محمد بن رباط إلى الرِّبَاطِيَّة<sup>(٢)</sup> فقال  
راهم بن علي بن عبد الرَّحْمَنِ الْقَقِيمِي:

مَا اسْتَفْزَأَ الْمَوْتُ كُلَّ مُكَذِّبٍ صَبْرَتْ، وَلَمْ يَضِيْرَ رِبَاطٌ وَلَا عَمْرُو  
ورأى نافع<sup>(٣)</sup> رجلاً قد خرج من البصرة على حمارٍ فرقاً من الطاعون،  
كان نافع يعرفه فقال: انظروا يقر من الله على حمار.

وكان ابن شَيْبَلِ بْنِ مَعْبِدِ الْبَجَلِيِّ بشيراز فمات أهله بالطاعون فبلغه، فجزع  
بهم فقال:

[الطويل]

عَرِيباً كَمَا بَعْضُ الرُّجَالِ غَرِيبٌ كَمَا يَشْبِرِي دُونَ اللَّحَاءِ عَسِيبٌ نَوَى غُرْبَةَ عَمَنْ نُحِبُّ شَطُوبٌ لَهُمْ مِنْ فَوَادِي الْعِرَاقِ نَصِيبٌ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ الْإِيْسَابُ أَوْوَبٌ؟ فَعَالَتْهُمْ مِنْ دُونَ ذَلِكَ شَعُوبٌ لَهُنَّ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ رَقِيبٌ وَلِلْحَيِّ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ ذُنُوبٌ بَعِيدٌ وَلَا هُمْ فِي الْحَيَاةِ قَرِيبٌ رَأَيْتُ الْمَنَايَا تَغْنَدِي وَتَشُوبُ خَوَادِثُ، كُلُّ الدَّهَائِمِ نَصِيبٌ إِلَى أَجَلٍ نَدْعَى لَهُ فَشَجِيبٌ	حَا لِكَ فِي شِيرَازِ هُمْ قَلِمٌ تَنَمُّ ثَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَلِ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَذَفْتُ بِنَا سِي الْعَهْدِ بِالْأَفْهَلِ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ لِ تَرَكَ الطَّاعُونَ لِي مِنْ قَرَابَةِ سَنَا نُرْجِي أَنْ نَصِيرَ إِلَيْهِمْ نَادِيرٌ لَا يُغْفَلُنْ مَنْ كَانَ يَوْمُهُ ثَبِينَ بِكَأْسِ الْخَوْبِ مَنْ قَدْ أَصْبَتْهُ بِذْ أَصْبَحُوا لَا دَارَ لَهُمْ مِنْكَ غُرْبَةٌ سَوْءٌ عَنِّي بَعْضُ وَجَدِي أَتْسِي سِي رَأَيْتُ النَّاسَ أَتْسِي كَرَامَهُمْ سَا نَحْنُ إِلَّا بِسَلْمِهِمْ نَعِيرُ أَتْسَا
---	--

السَّيْالَة: أرض يطلوها طريق الحاج (معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٩٢).

الرِّبَاطِيَّة: ماء في طريق لُبَّ البصرة من جزيرة العرب.

نافع بن جُبَيْر بن مَعْنَم بن عَدِي بن نَوْفَل بن ثَرْيَاح: من كبار رواة الحديث تابعي ثقة من أهل  
الحديثة (٩٩٠ هـ) (الأعلام، ج ٧، ص ٣٥٩).

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال: هلك في طاعون «عمواس» من آل الوليد بن المغيرة عشرون فتى، ومن آل صخرٍ مثلهم. فقال رجل منهم:

[السرير]

مَنْ يَنْزِلُ الشَّامَ وَيُغْرَسُ بِهِ  
يَقُولُ: إِنْ لَمْ يَفِنَّا فَهُوَ يِقَارِبُ ذَلِكَ. يُقَالُ: كَرَبَ الشَّيْءُ يَكْرُبُ إِذَا قَرُبَ.

أَفْسَى بَنِي صَخْرٍ وَفُزَسَائِهِمْ  
عِشْرِينَ لَمْ يَطْرُزْ لَهُمْ شَارِبٌ  
وَمِنْ بَنِي أَعْمَامِيهِمْ مِثْلُهُمْ  
لِيُثَلِّلَ هَذَا الْعَجَبُ الْعَاجِبُ  
طَغْنًا وَطَاعُونَ مَنِيَاءَهُمْ  
ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا الْكَاتِبُ

واستشهد بالشام من بني المغيرة<sup>(١)</sup> سبعة وسبعون رجلاً في وقعة، فقال خالد بن الوليد: بنفسي أنتم زعم ابن حنثة - يعني عمر بن الخطاب - رحمه الله - أن بني المغيرة لا يستشهدون.

وقال المدائني: كان بالكوفة طاعون سنة خمسين، فقال المغيرة بن شعبة لأبي موسى: <sup>(٢)</sup> انطلق بنا. فخرج إلى «دابق» من الطاعون فقال أبو موسى: إلى الله أبق لا إلى دابق، فخرج المغيرة. فلما خرج خف الطاعون فقبل له: لو رجعت إلى أهلك! قال: ما يريدون مني؟ فلم يزالوا به حتى أقبل إلى الكوفة، فقال: كأنكم بالطاعون قد ختلني في خصاص بني عوف، فطين فمات. واستخلف على الكوفة جرير بن عبد الله البجلي<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو إسماعيل عن مجالد عن الشعبي أن صديقاً لشريح خرج هارباً من الطاعون، فأقام بالنجف<sup>(٤)</sup> فكتب إليه شريح: إن المكان الذي أنت به بعين من لا

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي «أبو عبد الله» أحد دعاة العرب وقادتهم ولواتهم صحابي تولي لعمر البصرة ثم الكوفة ولعثمان ومعاوية الكوفة وهو أول من وضع ديوان البصرة وأول من سلم عليه بالأمر في الإسلام (٢٠ ق هـ - ٥٠ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٧٧).

(٢) عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري: صحابي من الولاة الشجعان من بني الأشعر من قحطان ولد في زيد «باليمن» افتتح أصبهان والأهواز وتولى الكوفة لعثمان عزله عنها علي لعوده عن نصرته في موقعة الجمل خدعه عمرو بن العاص في التحكيم وتوفي في الكوفة (٢١ ق هـ - ٤٤ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١١٤).

(٣) جرير بن عبد الله البجلي «أبو عمرو» من بجيلة أسلم سنة عشر اعتزل الحرب بين علي ومعاوية وأقام في الجزيرة حتى توفي سنة ٥٤ هـ.

(٤) النجف: موضع يظهر الكوفة فيه قبر علي رضي الله عنه (معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٧١).



نوته طلب، ولا يُعجزُهُ هرب، والمكان الذي خلّفت لا يُعجل امرءاً إلى حماه بل أجله، ولا يظلمه أيامه، وأنت وهم على بساط واحد، وإن التّجفة من ذي قدرة لقریب.

وقال أبو عاصم من ولد عباد بن زياد<sup>(١)</sup>: كانت الطواعين بالشام كثيرة كانت الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدؤون ويهربون من الرّيف فينزلون البريّة خوفاً من طاعون. فلما أراد هشام بن عبد الملك أن ينزل الرّصافة<sup>(٢)</sup> قيل له: يا أمير مؤمنين، لا تجزّع فإنّ الخلفاء لا يطعنون، ولم نسمع بخليفة طعن ولم نره. ال: أتريدون أن تجربوا فيّ؟ فتحول فنزل الرصافة وهي برّيّة، وبنى فيها قصرين.

قال: وكان عبد العزيز بن الوليد ينزل «أسيّساً»<sup>(٣)</sup> فقدم على أبيه بدمشق بلاّم للوليد فقال الوليد لابنه عبد العزيز: يا بني، ارجع إلى منزلك. قال: أبيت ليلة ثم أغدو. قال: عزمّت عليك إلا رجعت. فرجع ولم يدعه بيت. قال أبو بيبة عن أبي عمرو بن العلاء: إنّ رجلاً من أهل البصرة أيام الطاعون الجارف - ما رآه قد كثّر - أراد الهرب، فعمد إلى حمار له فجعل عليه متاعه، وغلام له ناوله جهازه، والغلام يرتجز:

[مشطور الرجز]

نن يُسبِقُ اللُّهُ على جِمارٍ      ولا على ذي مَسِيَمَةٍ مَطَارٍ  
قَدْ يُضِيحُ اللُّهُ أَمَامَ السَّارِي

فقال له الرجل: صدقت. ثم حطّ رحله وأقام، فمات فيمن مات.

قال المدائني: قال الحسن البصري - وذكر عنده الطاعون -: ما أحسن ما بلى اللّهُ فيه: ارتدع مذنب، وأنفق ممسك، ولم يُغلط بأحد.

وقال أبو الحسن المدائني عن جناب بن موسى عن جعفر بن محمد عن يه قال: لما احتضر رسول الله أتاه جبريل عليه السلام فخيرّه بين البقاء في الدنيا وبين المصير إلى رحمة الله أو رفعه إليه وتعجيل ما وعده فقال ﷺ: «بل الرفيق لأعلى». فكان يقول ذلك حتى قضى، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

(١) عباد بن زياد بن أبيه «أبو حرب» أمير فاتح أقالم بالبصرة ولي سجستان وغزا بلاد الهند أيام معاوية وكان في الشام أيام عبد الملك (/ ١٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٥٧).

(٢) الرصافة: رصافة هشام بن عبد الملك غربي الرقة (معجم البلدان: ج ٣، ص ٤٧).

(٣) أسيّس: ماء في شرقي دمشق (معجم البلدان: ج ١، ص ١٩٣).

وأخبر المدائني عن شعبة عن سعيد بن إبراهيم عن عروة عن عائشة،  
رحمها الله، قالت: كنت أسمع أن النبي ﷺ لا يموت حتى يُخَيَّر، فسمعتة يقول  
ﷺ في مرضه: الرفيق الأعلى، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين  
والشهداء والصالحين، فظننت أنه خيّر فاختار الآخرة.

وقال خلاد بن عبيدة عن علي بن زيد<sup>(١)</sup> عن الحسن قال: قيل لأبي بكر  
في مرضه: لو أرسلت إلى الطبيب! فقال: قد رأيته. قالوا: فما قال لك؟ قال:  
قال: إني فعّال لما أريد. وفي رواية: إني أفعل ما أشاء.

وقال أبو محمد الناجي عن الحسن: إن أبا بكر، رحمه الله سمع عائشة  
رضي الله عنها وهو في سكرات الموت، وهي تقول:

[الطويل]

لَعْمُرُكُ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجْتَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ  
فقال: يا بنتي ألا قلت **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه  
تحيد﴾**<sup>(٢)</sup> وقال ممتثلاً:

[مخلع البسيط]

وَكُلُّ ذِي إِبِلٍ مُورُثُهَا وَكُلُّ ذِي سَلْبٍ مَنْلُوبُ  
وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُؤُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُؤُوبُ  
وأجز ما تكلم به: رَبُّ **﴿توفني مسلماً وألحقي بالصالحين﴾**<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو بلال الأشعري عن محمد بن عاصم الأنسلمي عن موسى بن عُبَبة  
المزني قال: كتب أبو بكر، رحمه الله عليه رصيته بيده وهي: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ هذا ما أوصى به أبو بكر الصديق عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند  
أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث، يُؤْمِنُ الْكَافِرُ، وَيُتَّقِي الْفَاجِرُ، وَيَصْدُقُ  
الكَاذِبُ. إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه فاسمعوا له  
وأطيعوا. فإن عدل فذلك ظني به ورأيي فيه. وإن جارَ وبدل فلا أعلم الغيب،  
والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب  
ينقلبون﴾**<sup>(٤)</sup>.

(١) علي بن زيد بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان «أبو الحسن» فقيه ضريير من حفاظ الحديث  
(١٢٩/.. هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٢٨٩).

(٢) سورة ق: الآية ١٩. (٣) سورة يوسف: الآية ١٠١. (٤) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

وقال عمرُ بن غياث عن الهلالي: كان رسول الله ﷺ إذا أقرّطت عليه حُمتي في وجعه الذي تُوفّي فيه قالت فاطمة: يا أبني وأمي. ثم تمثلت:

[الطويل]

أَبْيَضُ يُنْتَسِقَى النِّعْمَامُ بِوَجْهِهِ      شِمَالُ النِّتَامَى عِصْمَةٌ لِأَرَامِلِ  
قال: فأفاق رسول الله فقال: ذلك قول عمك أبي طالب. ثم قال ﷺ:  
يوما محمّدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل ﴿١﴾ الآية.

قال أبو الحسن عن عاصم بن عمر<sup>(٢)</sup> عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن سلم<sup>(٣)</sup> عن أبيه عن جدّه أن كعب الأحمبار<sup>(٤)</sup> قال لعمر بن الخطاب رحمه الله: يا سيّد المؤمنين، أنت ميتٌ في ثلاث، أجد ذلك في بعض الكتب. قال: أتجد اسمي نسي؟ قال: لا، ولكن أجد صفتك وسيرتك وزمانك، فقال عمر:

[الطويل]

سَوْعَدَنِي كَغَبِّ ثَلَاثٍ يَغْدُهَا      وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَ لِي كَغَبِّ  
مَا بِي خَوْفَ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ      وَلَكِنَّ خَوْفَ الذَّنْبِ يَتَّبِعُهُ الذَّنْبُ

وقال هشام بن عاصم عن الشعبي أن عمر بن الخطاب رحمه الله عليه قال مند موته: ليتني أنجو من هذا الأمر كفافاً لا لي ولا علي. يا عبد الله، ضع خدي على الأرض، ويل لعمر ولأم عمر إن لم يُنجِه الله.

وقال أيضاً: لما طعن العليُّ عمرَ قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال سعيد بن مسلم عن أبيه أن عثمان بن عفان - رحمه الله - يوم دُخل عليه فقُتِل، دعا بالمصحف فنشره، فكان أوّل حرفٍ نظر إليه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ يَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٦)</sup>، وتمثّل:

[الطويل]

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) عاصم بن عمر بن الخطاب: شاعر، جد عمر بن عبد العزيز لأمه كان طويلاً جسيماً (٦ - ٧٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٤٨).

(٣) زيد بن أسلم العدوي «أبو أسامة أو أبو عبد الله» فقيه مدني ومفسر كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي (ل/١٣٦ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٥٧).

(٤) كعب بن مافع الحميري «أبو إسحاق» تابعي من كبار أحمبار اليهود أسلم في أيام أبي بكر وأخذ المسلمون عنه أخبار الأمم الماضية (ل/٢٢٢ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٢٨).

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٣٧.

أَرَى الْمَوْتَ لَا يُنْقِي عَزِيزاً وَلَمْ يَدَعْ  
يُبَيِّتْ أَهْلَ الْحِضْنِ وَالْحِصْنَ مُغْلَقَ وَيَأْتِي الْجِبَالَ مِنْ شِمَارِيجِهَا الْعُلَا  
وقال أبو الحسن عن سعيد بن عبد العزيز السلمي عن أبيه أن الزبير<sup>(١)</sup> -  
رحمه الله - قال حين طعنه ابن جرموز: ما له - قاتله الله - يذكر بالله وينساه!  
وذلك أن الزبير - رحمه الله - لما رآه هم به، فقال ابن جرموز: أذكرك الله، فتركه  
ثم تمغله فضعه. وتمثل الزبير:

[الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عَلِيَّ نَافِعِي      أَنْ الْحَيَاءَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبٌ  
وقال طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - يوم الجمل عند موته:

[مجزوء الكامل]

صَرَفَ الزُّبَيْرُ جِوَادَهُ      أَلَى لُذْرِكُهُ وَفَائِدَهُ  
ثم قال حين نزل به الموت: تالله ما رأيت كالיום مصرع أسد أضيغ،  
وتمثل:

[الطويل]

أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ الثُّغُوبِ وَلَا أَرَى      بَعِيداً عَدَاً مَا أَقْرَبَ الْيَوْمِ مِنْ عَدِ  
وقال يعقوب بن داود الثقفي عن الحسين بن بزيغ: إن أمير المؤمنين  
علي بن أبي طالب رحمه الله خرج في الليلة التي ضرب فيها في السحر وهو  
يقول:

[الهمزج]

أَشْدُّ حَيَازِيمِكَ لِلْمَوْتِ      فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَمِيكَ  
وَلَا تَجْرَعُ مِنَ الْمَوْتِ      إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ  
وضربه ابن ملجم، فقال: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مَرْضَاةِ اللَّهِ،  
وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ»<sup>(٣)</sup>. وقال علي حين ضرب: «فَرْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ». وكان

(١) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي «أبو عبد الله» صحابي جليل من العشرة المبشرين  
بالجنة أسلم وعمره ١٢ سنة كان من رجال الشورى السنة قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادي  
السباع (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٤٣).

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني «أبو محمد» أحد العشرة المبشرين بالجنة قتل  
يوم الجمل وعمره ٦٢ سنة وقبره بظاهر البصرة (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٢٩).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

رَ مَا تَكَلَّمُ بِهِ أَنْ قَالَ: ﴿فَمَنْ يَغْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَغْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ  
أَيُّسًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الحسن عن علي بن مهزيب عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران  
ن أبيه: إن معاوية قال في مرضه الذي مات فيه: إن رسول الله ﷺ كساني  
يصاً فرغته. وقلم أظفاره يوماً فأخدت فلأمتها فجعلتها في قارورة فإذا مت  
يسوني ذلك القميص وقطعوا تلك القامة واسحقوها وذروها في عيني وفمي ثم  
مي عليه، فقالت ابنته أو امرأة من أهله متمثلة:

[الطويل]

مَاتَ مَاتَ الْجُودُ وَأَنْقَطَعَ الشَّدَى      مِنْ الشَّاسِ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدِ  
دَتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا      مِنْ الدُّنْيَا بِخَلْفٍ مُجَدِّدِ  
ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِهِ: اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَّقِي مَنْ اتَّقَاهُ، وَلَا  
يَتَّقِي لِمَنْ لَا يَتَّقِي اللَّهَ.

وقال عوانة: لما حضرت معاوية الوفاة قال: يوم من ابن الأديب<sup>(٢)</sup> طويل!  
تمثل:

[البسيط]

لَذِ جَمَعْتُ لَكُمْ مِنْ جَمْعِ ذِي حَسَبٍ      وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ الشَّرْحَالَ وَالنُّصَبَا  
ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُقَلَّبُونَ حَوْلًا قَلْبًا، إِنَّ نَجَا مِنْ كِبَةِ النَّارِ فَهُوَ الرَّجُلُ.  
وفي غير هذا الإسناد أنه قال حين احتضرت لابنة قرظة: اندبيني فقالت:

[الهمزج]

أَبِيكَ أَلَا أَبِيكَ أَلَا أُكُلُ الْقَمَى فِيهِ      وَقَالَ لَابْنَتِي: قَلْبَانِي، فَفَعَلْنَا. فسأل: إنكما لتقلبان حولا قلبا إن وقى كبة  
نار. ثم تمثل:

[الكامل]

يَبْعَدُ زَيْبَعَةُ بِنُ مَكْدَمٍ      وَسَقَى الْعَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنْوَبِ  
وقال سعيد بن بشر: إن عبد الملك بن مروان ليلة قبض قلبه فسمع صوت

(١) سورة الزلزلة: الآية ٧.

(٢) هو حجر بن عدي بن جيلة الكندي: صحابي شجاع قتله معاوية مكبلاً بالحديد في مرج عذراء مع  
أصحاب له (٥١/...) (الأعلام: ج ٢، ص ١٦٩).

قصار<sup>(١)</sup> فقال: ما هذا؟ فأخبر، فقال حينئذ: ليتني كنتُ غسلاً أعيش بما أكتسب يوماً بيوم. فقيل لأبي حازم: إنَّ نبيَّ الملك قال كذا وكذا. فقال: الحمد لله الذي جعلهم يثمنون عند الموت ما نحن فيه، ولا نتمنى ما هم فيه.

وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد<sup>(٢)</sup> عن أبيه إنَّ سليمان بن عبد الملك قال عند الموت متمثلاً بقول الحارث بن عباد<sup>(٣)</sup>:

[الرجز]

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةٍ صَغَارَ      أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ  
إِنَّ بَنِي غِلْمَةٍ صَبِيْفِيُونَ      أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رُبْعِيُونَ  
فقال له عمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فضلى. فقالها، ثم قال: أسألك مُقلَباً كريماً. ثم قضى. وقال مسلم بن خالد<sup>(٤)</sup> عن ابن أبي نجیح: تأوه طائوس<sup>(٥)</sup> في مرضه الذي مات فيه، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، شكوت ربك فقال: ليتني أخرج من مرضي هذا لا علي ولا لي.

وقال محمد بن جعفر<sup>(٦)</sup> عن أبيه: دخلتُ على عبد الرحمن بن الفضل بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب في مرضه فبكى وقال: أبكي لصبيات خلف هذا الستر، لولاهن لهان علي الموت. إني لمؤمن، وإني لثائب، وإن الله لغفور رحيم. قلت: رحمك الله فالذي رجوته لمغفرة ذنبك فازجُه لخير بناتك. فقال: صدقت، جزاك الله خيراً.

(١) القصار: المحور للثياب (يدقها بالقصرة: قطعة خشب).

(٢) عبد الله بن ذكوان القرشي المدني «أبو الزناد» محدث وفقه صاحب كتابة وحساب وفد على هشام بحساب ديوان المدينة توفي فجأة بالمدينة (٦٥ - ١٣١ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٨٥).

(٣) الحارث بن عباد البكري: شاعر شجاع من سادات العرب دخل حرب البسوس بعد أن قتل المهلهل ابنه بجيراً فأسر المهلهل وجز ناحيته وأطلقه وأقسم أن لا يكف عن تغلب حتى تكلمه الأرض فكلمه رجل دسوه في سرب بشعر فقبل بر القسم واصططح القبيلان (٥٠/... ق هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٥٦).

(٤) مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي «المعروف بالزنجي»: من كبار الفقهاء تفقه به الشافعي قبل أن يلقى مالكا (١٧٩/ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٢٢).

(٥) طائوس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء «أبو عبد الرحمن» فقيه من رواة الحديث متشرف كان يعظ الخلفاء والملوك أصله فارسي ومولده في اليمن توفي حاجباً في المزدلفة أو منى (٣٣ - ١٠٦ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٢٤).

(٦) محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشي «أبو القاسم» صحابي ولد في الحبشة وقتل في صفين (٣٧/ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٦٨).

وقال أبو الحسن عن معاوية بن محمد عن عبد الله بن بُجَيْرٍ قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاصي لأبيه: يا أبا، كنت تقول: ليتني ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت به يحدثني ما يحدث. وقد نزل بك وأنت ذلك الرجل فصّف لي الذي تجد. قال: يا بُنيّ لكأنّ جنبيّ في تحت ولكأنّي أنفَسُ من سَمِّ إبرة، ولكأنّ غَضَنَ شوك يجرُّه من قدمي إلى هامتي. ثم قال متمثلاً قول أمية بن أبي الصلت<sup>(١)</sup>:

[الخفيف]

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَا لِي فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أَعْرَى الوُعُولَا  
وَالله لَيْتَنِي كُنْتُ حِيضَةً عَرَكَهَا الإِمَاءُ. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَقَالَ: اللّهُمَّ، إِنِّي لَسْتُ ذَا  
قُوَّةٍ فَأَنْتَصِرُ، وَلَا ذَا بَرَاءَةٍ فَأَعْتَذِرُ. اللّهُمَّ إِنِّي مُعَرِّ مُذنب مُسْتَغْفِر. وقال عوانة: قال  
عمرو بن العاصي عند موته: اللّهُمَّ، إنك أمرتنا فلم نأتِمر، وزجرتنا فلم ننزجر،  
فإننا لا نعتذر، ولكننا نستغفر.

وقال يعقوب بن عوف بن عبد الملك بن نوفل: لما نزل بالمغيرة بن شعبه  
الموت قال: اللّهُمَّ، هذه يدي بايعتُ بها نبيك ﷺ، وجاهدت في سبيلك، فأغفر  
لي ما يعلمون من ذنوبي وما لا يعلمون.

وقال أبو الحسن عن مسلمة بن محارب: لما ثقل زياد<sup>(٢)</sup> قديم عليه الهيثم  
ابن الأسود النخعي<sup>(٣)</sup> بعهدته على الحجز، فقيل له، فقال: شربة من ماء أسيغها  
أجد طعمها أحب إلي مما جاء به الهيثم.

وقال علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> عن الزهري<sup>(٥)</sup> قال أبو

(١) أمية بن عبد الله بن أبي الصلت النخعي: شاعر جاهلي أدرك الإسلام ولم يسلم كان يلبس المسوح  
تعبداً وأول من جعل في الكتب باسمك اللهم مات بالطائف (٥/هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٣).

(٢) زياد بن أبيه: أمير وقائد فاتح تولى لعلي إمرة فارس وللمعاوية سائر العراق حتى توفي (١ - ٥٣ هـ)  
(الأعلام: ج ٣، ص ٥٣).

(٣) الهيثم بن الأسود النخعي «أبو العريان»: شاعر وخطيب معمر ومن ذوي الشرف والمكانة في  
الكوفة ظل مالياً للأُمويين في فتنه ابن الزبير غزا القسطنطينية مع مسلمة سنة ٩٨ هـ (١٠٠/...) هـ  
(الأعلام: ج ٨، ص ١٠٣).

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار المصطفي «المدني» من أقدم المؤرخين العرب كان فديراً ومن حفاظ  
الحديث سكن ومات في بغداد (١٥١/...) هـ (الأعلام: ج ٦، ص ٢٨).

(٥) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري «أبو بكر» قرشي لؤي من دُون الحديث وأحد أكابر  
الحفاظ والفقهاء استقر بالشام ومات بشغب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين (٥٨ - ١٢٤ هـ)  
(الأعلام: ج ٧، ص ٩٧).

العباسي - وحدثني بعض هذا الحديث وزاد عليه شيئاً العباس بنُ الفرج الزياشي - قال: أغميَ على أمية بن أبي الصلت في مرضه الذي مات فيه، وهو يقول: لَيْبِكُمَا لَيْبِكُمَا، هأنذا لديكما، لا بريء ماعتذر. ولا ذو قوّة فانتصر. ثم أغميَ عليه ثم أفاق وهو يقول: لَيْبِكُمَا لَيْبِكُمَا، هأنذا لديكما، لا مالٌ يقدني، ولا عشيرة تحميني. وأغميَ عليه ثم أفاق وهو يقول: لَيْبِكُمَا لَيْبِكُمَا، هأنذا لديكما، محفوف بالنعيم:

[الرجز]

إِنْ تُغْفِرِ اللَّهُمَّ تُغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدِكَ لَا أَلْمَأ؟  
ثم قال:

[الخفيف]

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ يَوْمًا قَضَرُهُ مَرَّةً أَنْ يَزُولَا  
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَا لِي فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أُرْعَى الوُعُولَا  
اجْعَلِ الْمَوْتَ نُضَبَ عَيْنَيْكَ وَاحْذَرْ عَوَلَةَ الدَّهْرِ إِنْ لَلِدَّهْرِ عُوَلَا

قال أبو الحسن عن إسحاق بن يوب: إنَّ عبد الله بن عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت بُشِّرَ بقدم مالٍ نه كثيرٍ كان له بمصر، فقال: مالي وله! لَيْتَهُ كَانَ بَعْرًا حَائِلًا بِنَجْد.

وقال عوانة: قال نافع بنُ علقمة<sup>(١)</sup> حين حُضِر: ليت القرابة التي كانت بيني وبين مروان كانت بيني وبين رجلٍ من الزُّنَج، ولم أَدْخُلْ في شيء من هذا الأمر.

وقال أبو الحسن عن الحسن بن ديار: كان الحسنُ البصريُّ يُغْمَى عليه ثم يُفِيقُ فيقول: ساعةٌ صبرٍ واحتسابٍ وتسليمٍ لأمر الله عزَّ وجل، حتى مات.

قال: وكان محمَّد بن سيرين يقول، وهو في الموت: في سبيل الله نفسي أعزَّ الأنفس عليّ، حتى هلك.

وقال يحيى بن زكريا<sup>(٢)</sup> عن أبيه إذُ الشَّعْبِي قال وهو بالموت: اشهدوا أنني قد احتسبتُ نفسي عند الله تعالى.

(١) نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرز: والي مكة والمدينة خال مروان بن الحكم (البيان والتبيين: ج ٢، ص ٢٦).

(٢) يحيى بن زكريا بن أبي زائدة «أبو سعيد»: فقيه محدث تولى قضاء المدائن وتوفي سنة ١٨٢ هـ (تاريخ بغداد: ج ١٤، ص ١١٥).



وقال قيس بن الربيع: بلغني أن إبراهيم التخعي بكى عند الموت فقيل له: ابيكيك؟ فقال: ولم لا أبكي؟ وإنما أنتظر مُبشراً يُبشرنِي بالجنة أو بالنار. واللَّهِ دِدت أنها تجلجل في صدري إلى يوم البعث.

وقال خفص بن ميمون عن يونس وغيره عن الحسن أنه قال: إذا كان يومُ قيامة قيل لمن كان يحدث بالرُّخص: لمَ حَدَّثْتُم عبادي بالرُّخص قالوا: سمعناكَ نكر أن رحمتي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ تَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرَ الشُّرْكَ، فَحَدَّثْنَا هُمْ بِشُكْرُوكَ وَلَا يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِكَ. فيقولُ لهم: قد جعلتُ ثوابكم على ذلك جنة.

وقال أبو الحسن: بلغني أن سليمان التيمي<sup>(١)</sup> قال لابنه وهو بالموت: يا بِي، حَدَّثْتَنِي بِالرُّخْصِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ وَأَنَا لَهُ رَاجٍ.

وقال أبو الحسن عن أبي محمد الناجي قال: قال حذيفة<sup>(٢)</sup> وهو بالموت: نيبٌ جاء على فاقَةٍ، لَا أَفْلَحُ مِنْ نَيْدِمٍ. الحمد لله الذي سبَقَ بي الفِتْنِ. أليس بيني وبين ما أعلم.

وقال الثَّضَرُ بْنُ إِسْحَاقَ: قِيلَ لِلْحَسَنِ: إِنْ الْحِجَاجُ قَالَ عِنْدَ الْمَوْتِ: لَهْمَ، إِنْ هُؤَلَاءَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تَغْفِرُ لِي. اللَّهُمَّ، فَاعْفُرْ لِي ذُنُوبِي، فَإِنَّهَا صَغِيرَةٌ يَ جَنِبِ عَفْوِكَ. فَقَالَ الْحَسَنُ: أَقَالُهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: عَسَى!

وقال أبو الحسن عن مسلمة بن مُحَارِبٍ: قَالَ مُسَلِّمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ مَمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَوْصِي إِلَيَّ بِبَيْتِكَ أَوْ: أَلَا تُوصِي إِلَيَّ بِبَيْتِكَ فَقَالَ: أَوْصِي بِمَ إِلَيَّ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَيَنْصُرُ إِلَيَّ وَوَلَدَهُ فَقَالَ: بِنَفْسِي نِيَّةً أَفْقَرْتُهُمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ. ثُمَّ قَالَ: وَنَعْمَ الْمَذْهُوبُ إِلَيْهِ رَبِّي. وَقَرَأَ قَارِيءٌ مِنْ حَيْةِ الْبَيْتِ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا سَادًا، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. فَقَالَهَا عَمْرٌ ثُمَّ قَضَى.

(١) سيبويه: ابن داود الخزاز البصري: عاب. ناسك توفي سنة ١٣٤ هـ. تهذيب التهذيب ج ٤، ص (٢٠١).

(٢) حذيفة بن حمر: حار العيسى أبو عبد الله البزاز: صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين كان صاحب سبيل. قول الله في المنافقين تولى السدان وغزا نهاون وانديتور ومه سدان وافتتح ممدان والري أيضا توفي في سدان سنة ٣٦٠ هـ (الأعلام: ج ٢، ص ١٧١).

(٣) سورة القصص: الآية ٢٤.

قَالَ عَوَانَةُ: قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقَبَةَ<sup>(١)</sup> عِنْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ بِالْبَلِيخِ<sup>(٢)</sup> مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ: اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ صَدَقُوا عَلَيَّ، فَلَا تَلْقُ رُوحِي مِنْكَ رَوْحاً وَلَا رَيْحَاناً، وَإِنْ كَانُوا كَذَبُوا عَلَيَّ فَلَا تُرْضَهُمْ بِأَمِيرٍ، وَلَا تُرْضُ أَميراً عَنْهُمْ، وَانْتَقِمْ لِي مِنْهُمْ وَاجْعَلْهُ كَفَّارَةً لِمَا لَا يَعْلَمُونَ مِنْ ذُنُوبِي.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَلِيمَانَ<sup>(٣)</sup>: دَخَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا حَفْصٍ، لَوْ لَقِّنْتَهُ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ ذَنْبِهِ، وَلَهُ ذُنُوبٌ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهَا، فِإِذَا اسْتَغْفَرَ اللَّهُ فَقَدْ وَجَدَهُ، وَإِنَّ الْمُسْتَغْفَرَ الْخَائِفَ بِمُغْرَضٍ خَيْرٍ.

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِي عَنِ الْمَنْهَالِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةِ حَبَسَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عِيَاضَ بْنَ مُسْلِمٍ - كَاتِبَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ - وَضْرِبَهُ وَالْبَسَةَ الْمَسْوُوحَ<sup>(٤)</sup> فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوساً مَدَّةَ هِشَامِ، فَلَمَّا ثَقُلَ هِشَامُ وَصَارَ فِي حَدٍّ مِنْ لَا يُرْجَى بُرُوهَ رَهَقَتْهُ غَشِيَةٌ، فَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، أَرْسَلَ عِيَاضُ ابْنَ مُسْلِمٍ إِلَى الْخُزَّانِ أَنْ احْتَفِظُوا بِمَا فِي أَيْدِيكُمْ، فَلَا يَصِلَنَّ أَحَدٌ إِلَى شَيْءٍ وَأَفَاقَ هِشَامِ مِنْ غَشِيَتِهِ، فَأَرْسَلَ يَطْلُبُ شَيْئاً مِنَ الْخُزَّانِ فَمُنِعَ. فَقَالَ هِشَامُ: أَرَأَيْتُمْ كُنَّا خُزَّاناً لِلْوَلِيدِ، وَخَرَجَ عِيَاضُ مِنْ سَاعَتِهِ مِنَ الْحَبْسِ، فَخَتَمَ الْأَبْوَابَ وَالْخُزَّانِ، وَأَمَرَ بِهَشَامِ أَنْ يَنْزَلَ عَنْ قُرْشِهِ، وَمَنْعَهُمْ أَنْ يَكْفَنُوهُ مِنَ الْخُزَّانِ. فَكَفَّنُوهُ غَالِباً، مَوْلَى هِشَامِ، وَلَمْ يَجِدُوا قُمَّمًا يُسَخِّنُ فِيهِ مَاءً حَتَّى اسْتَعَارُوهُ، فَقَالَ النَّاسُ: إِنَّ هَذِهِ لَعِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَائِدٍ عَنْ أَشْيَاخِ بَنِي تَمِيمٍ قَالُوا: خَرَجَ إِبَاسُ بْنُ قَتَادَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِكَ، قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ مَجِيئَكَ! ثُمَّ سَقَطَ فَحَمِلَ إِلَى أَهْلِهِ، فَمَاتَ. فَحَمِلَ إِلَى «مَلْحُوبٍ»<sup>(٥)</sup> فَدَفَنَ بِهَا، فِيهَا قَبْرُهُ.

وَقَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ عَنْ عَمِّهِ عَامِرِ بْنِ حَفْصِ بْنِ قَيْلٍ لِلرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ حِينَ

(١) الْوَلِيدُ بْنُ عَقَبَةَ بْنِ أَبِي مَعْطٍ الْأُمَوِيِّ الْقُرَشِيِّ «أَبُو رَهْبٍ» وَآلِيهِ مِنْ شَعْرَاءٍ وَأَجْوَادٍ قُرَيْشِيٍّ وَوَلَاةَ عُثْمَانَ الْكُوفَةَ وَهُوَ أَخُوهُ لِأُمِّهِ تَوَفَّى بِالرِّقَّةِ (٦١/٢ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ١٢٢).

(٢) الْبَلِيخُ: نَهْرٌ بِالرِّقَّةِ.

(٣) عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ الْفَضْلِ «الْأَخْفَشُ الْأَصْفَرُ» نَحْوِيٌّ بَغْدَادِيٌّ أَقَامَ فِي مِصْرٍ ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى حَلَبٍ وَتَوَفَّى فِي بَغْدَادٍ (٣١٥/٠٠) (الأعلام: ج ٤، ص ٢٩١).

(٤) الْمَسْوُوحُ: جَمْعُ مِسْحٍ: لِبَاسٌ مِنْ شَعْرِ.

(٥) مَلْحُوبٌ: اسْمُ مَوْضِعٍ (اسْمُ مَاءٍ لِبَنِي أَسَدٍ) (معجم البلدان: ج ٥، ص ١٩١).

تَقُلْ: أَلَا نَدْعُو لَكَ أَصْحَابَ الطَّبِّ؟ فَقَالَ: قَدْ أَرَدْتُ ذَلِكَ ثُمَّ ذَكَرْتُ عَادًا وَتَمُودَ وَأَصْحَابَ الرُّسِّ وَقَرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ كَانَ فِيهِمُ الدَّاءُ وَالْمَدَاوِي. فَهَلَكُوا جَمِيعًا.

وَقَالَ أَبُو مِخْنَفٍ: مَرَضَ مَعْبِدُ بْنُ طُوقَ الْعَنْبَرِيُّ<sup>(١)</sup> فَجَزَعُ فَقِيلَ لَهُ: كَأَنَّكَ تَخَافُ أَنْ تَمُوتَ! فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ، مَا أَمْرَضُ إِلَّا خِفْتُ ذَلِكَ. قِيلَ لَهُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنِّي قَدْ اسْتَأْنَيْتُ احْتِضَارَ الْمَدَّةِ، وَانْقِضَاءَ الْعِدَّةِ، وَتَمَامَ الظَّمَا وَاتِّجَاءَ الْقَرَبِ.

وَقَالَ عَوَانَةُ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عُيَيْدٍ: قَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَمِ عِنْدَ الْمَوْتِ: اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقْطَعْ رَجْمًا، وَلَمْ أَشْرَبْ بِإِنَاءٍ غَادِرٍ، وَلَمْ أَضِبْ بِكَيْتَةٍ وَلَمْ أَبْثِ لَيْلَةً جُنْبًا حَتَّى أَصْبِحَ، فَاغْفِرْ لِي.

وَقَالَ الْجِرْمَازِيُّ: هَلَكَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ابْنَانِ، فَسُئِلَ عَنْ جَزَعِهِ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: كُنْتُ أَتَوَهُمَا حَتَّى كَانَتْ الْأَرْضُ تَنْشَقُّ عَنْهُمَا فَانظُرْ إِلَيْهِمَا. قِيلَ لَهُ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ كَانَ جُرْحًا قَبْرًا.

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ: أَخْبَرَنِي بَعْضُهُمْ قَالَ: أَتَيْتُ امْرَأَةً أَعَزَّيْهَا عَنْ ابْنِهَا. قَالَ: فَجَعَلْتُ تُثْنِي عَلَيْهِ فَقَالَتْ: كَانَ، وَاللَّهِ، مَا لَهُ لَغَيْرِ بَطْنِهِ، وَأَمْرُهُ لَغَيْرِ عَزْسِهِ، وَكَانَ: [الطويل]

رَحِيبَ الدَّرَاعِ بِأَلْتِي لَا تَشِيئُهُ      وَإِنْ كَانَتْ الْفُحْشَاءُ ضَاقًا ذُرْعَا  
قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ لَكَ مِنْهُ خَلْفٌ؟ وَأَنَا أَعْنِي الْوَلَدَ - قَالَتْ: نَعَمْ، بِحَمْدِ اللَّهِ كَثِيرٍ، طَيِّبُ ثَوَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَنِعْمَ الْعَوْضُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ: دَخَلَ دِرْوَاشُ بْنُ حَبِيبِ الْعِجْلِيِّ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ<sup>(٢)</sup> يَعْزِيهِ بِأَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ جَعْفَرٌ قَالَ: إِنْ كَانَ عِنْدَ أَحَدٍ فَرْجٌ فَعِنْدَ دِرْوَاشٍ. فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، التَّمَسَّ ثَوَابَ اللَّهِ بِحَسَنِ الْعِزَاءِ، وَالشُّكْرَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَادْكُرْ مَصِيبَتَكَ فِي نَفْسِكَ تُنْسِكُ فَقَدْ غَيْرَكَ وَادْكُرْ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مَصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ». وَادْكُرْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَتِيهِ ﷻ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»<sup>(٣)</sup> وَقَوْلَهُ تَعَالَى: «وَمَا جَعَلْنَا لِيَشْرٍ مِنْ

(١) معبد بن طوق العنبري: أعرابي من البصرة جند الشعر (البيان والتبيين: ج ٣، ص ٢٣١).

(٢) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: ابن عم السفاح والمنصور (البيان والتبيين: ج ٣، ص ١٣٦).

(٣) سورة الزمر: الآية ٣٠.

قَبْلَكَ الْخُلْدُ<sup>(١)</sup>. وَخَذَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَرَاكَةَ فِي أَخِيهِ عَمْرٍو:

[الطويل]

تَفَكَّرْ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ زَدَ هَالِكاً      عَلَى أَحَدٍ فَاجْتَهِدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو  
وَلَا تَبْكُ مِثْلاً بَعْدَ مِثْلِ أَجْنُئْ      عَلَيَّ وَعَبَّاسُ وَأَلُّ أَبِي بَكْرٍ  
قال: وهلك أخ لبعض الأعراب فأظهر له الشماتة بعض بني عمه، فأنشأ الأعرابي يقول:

[الكامل]

وَلَقَدْ أَقُولُ لِذِي الشَّمَاتَةِ إِذْ رَأَى      جَزَعِي، وَمَنْ يَدْقُ الْعَجِيجَةَ يَجْزَعُ  
اشْمَتْ فَقَدْ فَرَعَ الْخَوَادِثُ مَزُونِي      وَأَفْرَحُ بِمَزُونِكَ الَّتِي لَمْ تُفْرِعْ  
إِنْ تَبِقُ تُفْجِعُ بِالْأَجْبَةِ كُلَّهُمْ      أَوْ تُزِدُكَ الْأَخْدَاتُ إِنْ لَمْ تُفْجِعْ  
قال: ومات بنون لامرأة تبعاً فكلمناها، فحدثتنا ساعة ثم ضحكت، فقالت لها امرأة: أتضحكين! أجئون بك أم قند<sup>(٢)</sup>! قالت: لا، وأبيك، ولكن الشز لم يجد لي مزيداً.  
قال أبو الحسن المدائني: وأنشد ابن كُناسة:

[الطويل]

لَا تَجْزَعِي يَا أُمَّ زَيْدٍ فَإِنَّهُ      سَتَأْتِي الْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلٍ  
فَلَوْلَا الْأَسَى مَا بَثَّ فِي النَّاسِ لَيْلَةٌ      وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوَنِي مِثْنِي  
وقال محمد بن كُناسة عن خُشَافِ الْفُقْعَسِيِّ قال: حدثتني أمي قالت:  
دخلت علينا عجوزٌ للحني اسمها (بادية) - ورحالُ إخوتي ثمانية في جانب البيت -  
فقالت لي: لمن هذه الرحال؟ أنزلَ بكم الليلة ركبٌ؟ قلت: هذه رحالُ إخوتي.  
فقالت: لقد ولدت لك أمك حزناً طويلاً. قالت: وصدقتُ بادية، ذهبت نفسي  
عليهم قطعاً. وأنشدت:

[الكامل]

دَهَبُوا بِنَفْسِي أَنْفَساً إِذْ فَارَقُوا      فَأَلْعَيْشُ بَعْدَ مُنْقَضِ مَذْمُومٍ  
وقال عمر بن غياث: أخبرني الثقة قال: دفن أعرابي ابناً له، فلما أجهت وقف على قبره وأنشأ يقول:

[الكامل]

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.

(٢) قند: خطأ الرأي والقول.

لَمَّا مَشَى وَرَجَوْتُهُ لِعَدِيدٍ  
وَيَكُونُ مِنْ أَعْمَامِهِ خَلْفًا  
رَشَقْتُهُ عَنْ قَوْسٍ مَبِيئِيَّةٍ  
لَنْدَ كَانَ يَضْرِبُ مَنْ مَضَى مَثَلًا  
مَا ذَاكَ حَتَّى دَفَعْتُ لَوَعْتَهُ  
وَوَطِئْتُ أَنْ يَفْشَى بِهِ أَزْرِي  
فَيَقُومُ بَعْدَ تَأْطُرِ ظَهْرِي  
فَعَدَا زَهِينَةَ مُظْلِمِ الْقَفْرِ  
وَجَدَ الثُّكُولَ وَكُنْتُ لَا أَذْرِي  
فَأَلَدْتُ مِنْهَا لَوَعَةَ الضُّبْرِ

وخرج رجل مع خالد بن الوليد بدومة الجندل<sup>(١)</sup>، فاستشهد فجزع عليه  
أبوه فبكاه حتى كثر عليه بكاؤه، فلييم في ذلك وعوتب، فقال: دَعُونِي أَبْكِي  
عليه ما أسعدتني عيني، فإن دموعها ستنفذ وتبلى كما ذهب نافع وبلي. وقال  
برثيه:

[الكامل]

مَا بَالُ عَيْنِي لَا تُعْمَضُ سَاعَةً  
رُزِي نَجُومَ اللَّيْلِ عِنْدَ طُلُوعِهَا  
بِأَنَافِعِ مَنْ لِفُؤَارِسٍ أَحْجَمَتْ  
نَلَوُ اسْتَطِيعَ جَعَلْتُ مِنِّي نَافِعًا  
بِأَنَافِعِ مَنْ لِفُؤَارِسٍ إِذْ تَوَا

قال أبو الحسن: حدثني كليب بن خلف عن إدريس بن حنظلة قال:  
أصيب عمرو بن كعب التهدي بئسنتر مع فجزأة بن ثور<sup>(٢)</sup> فكتموا أباه الخير ثم  
علم بعد فلم يجزع وقال: الحمد لله الذي جعل من ضلبي من أصيب شهيداً  
وقال:

[الوافر]

نَهْلٌ تَعْدُو الْمَقَادِرُ يَا لِقُومِي  
نُكْلًا قَدْ لَقَيْتُ وَقَلْبِي سَيْبِي  
لَمَّا أَبْقَيْنِي مِنِّي غَيْرَ نَضْوِي  
غُرُوفِي<sup>(٣)</sup> كَلَّمَا جَلَبَتْ قُرُوعِي

(١) دومة الجندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء (معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٨٧).

(٢) فجزأة بن ثور بن عفير السدوسي: شجاع فاتح صحابي جعل له عمر رئاسة بكر بن وائل وهو الذي فتح مدينة تستر وفيها قُتل (.../٢٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٧٩).

(٣) الغروف: الصبور.

ثم استشهد ابن له آخر يقال له «حَمَل» مع سعيد بن العاصي بجرجان فبلغه فقال: الحمد لله الذي توفي متي شهيداً. وقال:

[الطويل]

جَزَى حَمَلًا جَزَايَ الْعِبَادِ كَرَامَةً      وَعَمَرُوْا بِنِ كَعْبٍ خَيْرُ مَا كَانَ جَزَايَا  
خَلِيْلِيْ وَابْنِي الدُّدَيْنِ تَتَابَعَا      شَهِيْدَيْنِ كَانَا عَضْمَتِي وَرَجَائِيَا  
وَمَنْ يُّغْطِيهِ اللُّهُ الشَّهَادَةُ يُّغْطِيهِ      بِهَا شَرَفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلِيَا

وقال محمد بن كُناسة: رُوِيَ زُبَّانُ بْنُ مَنْصُورِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ خَوْلَةَ ابْنَةِ زَبَانَ، فَكَمَّكَتْ عِنْدَهُ حَوْلًا لَا تَكْتَحِلُ وَلَا تَذْهَنُ حَتَّى وَضَعْتَ لَهُ ابْنًا، فَكَتَحَلَّتْ وَتَهَيَّأَتْ لَهُ. فَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ: مَا حَمَلِكِ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَتْ: كَرِهْتُ أَنْ تَقُولَ النِّسَاءُ: احْتَفَلْتُ فَلَمْ تُضْضِعْ شَيْئًا. فَأَمَّا إِذْ جَاءَ هَذَا فَمَا أَبَالِي مَا كَانَ. فَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ: وَآبَايَ أَنْتِ! فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ اشْتَدَّ جَزَعُهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ زَبَانُ:

[الكامل]

تُبِنْتُ خَوْلَةَ أُمِّسٍ قَدْ جَزَعَتْ      مِنْ أَنْ تُثُوبَ نَوَائِبِ الدُّغْرِ  
لَا تُجْزَعِي يَا خَوْلُ وَاضْطَبِّرِي      إِنَّ الْكِرَامَ بُثُّوا عَلَى الصُّبْرِ  
قال: وحدثني رجلٌ من بجيله<sup>(١)</sup> عن امرأة من بني العنبر يقال لها مهدية، قال: وكان لها بنون وإخوة فهلكوا حتى بقي لها ابنٌ فمات فقالت:

[الوافر]

أَمْتَجَابَ الْأَكَارِمِ مَنْ لِرَكْبٍ      أَنَاخُوا جَنَبَةً وَذَنُوزًا أَصِيلا؟  
أَمْتَجَابَ الْأَكَارِمِ عُدَّ إِلَيْنَا      لِكَيْ نَشْفِي بِرُؤْيَيْكَ الْغَلِيلا  
كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ لِلرُّكْبِ سِيرُوا      وَلَمْ تَزَحَلْ عُدَايِرَةَ دُمُولَا<sup>(٢)</sup>

وقال عن علي بن سليمان بن الحسن قال: الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية، والصبر عند المصيبة. فكم من مُنْعَمٍ عليه غيرُ شاكِرٍ، ومُتَبَلِّئٍ غيرُ صابِرٍ.

وقال أبو الحسن: قال جهنم بن حسان: بلغني أن تَوْسِيعَةَ بْنِ أَبِي عِتْبَانَ جَزَعَ عَلَى أَخِيهِ عُتْبَةَ فَقَالَ يَبْكِيهِ:

[الكامل]

(١) بجيله: حي باليمن من معد.

(٢) العُدَايِرَةُ: العظيمة الشديدة من الإبل ودُمُل: سار سيراً لينا.

وَنَبَا بِجَنَابِي عَنْ فِرَاشِي مُضْجِعٍ  
حَتَّى زُرْتُنْكَ وَالْجُدُودُ تُضْغَعُ  
أَرْنِي بِرَأْيِكَ أَمْ إِلَى مَنْ أَقْنَعُ؟  
فَمُظَرَّتْ قَضِي وَاسْتَتَمَ الْأَخْدَعُ  
أَعْطِي الذَّبِيئَةَ مَنْ أَشَاءُ وَأَمْسِكِي  
أَثْوَابَهُ فِي اللَّحْدِ ثُمَّ تَضَدِّعُوا  
وَلِكُلِّ جَنَابٍ لَا مَحَالَةَ مُضْرَعُ

نَعِ الرَّقَادَ تَحْوِي مَا أَهْجَعُ  
غَيْبٌ قَدْ كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبُ  
لِمَنْ أَقُولُ إِذَا نَلِمُ مَلِئَةٌ  
كُنْتُ أَنْظُرُ فِي الْمَقَامَةِ سَادِرًا  
قَدْتُ إِخْوَانِي الَّذِينَ بِقُرْبِهِمْ  
سَمِ الْفَتَى مِنْ آلِ بَكْرِ أَلْبَسُوا  
نَهْ وَمَا طَابَتْ بِذَلِكَ نَفْسُهُمْ  
وَجَزَعَتْ عَلَيْهِ أخته عَمْرَةَ فقالت:

[الكامل]

فَلْتَبِكِ أَعْيُنُهَا عَلَى غَثَابِ  
وَيَسْتَفْسِهْ بِقِيَامِ عَلَى الْأَخْسَابِ  
لَا يَرْكَبُونَ مَعَاقِدَ الْأَذْنَابِ  
قال أبو الحسن: قال الهلالي: أغمي على سعيد بن المسيب فوجه ثم أفاق  
ل: ما هذا؟ فقيل له، فقال: أو ليس وجهي لله جل ذكره حيث كان!

لِ لِأَرَابِلِ وَالنِّتَامِي قَدْ تَوَى  
بِ ابْنِ كَلِّ مَخَاطِرِ بِنَالِهِ  
رَاكِبِينَ مِنَ الْأُمُورِ صُدُورِهَا  
قال أبو الحسن: قال الهلالي: أغمي على سعيد بن المسيب فوجه ثم أفاق  
ل: ما هذا؟ فقيل له، فقال: أو ليس وجهي لله جل ذكره حيث كان!

وقال الهلالي: كان عثمان بن عفان، رحمه الله، إذا وقف على قبر بكى،  
ل له: يا أمير المؤمنين، إنك لتبكي عند القبر بكاء ما تبكيه عند شيء! فقال:  
م، إنه أخز منازل الدنيا وأول منازل الآخرة، فإن شدد على صاحبه فما بعده  
د، وإن هون على صاحبه فما بعده أهون. سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما  
ت منظراً قط إلا والقبر أفضح منه.

وقال الهلالي: لما حضرت معاوية الوفاة، قيل له: قل لا إله إلا الله.  
عف عنها، ثم قيل له فضعف، فثلث عليه. فقال: أو لست من أهلها!  
وقال الهلالي: أثنى قوم على عوف الأعرابي وهو في الموت، فقال: يا  
م، أمذونا بالدعاء، واعفونا من الشاء.

## باب الجفأة عند الموت

قال أبو العباس رحمه الله تعالى: ونذكر الجفأة عند الموت:

قال علي بن محمد بن علي بن مجاهد عن ابن إسحاق عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب وهو في الموت: يا عم، قل لا إله إلا الله أشهدك لك بها عند ربّي. قال: يا بن أخي، لولا أن تكون سُبَّه عليك بغدي لأقررتُ بها غنّتك.

وقال: قال الزهري: مرَّ عبد الله بن مسعود<sup>(١)</sup> بأبي جهل<sup>(٢)</sup> فقال: انجس الله الذي أخراك يا عدوَّ الله. قال: يا بن أمِّ عبد، ما أخزاني الله. لسْتُ بأوَّل سبي قتلته قومُه. إنَّ أشدَّ من ذلك عليّ ألا يكون وليّ مني ما تريد أن تليّه، رجلٌ مر صميم المظييين<sup>(٣)</sup> فوضع ابن مسعود رجله على عنقه فقال: أرويعياً<sup>(٤)</sup> بالأمس بمكة. لقد ارتقتِ مُرتقى ضعفاً.

قال أبو الحسن: سئل وكيع بن الدؤقيّة<sup>(٥)</sup>: كيف قتلتَ عبد الله بن خازم؟ قال: قعدتُ على صدره، وغلبته بفضل فتاءٍ كان لي عليه وناديت: يا لشارت «دؤيلة» يعني أخاه من أمه. وكان دؤيلةً أخاً وكيع من أمه، قتله عبدُ الله. قال:

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي «أبو عبد الرحمن» من كبار الصحابة كان خادماً رسول الله وصاحبه ورفيقه ولي بيت مال الكوفة بعد وفاة رسول الله ﷺ وكان قصيراً جداً وكثير التظيب توفي في المدينة (٣٢/...) هـ (الأعلام: ج ٤، ص ١٣٧).

(٢) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي «أبو جهل» أحد سادات قريش وأبطالها في الجاهلية وأشدهم عدواة للمنبي (٢/...) هـ (الأعلام: ج ٥، ص ٨٧).

(٣) المطيبون: حلف لبني عبد مناف (غمس أحلاف بني عبد مناف أيدهم في جفنة طيب عند الكعبة فسمي انحلف بالمطيبين).

(٤) الرُويي: تصغير الراعي.

(٥) وكيع بن عمير القريني السعدي والدورقية أمه وهي من سبي دورق (بلدة نجوزستان) (تاريخ الطبري: ج ٧، ص ١٩٦).



كنت طعنته في شِدْقِهِ، فجمع ما كان في فيه من الدَّم والرِّيق فتنخَّم به، فملاً جهي وقال: قُبْحك الله، أتقتل كبش مَضْرٍ بأخ لك لا يساوي كَفَّ نوى!

قال: وكان ابنُ هُبَيْرَةَ يقول: هذه والله البسالة، لقدرته على كثرة ريقه عند موت.

وقال عبدُ الله بن قائد: كان طريفُ بن نافع الباهلي عالماً بالنسب، فلما بل قال لقومه وهو في الموت: بُلُّوا فمي بماء، فعصروا في فيه ماءً بِقَطْنةٍ ثم ال: أجلسوني فأجلسوه فقال: فلانُ ليس لأبيه الذي يُدعى له. فقيل له: أتقول هذا وأنت على هذه الحال! فقال: خُفَّتْ أن أموت وأنتم في شك منه، ثم سَجَعَرَهُ فمات.

وقال يعقوبُ بن عوفٍ عن عبد الله بن أبي بكر أن بَجْرَةَ بن فراس القُشَيْرِيَّ ييل له - وقد نزل به الموت - قل لا إله إلا الله، قال: أشهد أن أبا الزاهرية أو با حرب نَعَمَ الفارس كان يوم النُخَيْل<sup>(١)</sup> ثم مات.

وقال عَوَانَةُ: قال الحجاجُ لوزاع بن ذُوَالَةِ الكلبِي: كيف قتلت هَمَامَ بن نبيصة الفزاري؟ قال: مرَّ بي والناس منهزمون، ولو شاء أن يفوتني فعل، فلما رأني قصدني فضربني وضربته، وسقط وحاول القيام فلم يقدر عليه، وقال وهو في الموت:

[التويل]

تَبَسَّتْ ابْنُ ذَاتِ البَطْرِ أَجْهَزُ عَلَى امْرِئِي؛  
وَلَا تَشْرُكُنِّي بِالحَشَائِشِ إِسْنِي صَبُورٌ إِذَا مَا النُّكْسُ بِمِثْلِكَ أَخْجَمَا

فدنوت منه. فقال: أجهز علي قُبْحك الله، فقد كنت أحبُّ أن يلي هذا مني أربطُ جأشاً منك. فاحتزرتُ رأسه فأتيتُ به مروان وأخبرته الخبر، فقال: لا تُبْعَدُ رجالات قيس!

قال أبو عبد الرحمن التميمي: جاء رجل من كلب برأس زياد بن عمرو العُقَيْلي إلى مروان، فقال له مروان: مَنْ قَتَلَ هذا؟ قال: أنا. قال: كذبت! هذا أشرف وأشجع من أن تقتله. قال: أنا، والله، قتلته، مرَّ بي يعدو به فرسه وهو يقول:

[مشطور الرجز]

(١) يوم النُخَيْل: من أيام العرب والنخيل: عين قرب المدينة.

قَدْ طَابَ وَرَدَ الْمَوْتُ مَرْوَانَ قَرِيذًا لَا تُحْسِبَنَّ الْعَيْشَ أَذَى لِمُرْتَدِّدٍ  
لَا خَيْرَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ فِي كَيْدٍ

فطعنته فسقط، ثم نزلت إليه وهو يجود بنفسه ويقول:

[السرير]

بَعْدًا وَشُحْقًا لِمُرِيٍّ عَاشَ فِي ذُلٍّ وَفِي كَفَيْهِ غَضَبٌ صَقِيلٌ  
وقال يزيد بن قُحَيْفٍ: لَمَّا قَتَلَ حَلْحَلَةُ بْنُ قَيْسٍ وَسَعِيدُ بْنُ عُيَيْنَةَ مِنْ قِتْلَا  
مَنْ «كَلْب»، رَجَعُوا إِلَى «خَيْبَرَ»<sup>(١)</sup> فَأَقَامُوا. فَلَمَّا ظَفِرَ عَبْدُ الْمَلِكِ اسْتِعْدَاهُ الْكَلْبِيِّونَ  
وَقَالُوا: دَمَاءُنَا! فَأَخَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَعِيدًا وَحَلْحَلَةَ. فَأَمَّا سَعِيدٌ فَكَانَ يَسْبُحُ  
وَيَسْتَغْفِرُ، وَأَمَّا حَلْحَلَةُ فَقَالَ: أَرْحَنَا مِنْكَ يَا بَنُ الرَّزْقَاءِ، فَلَوْ مَلَكَتْهَا مِنْكَ لَمَّا  
تَرَكَتْكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ. وَقَالَ:

[الطويل]

إِنَّ أَكَّ مَفْتُوسًا أَقَادُ بِرُمُوسِي فِيمَنْ قَبْلِي قَتَلِي مَا شَفَى نَفْسِي الْقَتْلُ  
وَقَدْ تَرَكَتْ حَزْبِي رُقَيْدَةً كُلِّهَا مُحَابِلُفُهَا فِي دَارِهَا الْجُوعُ وَالذُّلُّ  
وَمِنْ عَبْدِ وَدَّ قَدْ أَبْرَتْ قَبَائِلًا فَعَادَزْتَهُمْ كَلًّا يُطِيفُ بِهِ كَلُّ  
وقال أيضاً:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَيْتَ شَيْخًا فَرَاةً أَسْلَمَا لَقَدْ حَزَبْتَ قَيْسُ وَقَدْ ظَفَرْتَ كَلْبُ  
فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا وَخُصُوا بِغَاةٍ بَنِي عَبْدِ وَدَّ بَيْنَ دَوْمَةَ وَالْهَضْبِ  
سَلَامٌ عَلَى حَيْثِي عَدِيٍّ وَمَا زَيْنَ جَمِيعًا وَخُصًّا بِالسَّلَامِ أَبَا وَهَبِ  
أبو وهب هو زُبَّانُ بْنُ مَنْظُورِ بْنِ زُبَّانٍ. فَقَالَ لَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُهُ «وَخُصًّا بِالسَّلَامِ  
أَبَا وَهَبٍ»: رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا ثَوَابَةٍ، لَقَدْ كَفَيْتُنَا الْعَارَ وَالنَّارَ، وَأَدْرَكَتِ الثَّأْرَ، وَبَلَّغُوا  
فِينَا فَضْلًا، فَلَمْ تَخْصُصْنَا عَلَيْهِمْ، وَقَدْ ظَلَمْتَهُمْ!  
فلما دُعِيَ بِهِ لِيُقْتَلَ قِيلَ لَهُ: اصْبِرْ حَلْحَلُ، فَبَرَكَ وَقَالَ:

[الرجز]

أَضْبُرْ مِنْ عَوْدِ بِحَسْبِيبِهِ الْجَلْبُ قَدْ أَتَرَ الْبِطْطَانَ فِيهِ وَالْحَقْبُ  
وقال:

[الرجز]

(١) خيبر: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام (الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ)  
(معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٠٩).

بِرُّ مِنْ ذِي ضَاغِطِ عَرَكَرِكَ أَلْقَى بَوَاسِي ذَوْرِهِ لِيَلْمَبْرِكِ  
وَمَدَّ عُنُقَهُ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَيْدٍ، ذ.

وقال عوانة ويزيد بن عياض إن نسلم بن عقبة المُرِّي<sup>(١)</sup> لما قتل أهل  
مدينة وتوجه إلى مكة فنزل به الموت، بثنية هُرْشا<sup>(٢)</sup> أو بقفا المُشَلَّل<sup>(٣)</sup> فدعا  
حين بن نُمير السُّكوني<sup>(٤)</sup> فقال: يا بَرْدَةَ الحِمَارِ، إن أمير المؤمنين عهد إلي إن  
، بي الموت أن أولئك، وأكره خلافاً عند الموت، ولولا ذلك لكان الوالي  
يش بن دَلْجَة<sup>(٥)</sup> فإنه أولى بذلك منك. احفظ عني ما أقول لك: لا تُطِيلَنَّ  
قام بمكة، فإنها أرض جردة محتدمة لحر، ولا تصلح الدواب بها، ولا تمنع  
الشام من الحملة، ولا تُمكن قريشاً من أذنك، فإنهم قومٌ خَدَعٌ. ليكن أمرك  
قاف ثم الثقاف ثم الأنصاف. ولئن دخلت النار بعد قتلي أهل الحرّة إني إذن  
نمي.

وقال عثمان بن الضحّاك عن ذُكْوَانَ - مولى مروان - قال: بعث يزيد بطبيب  
مسلم فقال مسلم للطبيب: ويحك، إنما كنت أحب أن أبقى حتى أشفي  
سي من قتلة عثمان، وقد أدركت ما أردت. فما شيء أحب إلي من الموت على  
بارتي قبل أن أحدث حدثاً. فإني لا أشك في أن الله عز وجل طهرني من ذنوبي  
ل هؤلاء الأرجاس.

وقال ابن جُعدبَة: قال مسلم بن - تبة وهو بالموت لخصين بن نُمير: إنك  
دم على قوم لا عُدّة ولا سلاح لهم - جبال مشرفة عليهم، فانصب عليهم  
منجنيق في موضعين بين جبلين فإن تعوذوا بالبيت فأزيمه، فما أقدرك على بنائه.  
بات.

( مسلم بن عقبة بن رباح المزني «أبو عقبة» قائد أموي قاس شهد صفين مع معاوية وهو صاحب الحرّة  
فأسرف قتلاً ونهباً فسمي مسرفاً، مات في الطريق إلى مكة متوجهاً لحرب ابن الزبير في موضع اسمه  
المشَلَّل ثم نيش قبره وصلب في مكان دفنه ( . . . ٦٣ هـ ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٢٢).  
( هُرْشا: ثنية في طريق مكة.

(١) قفا المشلل: جبل من ناحية البحر يهبط إلى قديد (معجم البلدان: ج ٥، ص ١٣٦).

(٢) خصين بن نُمير بن نائل الكندي ثم السكوني «أبو عبد الرحمن» قائد من القساء الأشداء حمصي  
حاصر عبد الله بن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق قتل مع ابن زياد قرب الموصل ( . . . ٦٧ /  
هـ ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٦٢).

(٣) خبيش بن دَلْجَة القيني: من قادة الجيوش الأموية شهد صفين مع معاوية وولي جيشاً لمروان لفتح  
المدينة قتل في الربرة بسهم ( . . . ٦٥ / هـ ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٦٧).

وقال حمزة بن إبراهيم بن مضررس : قيل لرجل من بني قُرَيع : قل لا إله إلا الله وَقَدِّمَ خيراً فقال :

[البسيط]

يَا رَبُّ قَائِلَةَ يَوْمًا وَقَدْ لَعِبْتَ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى خَمَامٍ مِنْجَابٍ  
ومات في ساعته .

وقال عبدة الغنيري : قيل لعبد الله بن شعبة بن القلعم<sup>(١)</sup> : لو قَدِّمْتَ لنفسك خيراً ، فقال لبنيه : يا بني إن قوماً يقولون لكم بعدي : اقضوا دَيْنَ أبيكم عنه ، فلا تفعلوا ، فإن لأبيكم ذنوباً كلها أعظم من الدين . اللهم ، إن تُغْفِرْ جَمًّا . فبكت امرأته ، فقال : لا تُعْصِرِي عَيْنِيكَ عَلَيَّ ، وإذا مَثُ فاركبي بغلاً قوياً وطوفي اليمن وانظري أطولَ بني تميم رقبَةً فتزوجه . فلما هلك تزوجها أبو شيخ بن العرق الفقيمي .

وقال : لما حضرت لبيد بن ربيعة الوفاة قال لبني عمه : أسمعوني كيف تُبكون علي . فقال رجال منهم أشعاراً لم يرضها ، فقال بعضهم :

[الطويل]

يَسْبُكُ نَبِيْدًا كُلُّ قَدِرٍ وَجَفْنَةٍ وَتَبِكُ الصَّبَا مَنْ فَاذَ وَهُوَ حَمِيْدٌ  
ولما حضرت الفرزدق الوفاة قال لأهله ومن اجتمع إليه من قومه :

[الوافر]

أزوني من يقوم لَكُمْ مقامي إذا ما الأمرُ جَلُّ عن العتاب  
إلى من تفرزعون إذا حثيئتم بأيديكم علي من الثراب  
فقال مولاته له : إلى الله . فقال : وَأَنْتِ تعيشين في مالي ؟ امحوا اسم الخبيثة من الوصية .

وقال المدائني : لما هلك الأحوص بن محمد بن عبد الله بن ثابت الأنصاري<sup>(٢)</sup> كان آخر ما قال ، ورأسه في حجر جارية له يقال لها بُشْرَة :

[الطويل]

(١) عبد الله بن شعبة بن القلعم أبوه نسبة ذو لسان وجواب وعارضة وكان وصافاً فصيحاً وإخوته عمر وخالد وهم على صفة (البيان والتبيين : ج ١ ، ص ٢١٤) .

(٢) الأحوص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري : شاعر هجاء كان حماد الراوية يفضلته في النسب على شعراء زمانه توفي بدمشق (١٠٥ هـ) (الأعلام : ج ٤ ، ص ١١٦) .

لَجْدِيدِ الْمَوْتِ يَا بُشْرُ لَذَّةٌ      وَكُلُّ جَدِيدٍ تُسْتَلَذُّ طَرَائِفُهُ  
 ضَيْرٌ إِنَّ اللَّهَ يَا بُشْرُ سَابِقِي      إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ تَكُونُ خَلَائِفُهُ  
 سُنْتُ وَإِنْ عَيْشٌ تَوْلَى بِجَازِعٍ      وَلَا أَنَا مِمَّا حَمَلَ الْمَوْتَ خَائِفُهُ  
 وقال عوانة: لما حُضِرَ بِأَخْرَةَ قِيلَ لَهُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: قَدْ بَلَغَ الْأَمْرَ هَذَا؟

وقال مُعَلِّسُ بن عبد الله المحاربي: كُنْتُ بِسَابَاطٍ<sup>(١)</sup> فَسَمِعْتُ غَلَامًا يَصِيحُ  
 يَدَاهُ! يَعْنِي نَوْفَلَ بنِ صَالِحِ مَوْلَى بَنِي جَعْفَرٍ، فَاتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ.  
 ت: أبا صالح، قل لا إله إلا الله، فأبى وقال:

[الطويل]

وَنَحْ نَفْسِي حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بِهَا      وَيَا وَنَحْ أَهْلِي مَا أَصِيبُ بِهِ أَهْلِي  
 فقلت: قل لا إله إلا الله. فأبى، وجعل يردد هذا البيت حتى قُبِضَ.

وقال يونس بن حبيب<sup>(٢)</sup>: لما حضرت أبا الأيخ الكندي الوفاة قيل له:  
 لا إله إلا الله، فلما أكثروا عليه جعل يتقلب على جنبه ويقول:

وَقَدْ جِئِلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالشَّرْوَانِ

وقال أبو عمرو المدني وغيره: إن سالم ابن دارة<sup>(٣)</sup> - وهي أمه، وأبوه  
 افع بن عتبة، من بني عبد الله بن غطفان - وقع بينه وبين زُمَيْلِ ابنِ أمِّ دينار<sup>(٤)</sup>  
 أبوه أبيير، من بني فزارة - شراً، فضربه، فجرحه أبيير، فأدخل المدينة، وحمل  
 عثمان بن عفان، فأمر عثمان الطبيب فنظر ما مبلغ جرحه ثم أمره فداواه،  
 ق من وجعه، فدفست أم البنين بنت عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ - وهي امرأة عثمان - إلى  
 بيب دينارين. وقال قوم: بل أعطاه ذلك منظور بن سيار<sup>(٥)</sup> فسَمَّ جُرحه،  
 نض فقال لأبيه وهو بالموت يحضه على قتل منظور:

[البيسط]

سَابَاط: موضع بالمدائن معروف (معجم البلدان: ج ٣، ص ١٦٦).

يونس بن حبيب: تقدمت ترجمته.

سالم بن مسافع بن يربوع: شاعر مخضرم هجا بني فزارة فقتله زُمَيْلُ الفزاري (البيان والخبيرين: ج ١، ص ٣٨٩).

زُمَيْلُ ابنِ أمِّ دينار: أحد بني مازن بن فزارة مخضرم.

منظور بن زُتَّان بن سيار الفزاري: صحابي وشاعر مخضرم تزوج مليكة امرأة أبيه ففرق بينهما أبو بكر عاش إلى زمن عثمان (٢٥/...) (الأعلام: ج ٧، ص ٣٠٨).

أَبْلُغْ أَبَا سَالِمٍ غَنِي مُغْلَغَلَةً      فَلَا تُكُونَنَّ أَدْنَى الْقَوْمِ إِنْ عَارِ  
 لَا تَأْخُذَنَّ بِنَتِّ مَنِّي مُكْمَلَةً      وَإِنْ أَتَاكَ بِهَا تُخَذِي ابْنَ عَمَارِ  
 لَوْ كَانَ زَيْدٌ هُوَ الْمَقْتُولُ لَاعْتَرَفُوا      وَسَطَ الدَّبَارِ غَلَامًا غَيْرَ عَوَارِ  
 ومات من يومه . فقال أبوه : إن ابني عفتني في حياته ، وكلفتني تعباً بعد  
 موته .

وقال أبو الحسن - قال أبو العباس : وحدثني أبو عثمان المازني وحدث به  
 أبو الحسن عن عبد الله بن مسلم - قال : قيل لامرأة من بني نمير : أوصي -  
 فحدثني أبو عثمان المازني أنها قالت : ما أحب أن أوصي . قيل : إن لك في ذلك  
 لأجراً ، قالت : من الذي يقول :

[الوافر]

لَعَمْرُكَ مَا رِمَاخُ بَنِي نَمِيرٍ      بِطَائِشَةِ الصُّدُورِ وَلَا قِصَارِ  
 قالوا : زياد الأعجم ، قالت : وممن هو؟ قالوا : من بني نمير قالت : فقلني  
 لبني نمير .

وقال أبو الحسن عن كليب بن - لطف قال : مرضت عجوزاً من بني نمير  
 فأتوها بعبء ابنها ، وكان غائباً ، فقالوا : هذا عطاء ابنك ، وقد نقصناه درهمين .  
 قالت : ولم؟ قالوا : قتل رجل من بني أمير رجلاً من بني سلول ، فحملنا الدية  
 شيئاً تراضوا به ، فتناولت درهمين آخرين فألقتهما إليهم وقالت : قولوا له يقتل  
 آخر ، وادفعوا هذين في الدية ، فضحكوا وخرجوا ، فما غابوا حتى ماتت .

وقال عوانة : قيل للحطينة عند موته : لك مال فأوص منه للمساكين . قال :  
 بل أوصيهم بالحقف المسألة . قيل : فأعتن غلامك «سيار» . قال : هو عبد ما بقي  
 على ظهر الأرض عيسى . قيل : فأوص فإن لك بنات . قال : مالي كله للذكور  
 دون الإناث . قالوا : إن الله جل ذكره لم يقل هكذا . قال : لكني أقوله . وأوصيكم  
 بالآيتام شراً ، كلوا أموالهم ، وانكحوا أمهاتهم ، واحملوني على حمار ، فلعلني لا  
 أموت ، فإنه لم يمت عليه كريم قط ، وَوَيْدٌ للشعر من رواية السوء .

وقيل له وهو وجود بنفسه : قل لا إله إلا الله ، فتمثل قول الشماخ<sup>(١)</sup> :

[الطويل]

(١) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الديلمي الغطفاني : شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام  
 كان أرجز الناس على البدية توفي في غزوة موخان ( . . . / ٢٢ هـ ) (الأعلام : ج ٣ ، ص ١٧٥) .

ظَلَّتْ بِيَمْزُودٍ<sup>(١)</sup> كَأَنَّ عُيُونَهَا إِلَى الشَّمْسِ هَلْ تَذُنُّو زَكِيَّ نَوَكِرٍ  
 وقال أبو الحسن عن أبي خَيْرَانَ الجَمَانِي<sup>(٢)</sup> عن عَوْفِ الأَعْرَابِيِّ عن أَبِي  
 جَاءِ العُطَارِدِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا مَضْطَلَمَ الأَذُنِّ فَقُلْتُ: أَخْلَقَةُ أَمْ حَادِثٌ؟ قَالَ:  
 حَادِثٌ. بَيْنَا أَنَا يَوْمَ الجَمَلِ أَجُولُ فِي القَتْلِ، مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ يَنْشُدُ:

[الطويل]

قَدْ أُوذِدْتُنَا حَوْمَةَ المَوْتِ أَمْنَا      فَمَا صَدَّرْتَ إِلَّا وَتَخُنُّ رِوَاءِ  
 لَمَعْنَا قُرَيْشًا ضِبْلَةً مِنْ حُنُومِنَا      وَتَضَرَّتْنَا أَهْلَ الجِجَارِ عَنَاءِ  
 قَدْ كَانَ عَن نَضْرِ ابْنِ ضِبَّةٍ أَمُهُ      وَشِيعَتِهَا مَسْدُوحَةٌ وَعَنَاءِ  
 لَمَعْنَا بَنِي تَيْمِ بْنِ مِرَّةٍ شِفْوَةٌ      وَهَلْ تَيْمٌ إِلَّا أَعْبُدُ وَإِمَاءِ  
 فقلت: من أنت؟ قال: أذُنُ مني أَخْبِرُكَ. فدنوت منه فأزمت بأذني فقطعها  
 قال: إِذَا آتَيْتَ أُمَّكَ فَأَخْبِرْهَا أَنَّ عَمِيرَ بنِ الأَهْلَبِ فَعَلَ ذَلِكَ بِي، وَمَاتَ.

وقال أبو الحسن عن عامر بن حفص قال: بلغني أَنَّ رجلاً من بني الهجيم  
 ال وهو بالموت:

[الرجز]

نَيْفٌ ثِرَانِي وَالمُنَايَا تَغْتَرِكُ      تَشْهَضُ أَخْيَانًا وَجِينًا تَنْبَرِكُ  
 وقال أبو الحسن عن عامر بن الأسود: ثَقُلَ وَكَيْعُ بنِ أَبِي سُودٍ<sup>(٤)</sup> فَأَشْرَفَ  
 عَلَيْهِ عَدِيَّ بنِ أَرْطَاةٍ<sup>(٥)</sup> - وهو يومئذ أمير البصرة - من دار الإمارة، فقال: كيف  
 صَبَحْتَ يَا أبا المَطْرُفِ؟ قال: أَصْبَحْتُ وَثَابًا جَرِيًّا، فَضَحَكَ عَدِيٌّ وَرَجَعَ. فَمَا  
 جَلَسَ حَتَّى سَمِعَ الوَاعِيَةَ عَلَيْهِ.

وقال حمزة بن إبراهيم: قَالَ لَبَطَةُ بنِ الفِرْزَدِقِ: لَمَّا ظَنَّنَا أَنَّ أَبِي قَدْ احْتَضَرَ  
 كُنِينَا حَوْلَهُ، فَفَتَحَ عَيْنِيهِ ثُمَّ قَالَ: أَعْلِيَّ تَبْكُونَ؟ فَقُلْنَا: أَأَعْلَى ابْنِ المَرَاغَةِ نَبْكِي؟  
 نَالٌ: أَوْ هَا هُنَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ؟ ثُمَّ أَعْمِيَّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ:

[الوافر]

(١) يَمْزُودٌ: وادٍ لعطفان.

(٢) الزُّكَيُّ: الأَبَارُ والنَّوَاكِرُ: الفَوَائِرُ.

(٣) هو أبو الحسن علي بن خيران الجَمَانِي.

(٤) وكيع بن أبي سُودٍ: سَفَاكُ عَاشٍ فِي زَمَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (اليان والنتيين: ج ٣، ص ١٨٢).

(٥) عَدِيَّ بنِ أَرْطَاةِ الفِرْزَارِيِّ «أبو وائلته»: أمير دمشق تولى لعمر بن عبد العزيز البصرة، قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسطة (١٠٢/هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٢١٩).

إِذَا مَا ذُبْتُ الْإِسْقَاءَ فَوُتِّي وَصَاحَ صَدَى عَلَيَّ مَعَ الظَّلَامِ  
لَقَدْ سَمِعْتُ أَعَادِيكُمْ وَقَالَتْ أَدَابِيكُمْ مِنْ أَيْنَ لَنَا الْمُحَامِي؟

وقال أبو الحسن عن كليث بن خلف قال: قال وكيع بن أبي سؤد عند موته لأهله وولده: إني إذا ميت جاءكم قومٌ قد سؤدوا جباههم، ونشروا لحاهم، وعرضوا نعالهم، يقولون إن على أبيكم ذيناً فاقضوه، فلا تقضوا عني شيئاً، فإنَّ على أبيكم من الذنوب ما إن غفرها الله فالذَّين من أيسرها.

قال أبو الحسن عن عامر بن الأسود قال: قيل لأبي السفاح بكير بن مغدان أوص، قال: إنا الكبرام يوم طخفة<sup>(١)</sup>. قالوا: إنك في الموت فقل خيراً وتشهد. قال: غلامي إذا مات فهو حر.

قال أبو الحسن: قال دُحيم<sup>(٢)</sup> وهو بالموت:

[الرجز]

ثُدَّ وَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَادَتْ تَرِيذُ قَدْ كُنْتُ ذَا أَزْرِ شَدِيدَ الْمُغْتَمَدِ  
وَكُنْتُ ذَا شَغَبٍ عَلَى الْخَضَمِ الْأَكْدِ قَدْ جَاءَ قَرْنَ لَيْسَ بِالْقِرْبِ يُرِيذُ  
ثم هلك.

قال أبو الحسن: قيل لرجل وهو مريض: قل لا إله إلا الله. فقال: لم يأن لذلك بعد.

وقيل لبهرم بن حيَّان<sup>(٣)</sup>: أوص. فقال: صدَّقْتَنِي فِي الْحَيَاةِ نَفْسِي، مَا لِي مَالٌ أَوْصِيكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ أَوْصِيكُمْ بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وأخبر أبو الحسن عن شعبة بن عبد الله الأنصاري قال: عَزَى إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ رَجُلًا عَنْ ابْنِهِ فَقَالَ: لَا يَتَّقِضُ اللَّهُ عَدَدَكَ، وَلَا يُؤْزِنُ نِعْمَةً عَنكَ، وَعَجَّلَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْخُلْفِ خَيْرًا مِمَّا رُزِنْتَ بِهِ.

وعزى آخر رجلاً فقال: إِنْ فِيمَا مَوَّضَكَ اللَّهُ مِنْ الْأَجْرِ خَيْرًا مِمَّا فَجَعَلَكَ بِهِ مِنَ الرَّزِيَّةِ.

(١) يوم طخفة: يوم نيم، يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء.

(٢) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو الأموي أبو سعيد، محدث الشام ونبي قضاء الأردن وفلسطين ونسب: توفي (١٧٠ - ٢٤٥ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٩٢).

(٣) هرم بن حيَّان العبدي الأزدي: قائد فائق وناسك مات في إحدى غزواته (٢٦/٢ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٨٣).



وقيل لأعرابية: ما أحسنَ عزاءك عن ابنك! فقالت: إنْ فُقدانيه أمتني من مصائب بعده.

وقال: أخبرني سعيدٌ عن رجلٍ منهم قال: خرجتُ إلى اليمن فنزلتُ على سراةٍ منهم، فرأيتُ مالاً كبيراً ورقيقاً وولداً وحالاً حسنة، فأقمتُ حتى قُضيتُ حاجتي. فأردتُ الرحيل فقلتُ لها: ألك حاجة؟ قالت: نعم، كلما نزلتُ هذه بلاد فأنزلُ عليّ، فغبرتُ أعواماً، ثم أتيتُ اليمنَ، فأبيتُ منزل المرأة فإذا حالتها بدتُ تغيرت، وذهب رقيقها، ومات ولدها، وباعت منزلها، وإذا هي مسرورة حالها، ضاحكة. فقلت: أتضحكين مع ما قد نزل بك؟ قالت: يا عبد الله، كنتُ في حال النعمة وولي أحزانٌ كثيرة، فعلمتُ أن ذلك من قلة الشكر، فأنا اليوم في بده الحال أصحكُ شكراً لله على ما أعطاني من الصبر. فقلت لعبد الله بن عمر: ما رأيتُ منها؟ فقال: ما كان صبرُ أيوب النبي عليه السلام إلى هذه بشيء.

وقال سفيان<sup>(١)</sup>: شكى الربيع بن أبي راشد إلى مُحارب بن دثار<sup>(٢)</sup> إبطاءَ خير أخيه جامع. فقال له مُحارب: إن لم تكن وَطئتُ نفسك على فراق جامع أنت عاجز.

وقال محمدُ بن أبي محمد: بلغني أن الإسكندرَ مرَّ بمدينةٍ قد ملكها أملاكٌ سبعة، وبادوا. فقال: هل بقي من نسل الأملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحدٌ؟ قالوا: رجلٌ يكون في المقابر. فدعا به فقال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال: ردتُ أن أغزَلَ عظام الملوك من عظام عبدهم، فوجدت ذلك سواء. قال: فهل لك أن تبغيني فأحيي بك شرف آبائك إن كانت لك همّة؟ قال: إن همّتي لعظيمة ن كنت بُغيتي عندك. قال: وما بغيتك؟ قال: حياةٌ لا موتٌ فيها، وشبابٌ لا مرمٌ معه، وغنىٌ لا يتبعهُ فقرٌ، وسرورٌ لا يُغيّره مكروه. قال: ما أقدرُ على هذا. قال: فافض لشانك، وخلصني أطلب بُغيتي ممّن هي عنده. فقال الإسكندر: هذا خُكمٌ من رأيتُ.

وقال عبد الله بن عباس: ما قيلَ لِقَوْمٍ قطُ طوبى لهم إلا خبأ لهم الدهر يومَ شرٍّ، فالصبر خيرٌ مَعْبَةٌ.

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي: فقيه حافظ محدث زاهد توفي (٩٨ - ١٦٦ هـ) (تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١١١).

(٢) مُحارب بن دثار بن كردوس السدوسي الشيباني الكوفي «أبو المطرف» قاضي الكوفة كان فقيهاً فاضلاً زاهداً شجاعاً حسن السيرة ومن المرجحة عزل عن القضاء وأعيد حتى توفي (١١٦/٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٨١).

وتحدث أبو الحسن المدائني قال: قال بَعَثُ بن لقيط بن خالد بن نَضْلَةَ  
 الفُقْعَسِي - وهلك ابنه طُعْمَةَ، فورثه بُرْدِين فلبسهما وأنشأ يقول:

[الطويل]

كَسَانِي نُؤْبِي طُعْمَةَ المَوْتُ إِنَّمَا الشُّرَاثُ وَإِنَّ عَزْرَ الخَيْبِيبِ العَنَائِمُ  
 إِذَا تَفَحَّتْ رَيَاةِمَا الرِّيحُ تَفْحَةً أَيْبِثُ كَأَنِّي عَضَّةُ الطَّرْبِ رَائِمُ

يقول: أَيْبِثُ أَجْرٌ كَالنَّاقَةِ الرَّائِمِ حِينَمَا إِلَى ابْنِي. والرَّائِمُ: الناقة يفارقها  
 ولدها فَيُحْشَى جِلْدُ فِصِيلِ تَيْبِنًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَيُلَطَّخُ بِشَيْءٍ مِنْ سَلَاهَا<sup>(١)</sup> وَتَحْشَى  
 عِمَامَةً فِي أَنْفِهَا، وَتُجْعَلُ دُرْجَةً فِي حَيَاتِهَا، فَتَفْتَحُ عَيْنَهَا، وَذَلِكَ الْجِلْدُ مَخْشُوٌّ كَأَنَّهُ  
 خَرَجَ مِنْهَا، وَرَائِحَةُ السَّلَا فِيهِ، وَتُنَزَّرُ العِمَامَةُ مِنْ أَنْفِهَا فَتَجِدُ لِدَلِكِ رَائِحَةً، فَكَأَنَّهُا  
 قَدْ وُلِدَتْ، فَإِذَا تَشَمَّتْ ذَلِكَ الْوَلَدَ فَقَدْ رَأَتْهُ، فَيَنْزِلُ اللَّبَنُ، فَكَأَنَّهُمْ خَدَعُوهَا عَنْ  
 لِبْنِهَا.

وقال شُعَيْب بن صفوان: كَانَ لِحَضْرَمِيٍّ بِنِ عَامِرِ الْأَسَدِيِّ<sup>(٢)</sup> إِخْوَةٌ  
 فَهَلَكُوا، فَوَرِثَ أَمْوَالَهُمْ، فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي بُرْدِينٍ لَهُ، فَظَنَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ  
 يَقَالُ لَهُ جِزْءُ بِنِ فَاتِكِ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَمْسَيْتُ يَا حَضْرَمِيٍّ جَدْلَانِ، فَانْشَأَ يَقُولُ  
 وَجَزِعَ:

[المنسرح]

يَسْفُولُ جِزْءٌ وَلَمْ يَقْلُ جَلَلًا إِنِّي تَرَوُحْتُ نَاعِمًا جَدْلًا  
 إِنْ كُنْتُ أَزْتَنِّتُنِي بِهَا كَذِبًا جِزْءٌ فَلَا تَنْبِثُ بِمِثْلِهَا عَجَلًا  
 أَسْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِبْرَامَ وَأَنْ أَوْرَثَ دُوْدًا شَصَائِبًا نَبَلًا؟

إِنَّ الدُّوْدَ: القليل من الإبل. يقال: «إِنَّ مِنَ الدُّوْدِ إِلَى الدُّوْدِ إِسْلٌ»  
 والشَّصَائِبُ: المهازِيلُ العِجَافُ، وَالتَّيْبَلُ: يَقُولُ أَصْحَابُ الْغَرِيبِ إِنَّهَا الْحَقِيقَةُ،  
 وَإِنَّهَا مِنَ الْأَصْدَادِ.

كَمْ كَانَ فِي إِخْوَانِي إِذَا اشْتَمَلُ الْأَبْطَالُ ثَمَّتِ العِجَاجِيَّةُ الْأَسْلَا  
 مِنْ فَارِسٍ مَا جِدَ أَخِي ثَقِيَةً يَنْغِطِي جَزِيلاً وَيَقْتُلُ الْبَطْلَا  
 وَقَالَ خَرْبٌ - وَذَكَرَ الْمُعَمَّرِينَ -: عَاشَ دُوَيْدُ التُّهْدِيِّ أَرْبَعًا مِائَةَ سَنَةٍ، فَقَالَ

(١) الشُّلَى: جلدة يكون الولد فيها في بطن أمه.  
 (٢) جِزْرَمِيٍّ بِنِ عَامِرِ بْنِ مَجْمَعِ الْأَسَدِيِّ «أبو كدام» صحابي من خزيمية شاعر وفارس (١٧/هـ).  
 (الأعلام: ج ٢، ص ٢٦٣).

نده وأهله حين نزل به الموت: أوصيكم بالناس شراً، طغناً لزاً، وضرباً أزاً،  
يسروا الأعنة، وأطيلوا الأمانة، وارزقوا الكلاً. ثم قال:

[مشطور الرجز]

يَوْمٌ يُبْنَى لِدُونِ بَيْتِهِ      يَا رَبِّ نَهَبَ حَسَنَ حَوْنِيئِهِ  
مَغْضَمٍ ذِي بُرَّةٍ لَوْنِيئِهِ      لَوْ كَانَ لِلدَّغْرِ بَلَى أَبْلَانِيئِهِ  
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاجِداً كَفِينِيئِهِ

وقال عروة بن سليم: دخلت على رجل من الأحامرة<sup>(١)</sup> بالكوفة، وعنده  
ماعة من أهله وغيرهم، فقالوا: قل لا إله إلا الله، فأعرض بوجهه، فأعادوها  
يه مراراً، فقال: أخبروني عن أبي طالب أقالها؟ قالوا: وما أنت وأبو طالب؟  
ج: لا أرغب بنفسي عنه.

وقال سلام بن أبي خيرة: ضربت الخوارج بكراً الطاحي فقتلوه بالسيوف،  
دخل عليه قوم يعودونه وعنده رجال ونساء، فقالوا له: ليس عليك بأس، فقال:

[الطويل]

نِئَاءَ قَلْبِيْلٍ عَن بُكَيْرِ بْنِ وَاثِلِ      تَرْمُزُ أَسْمَاءِ الْإِمَاءِ الْعَوَائِدِ

(١) الأحامرة: قوم من العجم نزلوا البصرة واستفروا بالكوفة.

## باب من تكلم في مرضه بشيء حكيم عنه

قال أبو الحسن: حدثني رجل من بني كنانة من أهل المدينة قال: مرض بلال - مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر الصديق، فقال بلال<sup>(١)</sup>:

[الرجز]

جاءك مؤلاك مع الرسول  
فلنم أذن دين أبي عقيل  
ولا يدين الأسود الضلوع

وقال أبو الحسن عن غياث بن إبراهيم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - قال أبو العباس: وحدثني به ابن عائشة وأبو عمر الجرمي<sup>(٢)</sup> ورسمه واحد قال: لما قدم المهاجرون المدينة وعكوا - وابن عائشة والجرمي يقولان: اجتؤوها<sup>(٣)</sup>، وكانت أشد أرض الله حصى. - قالت عائشة: فقال لي رسول الله ﷺ: اذهبي فانظري كيف أبوك وعمك، فدخلت على أبي بكر فقلت: يا أبتاه كيف تجدك؟ فقال:

[الرجز]

كل امرئ مضمخ في أهله  
ثم دخلت على بلال فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

[الطويل]

(١) بلال بن رباح الحبشي «أبو عبد الله» مؤذن رسول الله ﷺ وحازن بيت ماله أحد السابقين إلى الإسلام شهد كل تمشاهد مع رسول الله ﷺ ولم يؤذن بمساءه خرج مع بعوث الشام وتوفي في دمشق (٢٠٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٧٣)

(٢) صالح بن إسحاق الجرمي النحوي «أبو عمر» كان فقيهاً عالمياً بالغة والنحو ديناً ورعاً ونسبته إلى جزء اسم قبائل (وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٤٨٥).

(٣) الجري: المرض وداء الجوف إذا تطاول.

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيئْتُ لَيْلَةً يَفْخُ وَخَوْلِي إِذْخِرَ وَجَلِيلٌ<sup>(١)</sup>  
 هَلْ أَرَدْتُ يَوْمًا مِثْلَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ<sup>(٢)</sup>  
 قالت: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ عُتْبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ:  
 أبا جَهْلٍ بنِ هِشَامٍ، كما أخرجونا مِنْ أَرْضِ الْوَبَاءِ. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا  
 دِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، وَاثْقِلْ وَبَاءَهَا إِلَى الْجُحْفَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث ابن عائشة وأبي عُمَرَ: «اللَّهُمَّ، الْعَنْ أَبَا جَهْلٍ بنِ هِشَامٍ  
 تَبَةً بنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بنِ خَلْفٍ. وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ  
 نَا مَكَّةَ وَأَكْثَرَ، وَاثْقِلْ مَا بَهَا مِنَ الْوَبَاءِ إِلَى مَهَيِّعَةَ»، وهي «الجُحْفَةُ». قال: فجاء  
 ل الجُحْفَةُ يَضْجُونَ مِنَ الْحُمَى.

قالت: ودخلت على عامر بن فُهَيْرَةَ فقلت: يا عَمَّ، كيف تجدك؟ فقال:  
 [مشطور الرجز]

لَقَدْ وَجَدْتُ السَّمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ

قال: وأنشدنا ابن عائشة:

وَالْمَرْءُ يَأْتِي خَشْفُهُ مِنْ قَوْقِهِ

وقال أبو الحسن:

الْجِبَانُ خَشْفُهُ مِنْ قَوْقِهِ كُلُّ امْرِئٍ مُقَاتِلٍ عَنْ طَوْقِهِ  
 كَالثُّورِ يَخْمِي جِلْدُهُ بِرَوْقِهِ

قال أبو الحسن: مَرَضَ حَسَّانُ بنُ بَحْدَلِ الْكَلْبِيِّ<sup>(٤)</sup> وَمَنْظُورُ بنُ زَيْدِ أَخُو  
 بِي عَبْدِ وُدٍّ، مِنْ كَلْبٍ، مَرَضًا شَدِيدًا، فَعَادَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ  
 دَهُمَا تَمَثَّلَ:

[الوافر]

السِّي فِي دِمَشْقٍ وَلَا تُرَاهَا مَبِيئْتُ إِنْ عَرَضْتُ وَلَا مَقِيلُ

(١) الأذخر: نبات طيب الرائحة والجليل: الشام.

(٢) شامة وطفيل: جبلان قرب مكة.

(٣) الجُحْفَةُ: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة وكان اسمها «مهيبة».

(٤) حَسَّانُ بنُ مَالِكِ بنِ بَحْدَلِ بنِ أَيْفِ بنِ سُلَيْمَانَ الْكَلْبِيِّ: أمير بادية الشام من قادة معاوية في صفين  
 آزر مروان وسلم له الخلافة له قصر في دمشق يعرف بقصر ابن أبي الحديد (.../ ٦٥ هـ)  
 (الأعلام: ج ٢، ص ١٧٦).

ومالي بَعْدَ حَسَانِ صَدِيقِي وَمَالِي بَعْدَ مَنْظُورِ خَلِيلِي  
 وقال أبو الحسن: لَمَّا وَلِيَ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ الْبَصْرَةَ أَنَاهُ الْفَرَزْدَقُ وَلَمْ يَكُنْ أَنَاهُ  
 بِالْكَوْفَةِ، وَكَانَ بِشْرٌ عَلَيْهِ وَاجِدًا. وَقَدِمَ مَرُّ الْبَصْرَةِ فَمَرَضَ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ حَيْثُ  
 قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ:

[البيسط]

لَوْ أَتَيْتَنِي كُنْتُ ذَا نَفْسَيْنِ إِنْ هَلَكْتُ إِخْدَاهُمَا بَقِيَتْ أُخْرَى يَمُنُّ غَيْرَا  
 إِذْ نَ لَجِئْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلِي وَمَا وَجَدْتُ جَمَامًا يَغْلِبُ الْقَدْرَا  
 لَهُ يَدٌ يَغْلِبُ الْمُغْطِيبِينَ نَائِلَهَا إِذَا تَرَوَّحَ لِلْمَنْغْرُوفِ أَوْ بَكَرَا  
 تَعْدُو الرِّيَاحُ وَتُنْسِي وَهِيَ فَائِزَةٌ وَأَنْتَ ذُو نَائِلٍ يُنْسِي وَمَا فَتْرَا  
 وقال: دخل كثير عزة على عبد الملك وهو مريض، فلما رآه قال: ها هنا،  
 وأجلسه من ورائه، فقال كثير:

[الكامل]

وَتَعْرُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا لَيْتَ الثُّشْكِي كَانَ بِالْمُعْرَادِ  
 لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِزْيَةَ لَفَدَيْتُهُ بِالْمُضْطَلْفِيِّ مِنْ طَارِفِي وَبِلَادِي  
 قال أبو العباس: هذا الشعر غلط، إنما هو لجريز في الوليد بن عبد الملك  
 وفيها يقول:

وَدَعَا الْخَلِيفَةَ فَاسْتَجِيبِ دُعَاؤُهُ وَاللَّهْ يُسْمَعُ دَعْوَةَ الْأَجْنَادِ  
 وتحدث أبو الحسن عن حماد الراية قال: حدثني الغريان بن الهيثم قال:  
 بعثني أبي إلى شبيب بن ربيعة أسأل به وهو مريض، وهو بين ابنتين له كأنهما  
 الشمس يقبلانه، فقلت: يقول لك أخوك لهيثم: كيف تجدك؟ فقال متملاً:

[الطويل]

تَمَسَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعْيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرَّ  
 وَنَادَيْتَيْنِ تَشْدُبَانِ بِعَاقِلِ أَخَا بُقَّةٍ لَا عَيْنَ مِثْلَهُ وَلَا أَثَرَ  
 فَتُومًا فَتُومًا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا وَلَا تَخْجِشَا وَجْهًا وَلَا تَخْلِقَا شَعْرَ  
 وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا حَمِيمَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقِ وَلَا عَدُوَّ  
 إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ

ثم قال: ما فعل الحجاج؟ فأخبرته. ثم أتيت أبي فأعلمته، فلما رُحنا إلى  
 الحجاج قال: ما فعل شبيب؟ قال أبي: أتاه الغريان اليوم عانداً. فسألني فحدثته

حديث. فقال الحجاج: لا تَبْعَدُ العرب! ثم قال: وَيَحْكُمُ يا أهل العراق، إنكم تُمُّ النَّاسَ لولا ما شملكم من هذا الرأي الخبيث.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: قد أكثرنا في المراثي والمواعظ من بين نثر وكلام نثرٍ ورسالةٍ وغير ذلك مما يتصل له.

والمراثي وأسبابها باقيةً مع الناس أبداً، إذ كانت الفجائع لا تنقضي إلا قضاء المصائب، ولا يَفْنَى ذلك إلا بفناء الأرض ومن عليها، ولا إله إلا الله حي الذي لا يموت. ونحن خاتمو ذلك باب نجمة فيه من كل شيء إن شاء، وبه الحول والقوة. ثم نبتدىء شيئاً غيره. فإن الإكثار سرف، كما أن نصير كالعجز. وفيما أمَلْنَا بلاغٌ وعظَّةٌ إن شاء الله تعالى.

قال عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن باس بن عبد المطلب يرثي أباه. وكان أبوه جليلاً من بني هاشم له أدب وعارضة لاعة ونجدة وبيان، فولاه أمير المؤمنين المعتصم بالله اليمَن ثم ولي - بعد أن طال ثبته بها - إيتاخ<sup>(١)</sup> ذلك البلد، فولى إيتاخ عليها الشار، فحمل إليه الشار عبد حيم، فطالبه إيتاخ بالخراج وحبسه لامتناعه عليه، فمات في السجن بعد مدة.

وكان عبد العزيز أجَلُ بنيه، وقد ولي الولايات، وكان شاعراً مُفْلِقاً وخطيباً مَقْعاً، فقال يرثي أباه قولاً أعرب فيه فأفصح، وأغرب فيه فلم يَفْجَشْ، ولكنه ج أحسن الخروج من كلام مبسوط ومعان مفهومة وهو قوله:

[الطويل]

بِكُنْهِ الَّذِي تَتَعَمَّى مِنَ الدِّينِ وَالْقَدْرِ  
تَلَوْدُ إِذَا حَلَّ الْجَسِيمُ مِنَ الْأَمْرِ  
تُعَوَّرُ بِهِ كَانَتْ أَوَامِنُ لِسَلْدُغِرِ  
وَيَكْشِفُ عَنْهَا طُحْيَةَ الدُّلِّ وَالْقَفْرِ  
زَمَاهَا بِأَنْفَى لِلظُّلَامِ مِنَ الْقَجْرِ  
وَيَبْذِلُ لَهَا<sup>(٢)</sup> الْأَمْوَالَ بِالنَّائِلِ الْعُمْرِ  
وَتُورُ بِهَاءِ كَانَ أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ  
بِذِئَابِهَا السَّاعِي وَإِنْ كُنْتُ لَا تَذْرِي  
مَنْ رُكُنَ أَرْكَانِ الْمُلُوكِ الَّذِي بِهِ  
وَيُفْهَوْتُ أَرْكَانُ عِزٍّ وَأَعْوَزَتْ  
مَنْ يَلْبَسُ الْأَقْطَارَ أَمْنًا بِذِكْرِهِ  
مَنْ كَانَ إِنْ أَرْضُ مِنَ الْمَحَلِّ أَظْلَمَتْ  
رُجْبِهِ كَأَنَّ الْبَدْرَ فَوْقَ جَبِينِهِ  
نَوْدٍ يَبْدُ الْمَجْدُ وَالْجُودُ قَبْلَهُ

١ إيتاخ التركي: قائد ميمنة المعتصم في فتح عمورية تأمر على المتوكل مع ابن الزيات في زمن الواثق قتله المتوكل بالعام البارد (مروج الذهب: ج ٤، ص ٦٠ ووفيات الأعيان: ج ١ ص ٤٧٨).

٢ اللهي: جمع لهوة أو لهية: هي العطية، وقيل أفضل العطايا.

تَزِيدُ اللَّيَالِي وَالْحُطُوبُ ضِيَاءَهُ  
وَيَبْسُطُ بِالْعُرْفِ الْعَفَاةَ تَهْلُلاً  
فَلَيْتَ تَغْنَى بِالضَّفَاتِ عَنِ اسْمِهِ  
وَإِنَّا لَمُعْتَادُو رَزَايَا عَظِيمَةٍ  
يَظَلُّ لَهَا مِنَّا رَجَالٌ كَأَنَّمَا  
فَتَضِيرُ حَتَّى تَنْجَلِي عَمْرَائِهَا  
تَجَلُّ مُصِيبَاتٌ وَتَغْرُو نَوَائِبُ  
لَقَدْ عَرَكْنَا لِلزَّمَانِ مِلْمَةً  
وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ أَصْبَحَ بَعْدَهُ  
فَلَمَّا زَانَتْ الصَّبْرَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ  
وَأَنَّ الْبُكَاءَ فَحَرٌّ، بَكَينَتْ بِعَوَلَةٍ  
وَوَوَّحَتْ بَعْدَ الْبِأْسِ وَالصَّبْرِ زَفْرَةً  
حَنِيناً كَمَا حَنَّ الْبِرَاعُ بِرُودِهِ  
وَحَلَّيْتُ أَسْرَابَ الدَّمُوعِ فَأَنْتَطَرْتُ  
وَقُلْتُ لَهُ مِنَّا الْبُكَاءُ وَقَدْ بَكَتْ  
بَكَى الثَّقَلَانِ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ فَقَدَهُ  
وَأَقْسِمُ لَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ وَخَدَهُ  
بِمَوْتِكَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ بِنِ جَعْفَرِ  
وَصَارَتْ بِنَاءَ الدِّينِ بَعْدَكَ صَدْعُهَا  
بِمَوْتِكَ مَاتَ الْجُودُ وَالْمَجْدُ كُلُّهُ  
لَقَدْ هَدَى رُكْنَ الدِّينِ مَوْتُكَ هَدَاةً  
وَأَبْلَسَ إِبْلَاسَ الْمَذَلَّةِ دِينَنَا  
وَأَضْحَتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ مَرِيضَةً  
وَقَدْ وَجَدَ الْأَعْدَاءُ فِي الْمَلِكِ مَطْعَنًا  
فَلَا هُنَّ الْأَعْدَاءُ عَشْرَةٌ دَهْرِنَا  
رَزَيْنَا أَمْرًا لَا تَحْفِلُ الدَّهْرُ بَعْدَهُ  
فَلَيْلَهُ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ رِزْيَةٍ  
فَوَاكِدًا لَوْ فِي الْوَعَى كَانَ مَوْتُهُ  
وَبِالْبَيْضِ وَالْمَرْقُوعَةِ الزُّرْقِ دَمْعُهَا

إِذَا غَيَّرَ الْبَدْرُ الْمُحَاقِقَ مِنَ الشَّهْرِ  
إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَنَعِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ  
فَلَمَّ تَرَّ إِلَّا عَارِفًا غَيْرَ ذِي نُكْرِ  
نَخَافُ بِأَذْنَائِهِمْ قَاصِمَةَ الظُّهْرِ  
تَعَالَى عَلَى أَكْتَائِهَا فَلَقَى الصَّخْرَ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الصَّبْرِ عَيْبٌ عَلَى الْحُرِّ  
وَلَا مِثْلَ مَا أَنْحَتْ عَلَيْنَا يَدُ الدَّهْرِ  
أَذْمَتْ بِمُخْمُودِ الْجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ  
بِمَنْ كَانَ ذَا دِينٍ وَمَعْرِفَةٍ يُزْرِي  
وَصَاقَ بِمَا قَدْ جَلَّ مِنْ حَدَثِ صَدْرِي  
عَلَيْهِ لِكَيْلَا يَغْتَلِبَنِي أَوْلُو الْفَخْرِ  
تَرْدُدُ مَا بَيْنَ الْجَوَائِحِ وَالصُّدْرِ  
حَيَازِيمُ صَاقَتْ لِلشَّيْخِ الَّذِي يَفْرِي  
بِعَيْبِ مَعِيِبٍ بِالدَّمُوعِ وَلَا تَزْرِي  
لَنَا الطَّيْرُ لَوْ كَانَتْ مَدَامِعُهَا تَجْرِي  
وَعَيَّرُهُمَا مِنْ سَاكِنِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
رَكِبْتُ بِنَفْسِي كُلَّ مُسْتَضْعَبٍ وَغَرِ  
تَزَايَلُ شَعْبُ الْمَلِكِ عَنْ أَفْحَسِ الْكُسْرِ  
يَطِيرُ شَطَايَا لَا تَلَامُ بِالْجَبْرِ  
وَجُدَّعَ أَنْفَ الْعِرْزِ فِينَا إِلَى الْحَشْرِ  
أَنَاقَتْ لَهَا الْأَعْنَاقُ مِنْ أَمِّ الْكُفْرِ  
وَأَغْضَى بِكَ الْإِسْلَامَ عَيْنًا عَلَى وَثْرِ  
تَوَكَّفُ فِيهِ مِثْلَ رَاغِبِيَةِ الْبَكْرِ  
عَوَاقِبُهُ قَتْلُ يَجَلُّ عَنِ التَّنْصِيرِ  
فَقَدْ - وَأَبِي - قَرَّتْ عِيُونَ ذَوِي الْغَمْرِ  
وَلَا الْمَوْتُ، فَلْتَفْرِ الْخَوَادِثُ مَا تُفْرِي  
وَعَشْرَةٌ دَهْرٍ أُمَّتُنَا مِنَ الْعَثْرِ  
بَكَيْنَا عَلَيْهِ بِالرُّؤْيِيَّةِ السُّنْرِ  
دَمٌ عَابِدٌ يَنْشَالُ بِالْعَلَقِ الْحُمْرِ



لخيلٍ يغلنكُن الشكيمَ كأنها  
ضُرْنٌ نجيعاً مايراً بعدَ جاميدٍ  
حصى نهازِ الثاسِ لئلاً والمعت  
يغنِ ضوءَ الشمسِ في قنطلي الوعى  
نمِدتِ الأضواءُ إلا غماغمِ الس  
لذها أيا بنِ الأكرمينَ وخذُ بها  
من مُفغصٍ يغطو بفضلِ حشاشةٍ  
مُرْفَنٌ أوصالاً كراماً أعرزةً  
منا إلى الثأرِ المنيبِ فلمَ يئبلُ<sup>(١)</sup>  
منا وإن لم تُوفِ من شينجنا دماً  
هدأ نفساً ما تلافى جفونها  
بكنَ وقيناهُ القنا بِشحورنا  
ابنِ الثبيِّ المصطفى وابنِ عمه  
ما بنِ اختيارِ الله من آلِ آدمِ  
ما بنِ عليِّ بعدَ والحسنِ الذي  
ما بنِ سليمانَ الذي كانَ مؤبلاً  
من مَلا الدنيا بهاءً ونائلاً  
عزُّ بما قد نالنا من رزيةٍ  
إن مِتْ في حبسِ الخليفةِ صابراً  
كَمْ من عدوٍّ للخليفةِ قد هوى  
لا أوزقتُ شجرأه أرضٍ ولا دحا  
قُلْ لِلْمَنابِيا والمَتالِبِ اعصفا  
نُلْ لِلأَعاديِ أعلِنوا الآنَ أو دَعُوا

كوايسرُ عُقبانِ نواهضِ عن قذِرِ  
فلأياً تبيِّنُ الكُمُتُ فيها من الشُقِرِ  
كواكبنا بالهُندوانيةِ البُئِرِ  
فتيلاً ونازُ الحربِ ناقبةِ الجَمِرِ  
كُماةٌ ووقِعَ المَشْرِفِيَّةِ بالهَبِرِ  
وأخِرُ وقَدُمُ بالسوعيدِ وبالسُجِرِ  
وأخِرُ تفريةِ الحواميِ وما يدري  
ويفضُخُن<sup>(٢)</sup> هاما من جحا جحةِ زُهَرِ  
وتؤ نيطُ بالعُيوقِ أو نيطُ بالنُسرِ  
نَقُرُ عُيوناً أو نريغُ إلى عُذِرِ  
إذا الليلُ ألقى ذيلَ أرواقهِ الخُضِرِ  
وقات كذا في غيرِ هيجٍ ولا نَفِرِ  
ويابنُ عليِّ والفواطمِ والخَبِرِ  
أباً فأباً طهراً يُؤدِّي إلى طهَرِ  
تلافى عرى الإسلامِ وابنُ أبي بكرِ  
لِمَن ضاقتِ الدنيا بهِ من بني فِهَرِ  
وزوى حجاجاً بالمُلمَعَةِ<sup>(٣)</sup> القُفِرِ  
يموتُك مَحْبوساً على صاحبِ القَبِرِ  
أبياً لِمَا يُعطي الذليلُ على الفُسرِ  
بِكُفُيكَ أو أعطى المَقادَةَ بالصُغَرِ  
من العَيتِ مُنهلٌ متى طائرُ يسري  
فلمَ يبقُ فينا من يريشُ ولا يَبِرِ  
سواءَ عَلينا المُستَسيرُ وذو الجَهَرِ

وقال أحمد بن محمد الخثعمي يرنى إبراهيم بن سعيد الجميري:

[الخفيف]

(١) الفضخ: كسر كل شيء أحوف.

(٢) يئبل: ينجح.

(٣) المُلَمعة: الأرض يلمع فيها السراب.

أَيُّهَا السَّاعِيَانِ مَنْ تَشْعِيَانِ؟  
 انْتَعِيَا الثَّقَابَ الزَّنَادِ أَبَا إِسْمَاعِيلَ  
 أَزْجَعَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمَا عَفْوٌ  
 فَانْضَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كُنَّا  
 فَكَأَنَّا وَلَمْ يَطَّلِ بِكَ عَهْدٌ  
 بَيْنَ أَدَمَ تَدْمِي، وَرَكِبِ مُنْبِخِ  
 ضَلَّصَلِ الصُّوْثِ فِي صِفَانِكَ بِالرَّمِ . .  
 مَسْمَعِ الْقِدْحِ مِنْ خَطَارِ وَفُودِ  
 لَيْتَ أَتَا فِدَاكَ إِذْ فَنِي الطُّغْرُ  
 فَعَدَا ظَاعِنًا يُحَثُّ بِهِ التُّغْرُ  
 سَفَرٌ شَابِعٌ وَخَادٍ مُجْدُ  
 شَرِبَ الْمَوْتَ مَنَّهُ مَحْضَهُ دُو  
 أَيُّهَا الْمَوْتُ قَدْ نَهَضْتَ بِجَمَلِي  
 فَمَ بَأَعْلَى الْبِقَاعِ مِنْ عُنْدَانِ  
 هَلْ تَرَى غَيْرَ مَجْلِسِ صَخْبِ الْأَفْ  
 وَتَرَى غَيْرَ ذَابِلِ سَمْهَرِي  
 وَتَرَى غَيْرَ مُقْرَمِ نَاصِلِ الثَّأِ  
 وَعَدِيمِ يَغُوبُ فِي قَدْحِ الثُّكُ

وَعَلَى مَنْ أَرَاكُمَا تَبْكِيَانِ  
 حَاقِقَ رَبِّ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ  
 رَأَى إِلَى لِحْدِ قَبْرِهِ فَاغْقِرَانِي  
 نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ  
 مَا زَأَيْنَاكَ عَائِمِرَ الْأَعْطَانِ  
 وَعِيسَى مَلْتَوْتَةَ وَجِفَانِ  
 . . سَبِّ خَفِيضِ الْكَلَامِ فِي الصَّفَانِ؟  
 وَعَدِيمِ الْآتِبَاعِ يَوْمَ الرَّهَانِ؟  
 مَ وَقَاضَتْ مَنَاهِلُ الْحَدَثَانِ  
 حُسَّ حَشِيَّتِ السُّرَى وَلَيْسَ بِوَانِ  
 وَقَعُودُ بَاقِيِ عَلَى الرَّقْلَانِ  
 نَ حَلِيبَهَا السُّطُورِ مِنْ قُحْطَانِ  
 مِ مِنْ الدَّمِّ فِيهِ وَالْأَضْغَانِ  
 وَيَسْفَلِي الْكَثِيبِ مِنْ عُسْفَانِ<sup>(١)</sup>  
 حَيِّ بِبَالِكَ وَنَادِي تَكْلَانِ  
 رَكَدَ الرَّجُجُ فِي مَكَانِ السُّنَانِ  
 بِ قَلِيلِ السُّمُوفِ فِي الْهَدْرَانِ  
 لِي هَدِيمِ الْخِجَابِ وَالْبُنْيَانِ

ومن المراثي المستحسنة المقدمة، ونحتاج أن نذكر معها خبرها وهو أن مالك بن زهير بن زواحة بن جذيمة العبسي - وكان من أشرف بني عبس، وجذيمة منهم - قُتِلَ في حرب داحس. وكان جانيها أخوه قيس بن زهير، فنشبت بينهم فيما دُكِرَ أربعين سنة. وتشاءم بهم قومهم، فوجه قيس جاريته لتعلم ما عند الربيع بن زياد العبسي أیغضب لهذا الحديث فيقول به أو يستهين، فرأت عنده أكثر مما أحب، فرجعت إليه فقالت: سمعت عويلاً منه دون نسائه وحركة أكثر من حركة جميع الحي، وهو يقول:

[الكامل]

(١) عُندَان: قصر بصنعاء وعُسْفَان: قرية قرب مكة وهي حد تهامة (معجم البلدان: ج ٤، ص ٢١٠)

عَ الرُّقَادَ فَمَا أَعْمَضَ حَارِ  
 مِثْلَهُ تَمْسِي النِّسَاءِ حَوَابِرًا  
 كَانَ مُرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكِ  
 جَلَلٌ مِنَ النَّبْلِ الْمُهَيَّمِ السَّارِي  
 فَتَقَوْمٌ مُغْوَلَةٌ مَعَ الْأَنْحَارِ  
 فَلَيَاتِ يَسْوَتُنَا بِوَجْهِ نَهَارِ  
 تَأْوِيلُ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ إِذَا رَأَى مَا يُصْنَعُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَزَعِ، عَلِمَ أَنَّ تَأْرَ مِثْلَهُ لَا

٥

عَدِ النِّسَاءِ حَوَابِرًا يَتَذُبُّنَهُ  
 مُشْنُ حُرٍّ وَجُوْهَهُنَّ عَلَى فَتَى  
 كُنَّ يَكْتُمُنَّ الْوَجُوهَ تَسْتَرًا  
 يَتَعَدُّ مَقْتَلِ مَالِكِ بِنِ زُهَيْرِ  
 يَضْرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالْأَنْحَارِ  
 سَهْلَ الْخَلِيقَةِ طَلِبِ الْأَخْبَارِ  
 فَالآنَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَارِ  
 تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ  
 قَوْلُهُ: أَبْعَدُ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ، مُرَاحَفٌ نَاقِصٌ جُزْءًا. وَهَذَا فِي هَذِهِ  
 رَوْضِ جَانِزٍ، وَهِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْمَقْطُوعَةُ فِي الْكَامِلِ. وَنَظِيرُهُ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ

:

[الكمال]

بَلِّغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَأْتِيَهُ  
 سِي كَبِيرَتْ وَأَنْ كُلُّ كَبِيرِ  
 رَجَعَ الشَّعْرُ:  
 طَبٌّ يَلُومُ الْمُتَلَيِّمَ وَيَعْتَدِرُ  
 مِمَّا يُظَنُّ بِهِ يَمَلُّ وَيُقْبِرُ

إِلَّا الْمَطْبِي تَشَدُّ بِالْأَكْوَابِ  
 نَجْهَضْنَ بِالْمُهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ  
 هَذَا مِثْلُ الْبَيْتِ الْمَرْحُوفِ. يُقَالُ: ذَقْتُ عَدُوقًا وَلَا عُدَاقًا، وَلَا لَمَاطًا وَلَا  
 آقًا. وَكُلُّ هَذَا فِي مَعْنَى لَمْ أَذُقْ شَيْئًا.  
 وَارِسًا صَدًّا الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ  
 غُورٌ كُلُّ مُقْلَصٍ مِنْ خَيْلِنَا  
 سَى نُبَيْرِ بِذِي الْمُرَيْقِبِ عُدُودَ

بَدْر: ابْنُ عَمْرٍو الْفَزَارِيُّ، وَابْنُ سَيَّارِ بْنِ زِيَانَ الْفَزَارِيُّ قَتَلُوا ابْنَ عَمَمِ  
 حَارِبُوهُمْ عَدْرًا بَغِيرِ دَمٍ وَلَا أَفْقَارِ.  
 فَكَأَنَّمَا طَلَبِي الْوُجُوهَ بِقَارِ  
 سَلِسِ الْقِيَادِ مُعَاوِدِ التُّكْرَارِ  
 بَدْرًا وَتُعَدَّرُ مِنْ بَنِي سَيَّارِ

كَلَّا وَزَبَّ الْبَيْتِ ذِي الْأَنْشَارِ  
 حَمَلًا وَفَارِسَهُمْ أَبَا حَجَّارِ  
 رُبُّ مُسْرُورٍ بِمَقْتَلِ مَالِكِ  
 سَى نُبَيْرِ بِمَالِكِ سَرَوَاتِهِمْ

حمل: ابن بدر وكان من فرسانهم وشجعانهم، وهو الذي يقول فيه القائل  
في هذه القصة بعد أن قُتل:

[الوافر]

وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بِنَّ بَدْرٍ بَعَى وَالْبَغْيِي مَضْرَعُهُ وَخِيمُ  
وأبو حجار: مالك بن حمار الشَّمْخِي، وبنو شَمَخ من قَوَازَة، وقزارة ابن  
ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن عَطْفَان. وبنو عيس ابن بغيض بن رَيْث، فكان عيسُ  
وذبيان أخوين. وكانت حربهم أربعين سنة.

وحربُ الأنصار - الأوس والخزرج، ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن  
عامر - كانت أكثر من هذا فيما ذكرت الرواية وكانت لا تزال تُعَبَّرُ<sup>(١)</sup>.

وَرُوِيَ عن رسول الله ﷺ: ذَرَبُوا لِي بِالْحُرُوبِ حَتَّى ذَرَبُوا. وقالت عائشة  
رضي الله عنها: قَدِمْنَا عَلَيْهِم وَالْجِرَاحُ تَنْصَفُ دَمًا مِنْ حَرْبِ بُعَاثَ.

فحربُ الأنصار: حرب بُعَاث، وحرب ابني بغيض: حربُ داحس، وحرب  
بكر وتغلب تُسَمَّى: البسوس.

وقال أبو ناظرة السدوسي، وكاذ رجلاً من أهل العلم والمعرفة بكلام  
العرب وحسن التصرف فيه، يرثي البصرة وأهلها بكلام عربي فصيح ينبيء أنه  
كلامٌ مُوجَع يخرُج عن نِيَّة صادقة من أَلْفَاظِ رَجُلٍ لَا عَجَزٍ يَقْعُدُ بِهِ عَن بَلُوغِ  
الْحَاجَةِ، وَلَا إِسْرَافٍ فِي قَوْلِهِ وَتَمَحَلِّ بِتَجَاوُزِ بِهِ الْقَدْرِ:

[الطويل]

إِلَيْكَ، إِذَا مَا أَبَ كُلُّ غَرِيبٍ!	مَنَازِلُنَا هَلْ مِنْ إِيَابِ مُؤْمِلٍ
وَمُنْتَجِعِ لِلْمُعْتَمِفِينَ خَصِيبِ	وَهَلْ نَحْنُ يَوْمًا عَائِدُونَ ذَوِي غِنَى
نِقَاءِ جِيوبِ مِنْهُمْ وَغِيوبِ	وَأَذِنَةٌ فِي كُلِّ حَيٍّ يَزِيئُهَا
فَلَا يَطْوُونَ مَسْعَاهُ مَشُوبِ؟	وَجِلْمٌ وَعِلْمٌ لَيْسَ بِالنُّزْرِ فِيهِمْ
إِوَقَّتِ صَبَاحٍ أَوْ لَوَقَّتِ غُرُوبِ	وَقُلْ لِدُعَاةِ الشَّمْسِ هَلْ مِنْ تَشْهُدِ
تَفَقَّتْ أَكْبَادُنَا وَقُلُوبِ	نُجْنٍ - وَلَمْ نَظَلِم - إِلَيْكَ صَبَابَةٌ
تَرْفَرُقُ مِنْ عَيْنِ عَلَيْنِكَ سَكُوبِ	وَقُلْ غَنَاءَ عَبْرَةٍ مُسْتَهْلَةٌ
مَجَالِسُهَا مِنْ سُودِدِ وَخُطُوبِ	أَبَى الضَّبْرِ تَذْكَارِ الدِّبَارِ الَّتِي خَلَّتْ

(١) تُعَبَّرُ: تظهر وتتجدد.

ندى ذوي الحاجات في كل شارق  
 على مطاع في العشيّرة ما جد  
 نازل فارقت العهود ولم تكن  
 نازل قوم أسرع السيف منهم  
 على فتى يزور إلى النهو والضبا  
 على ضميم من ذؤابة قومه  
 وإنا أن يرى الله الهوادة منهم  
 وذووا وقد عاشوا إكراماً أعفوا  
 يديهم ضرباً على الهام تارة  
 من رضى دارث وكم من مصيبة  
 على ألف ألف من ملوك وسوقة  
 فلقتهم هاماتهم وشريدتهم  
 غير راع يرتجى الضر عند  
 يديهم من ناع على جذم بغلة  
 من ربيب طاق على الماء شلوة  
 ما أرضهم أخلوك فابكي عليهم  
 على كل قوم لا يزال مطئنة  
 وانما فإنا خشو كل مدينة  
 وأوجه فيها كواب وأغين  
 من رام أن يتباع بنا خديفة  
 والعز بنا مستكين وذو الغنى  
 ما حل بالإنلام مثل مصابنا  
 بنا ولم تشفق عصانا ولم تبت  
 ميمية تسري إلينا كأنما  
 مضر عن بغداد كل فضيلة  
 جالاً ومالاً يعرف الناس فضله  
 لا الميزن المعمور بالعز والتهى  
 لا قضر أوس والمناخ الذي به  
 مرتجع يوماً ولا المسجد الذي

إلى كل مغشي الفناء مهيب  
 معين على زيب الزمان وهو  
 معاناً لناقوس ولا ليصليب  
 إلى كل وضاح الجبين نجيب  
 جزور لأذيال الشباب سحوب  
 كريم لغايات الكرام طلوب  
 لأغصنة عن دين النبي تكوب  
 على فتى مرث بهم وحروب  
 وذبحاً بأقسي أنفس وقلوب  
 توالث ومن يوم هناك عصيب  
 ثوروا بين أبواب لهم وذروب  
 شمايط شتى أوجه وشروب  
 ولا عطى يؤوى إليه رحيب  
 ومن راح يشكو الكلال جنيب  
 وذو ظمأ أودى به وسغوب  
 وجودي عليهم يا سماء وضوبي  
 منازلتهم من آيب ومزوب  
 وألقاها من نازح وقريب  
 بسواك وفقر ظاهر وشحوب  
 من الشخل أعطى دزما بجريب  
 كأن لم يكن ذا رتبة وركوب  
 وسلطاننا بلدين حق عصب  
 عقاربنا فينا ذوات ذيب  
 تطالبنا في مضرنا بذنوب  
 خصصنا بها إسهاب كل خطيب  
 على كل حال رائج وعريب  
 وكل فتى للمكرمات كسوب  
 وما حوله من روضة وكشيب  
 إليه تناهى علم كل أديب

ولا قَائِمٌ لله انشاء لَيْلِهِ  
 ولا عَائِدٌ ذاك الحَزِينُ كَعَهْدِهِ  
 ولا الشَطُ إِذْ فِيهِ لَنَا الخَيْرُ كُلُّهُ  
 وبالفَيْضِ والتَّهْنِيتِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
 وَإِذْ مَا نَرَاهُ مِنْ سَفِينٍ وَرَاكِبٍ  
 وَدَجَلَةٍ أَحْمَى جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا  
 مُؤَلَّلَةٌ أَسْنَانُهُمْ وَعُيُونُهُمْ  
 قوله «كهرورة» إنما هي العُطوب والعُبوس كما قال زيد الخيل<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

وَلَسْتُ بِذِي كَهْرُورَةٍ غَيْرِ أَتْسِي  
 طَمَاطِمٌ لَا رَبَّ لَهُمْ يَغْرِفُونَهُ  
 وَجَوْنٍ نَوَاجٍ مُتَّجِيَاتٍ لَوَاجِحِي  
 الجُون: السود. يعني: الخيل. والعكوب: الغبار، وبه سمي عكابة.

إِذَا طَلَعَتْ أُولَى المَغِيرَةِ أَعْيَسُ  
 وَقَدْ دَرَبُوا بِالْحَرْبِ أَيُّ دَرُوبٍ  
 تَرُوحُ وَتَغْدُو غَيْرَ ذَاتِ عَكُوبٍ  
 تُسَاجِنُنَا فِيهَا المَنَايَا عَبِيدُنَا  
 أَسْتَلْبُهَا غُلْباً ضَوَامِنَ لِقَبْرِ  
 يعني التُّخْل، والأغلب: الغليظ العُتِيُّ.

بِكُلِّ حَسَامٍ فِي العِظَامِ زَسُوبٍ  
 عَلَى سَنَوَاتٍ تُغْتَرِي وَجُدُوبٍ  
 ذَوَاتُ جُمُومٍ تَحْتَهَا وَنُضُوبٍ  
 يُسَاقِطْنَ فِي دَيْمُومَةٍ وَقَسُوبٍ؟  
 ذَوَاتُ وَسُومٍ فِيهِمْ وَتُدُوبٍ  
 وَلَكِنْ رَقِيبٌ مِنْ وَرَاءِ رَقِيبٍ  
 عَلَى حَظَرٍ مِنْ مُجْتَنَاءٍ عَجِيبٍ  
 لَدَى مَشْهَدٍ مِثْلَا وَلَا بِمَغِيبٍ؟  
 تَجَاوَزُ أَحْيَاءَ بِهَا وَشُعُوبٍ  
 وَلِلدَّغْرِ أَيَّامٌ... وَخُطُوبٍ  
 جَدَاوِلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ  
 وَمَا النُّخْلُ فِي اجْلَابِنَا عَنْ كِرَاعِبٍ  
 وَمَا فِي جِيَامِ الرَّزْجِ مِنْ حُرٍّ أَوْجِهٍ  
 وَلَا دُوٌّ مُحَامَاةٍ وَلَا دُوٌّ حَفِيطَةٍ  
 عَلَى الثَّمَرِ المَفْجُوعِ أَرِيَابُهُ بِهِ  
 يَقُولُونَ حُشْرَى قَسَا مِنْ مُدَافِعٍ  
 وَقَالُوا تَنَاسَوْهَا فَلَيْسَ بِعَائِدٍ  
 وَنَائِي لَأَرْجُو أَنْ أَرَى ذَاكَ مِنْهُمْ

(١) زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد رضا من طلي. «أبو مكتف»: من أبطال الحاهلية لقب «زيد الخيل» لكثرة خيله كان طويلاً جميلاً وشاعراً وخطيباً وكرماً أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ فسز به وأسماه «زيد الخير» مات محموداً على عين ماء اسمها فردة (٩/...) (الأعلام: ج ٣، ص ٦١).

مَتَّ أَرْضَنَا الدُّنْيَا إِلَيْنَا وَأَذْبَرَتْ  
 مَا كَانَتْ الدُّنْيَا يَسُورَى الْبَلَدِ الَّذِي  
 مَا عَيْشُ هَذَا النَّاسِ بَعْدَ ذَهَابِهِ  
 أَلْذَمْعُ لَمْ يُسَعِدْ كَثِيباً فَيَأْتِنِي  
 لِمَى دَمِنَ جَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ بَعْدَنَا  
 مَا كُلُّ بَضْرِي شَكَا بِمُفْتِدِ  
 لَوْ أَنَّ بَضْرِيّاً بَكَى كُنْثَةً شَجْوِهِ  
 مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي بُرْهَانُهَا وَرَهْطُهُ  
 أَلْتُمْ غَاذَرْتُمُوهَا كَأَنَّهَا  
 لَا تَرْقِعُوا الْأَبْصَارَ إِلَّا كَلِيلَةَ  
 يَا بَضْرُ كَمْ مِنْ هَالِكٍ مَاثَ حَسْرَةَ  
 ظَلُّ شَمَاعاً قَلْبُهُ وَمَبِيتَهُ  
 لَيْسَ لَكَ سَلَامٌ اللهُ مَثَا فَيَأْتِنَا  
 وقال عمرو بن الأَسَلَعِ يرثي أبا جُنَيْدٍ  
 نَلْ حَذِيقَةً بِنُ بَدْرٍ<sup>(١)</sup> إِيَّاهُ:

بِكُلِّ نَعِيمٍ فِي الْحَيَاةِ وَطَيْبٍ  
 خَلَا الْيَوْمَ مِنْ ذَاغٍ بِهِ وَمُجِيبٍ  
 بِغَيْشٍ وَلَا مَغْنَامُ بِرَغِيبٍ  
 سَأَبْكِي وَأَبْكِي الذُّغْرَ كُلَّ كَثِيبٍ  
 ذُبُولَ الْبِلَى مِنْ شَمَالٍ وَجَنُوبٍ  
 وَلَا كُلُّ بَضْرِيٍّ بَكَى بِمَعِيبٍ  
 بَكَى بِدَمٍ حَتَّى الْمَمَاتِ صَبِيبٍ  
 وَمَا أَنَا فِي حُبِّيهِمْ بِمُزِيبٍ  
 مَنَازِلُ عَادٍ غَيْرُ ذَاتِ عَرِيبٍ  
 إِلَى النَّاسِ أَوْ مُنْهَلَةٌ بِفُرُوبٍ  
 عَلَيْنِكَ وَمَنْ صَبَّ إِلَيْكَ طُرُوبٍ  
 عَلَى سَنَنِ مِنْ رُبْعِهِ وَنَحِيبٍ  
 نَرَى الْعَيْشَ إِلَّا فِيكَ غَيْرَ حَبِيبٍ  
 جُنَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَسَلَعِ الْعَبْسِيِّ وَيَذَكُرُ

[الوافر]

وَأَخْرَجَ حَاجَةَ الشَّفْرِ الْوَدَاعِ  
 وَنَعَمَ الْبَقُومِ إِنْ قَوْمٌ أَضَاعُوا  
 وَفَرَّ حَدِيثٌ قَائِلُهُ سَمَاعٌ  
 تَجَاوَبَ فِي حَنَاجِرِهَا الْبِرَاعِ

لَا يَكُنِ الْوَدَاعُ أَبَا جُنَيْدٍ  
 إِنْ خَابَتْ جِيَالُ بَنِي سُبَيْعٍ  
 لَا تَبْأَسُ بِذَلِكَ وَأَنْتَ ظِلُّنِي  
 شَكَ كَأَنَّهَا عُقْبَانُ دَجْنٍ  
 وقال مُهَلْهَلُ بْنُ رَبِيعَةَ:

[الكامل]

كَذَبُوا وَزَبَّ الْجِلُّ وَالْإِحْرَامُ  
 وَيَعْضُ كُلُّ مُذَكَّرٍ بِالْإِهَامِ  
 يَمَسَّحَنَ عُرْضَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَامِ  
 مَثَا بَرَى جَزَعاً عَلَى الْإِهَامِ

خَلُوا كَلْبِيّاً ثُمَّ قَالُوا أَزْبَعُوا  
 مَثَى نَبِيذِ قَبِيلَةَ وَقَبِيلَةَ  
 تَسْجُولُ زَنَاثُ الْخُدُورِ حَوَائِرِ  
 مَثَى يَعْضُ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيمِهِ

(١) حذيفة بن نمر: يهضرب به العتل في سرعة السير كان في عصر العنذر بن ماء السماء (.. / ..).  
 (الأعلام: ج ٢، ص ١٧٠)

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ  
وَلَقَدْ وَطِئْنَا بِيُوتِ يَشْكُرَ وَطْأَةً  
ضَرَبَ الْقُدَادَ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ<sup>(١)</sup>  
أَخْرَأْنَا، وَهُمْ بَنُو الْأَعْمَامِ  
وقال أيضاً:

[المديد]

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كَلْنِبَا  
يَلِكْ شَيْبَانُ تَقُولُ لِذَغَلِ  
يَا لَبَكْرٍ أَيَّنَ أَيْنَ الْفِرَازُ؟  
ضَرَّخَ الشَّرُّ وَبَانَ السَّرَّازُ  
وَبَنُو يَشْكُرَ قَامُوا فَمَالُوا  
قَبْضَةُ عَوْجَاءَ فِيهَا اسْتَبْتَارُ  
وَبَنُو عَجَلِ تَقُولُ لِقَيْنِ  
وَلَتَيْمِ اللَّابِ سَيِّرُوا فَسَارُوا

وسملي يعقب ذكر مهلهل هذا خبر وقائعهم ليفهم مجرى هذه المراثي وما يتبعها من أمثالها من لم يفهمه، ليعلم أن هذه الأشعار بُنِيَتْ على أساسات من حُكْمِ العرب، تفيد أمثالاً عجيبة ومذاهب غزيرة وأقوالاً على أمور يُنتَفَعُ بها في مثل ما قصدوا له وفي غيره من غير بابِه. والحديث ذو شجون. وبالله الحَوْلُ والقوة.

بَكَر وَتَغْلِبُ - ابْنَا وَائِلُ - شَعْبَانُ ضَخْمَانُ سَادَهُمَا جَمِيعاً كَلِيبُ بْنُ رِبِيعَةَ  
التغليبي، وهو الذي يقال له كليب وائل، فُضِرَبَ به المثل، حتى ادعت ربيعة في كليب أن العرب كلها تنقاد لشرفها. وفيه يقول النابغة الجعدي لرجل من أهله بغى وَتَعَدَّى يُخَوِّفُهُ عُدَاؤُ الْظَلَمِ:

[الطويل]

كَلْنِيبُ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً  
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَحْرَ بِطَغْنَةٍ  
وَأَهْوَى ذَنْباً مِثْلَكَ ضَرْجَ بَالِدَمِ  
كَحَائِشِيَةِ الْبِزْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُنْتَهَمِ  
وكان سبب قتله على عزة من قومه وَلَحَمْتَهُ على أَنَّهُ كَانَ لَا يُرْفَعُ بِحَضْرَتِهِ  
صَوْتُ وَلَا يُسْمَعُ فِي نَادِيهِ كَلِمَةٌ خَنَا. وفي ذلك يقول المهلهل في مراثيه إِيَّاهُ:

[الكامل]

ذَهَبَ الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ  
وَتَنَازَعُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ  
وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلْنِيبَ الْمَجْلِسُ  
لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبَسُوا  
ومَهْلَهُلُ أَخُو كَلِيبِ وَاسْمُهُ عَدِيٌّ، وَهُمَا ابْنَا رِبِيعَةَ، وَكَانَ مَهْلَهُلُ يُسْفَهُهُ  
كَلِيبٌ وَيَصِفُهُ بِالْفَزْلِ وَالتَّحَدَّثَ إِلَى النِّسَاءِ يَذْمُرُهُ بِذَلِكَ فَيَقُولُ: أَنْتَ زَيْرُ نِسَاءِ.

(١) القُدَادُ: الطباخ والتقية: الطعام الذي يهيته القادم من السفر لزيارته.



وكان شرف بكر بن وائل في ولد ذي الجَدَّين وهو عبد الله بن هشام بن رُوَّة بن دُهل بن شيبان. وهؤلاء أشراف وأبناء أشراف. وهم بيت بكر بن وائل شرفها.

وكانت إحدى بنات مُرَّة تَحَثُّ كَلِيبَ بن ربيعة، وكان عدِيُّ المُهَلِّهْلِ أَخَى حَمَامَ بن مُرَّة. وكان عاقده وعاهده أَلَا يَكْتُمُ أحدهما صاحبه خبيراً يقع إليه. جاءت جارية لهَمَامَ فسأزته بشيء، فتغير وجهه، فقال المُهَلِّهْلِ: ما قاتت لك يا خي؟ فَوَزَى فقال له: العَهْدُ! فقال: خَبِرْتَنِي أَنْ أَخِي قَتَلَ أَخَاكَ. فقال له مُهَلِّهْلِ: لَا تُرْغِ، فَإِنَّ هِمَّةَ أَخِيكَ لَا تَبْلُغُ ذَلِكَ.

وَسَيُصَلِّ الخَيْرُ مستقصى بوقائعهم إن شاء الله.

وكانت حربهم أربعين سنة في مقتل كليب، وهو موصول بما ابتدأناه بما فيه من مراثيهم وغيرها. فقالت ماوية بنت مُرَّة امرأة كليب، تشتكي ما بها من قتل خيها زوجها، وهي قصيدة محيطة بالمعنى المقصود، جيدة الكلام بوفرة لشكي:

[الرمز]

تَعَجَّلِي بِالْأُومِ حَتَّى تَسْأَلِي  
عِنْدَهَا اللُّؤْمَ فَكَلِّمِي وَأَعْذِلِي  
شَفَقِي بِنَهَا عَلَيَّ فَافْعَلِي  
قَاطِعَ ظَهْرِي وَمُفْنِ أَجَلِي  
أَخْبِيهَا فَأَتَفَقَاتِ لَمْ أَخْفَلِ  
تَحْمِيلُ الأُمِّ قَدَى مَا تَفْتَلِي  
سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عِلِ  
وَبَدَا فِي هَذِمِ بَيْتِي الأَوَّلِ  
رَبِيَّةَ المُضْمَى بِهِ المُسْتَأْصِلِ  
خَصَّنِي الدُّعْرُ بِرُؤْءِ مُغْضِلِ  
مِنْ وَرَائِي وَلَقَى مُسْتَقْبَلِي  
إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمِ يَسْجَلِي  
ذَكَرِي تُأْرِي تُكَلِّلُ المُشْكِلِ  
ذَكَرَا مِثْلَهُ دَمًا مِنْ أُنْحَلِي  
حَسْرَتَا عَمَّا انْجَلَتْ أَوْ تَسْجَلِي

سَا بِنَةُ الأُومِ إِنْ سِيئَتْ فَلَا  
إِذَا أَتَيْتِ تَبَيَّنَتْ السَّيِّئَاتِ  
نَ تَكُنْ أَخْتُ أَمْرِي لِيَمَّتْ عَلَي  
سَلُّ جَسَاسِ عَلِي وَجَدِي بِهِ  
سَوْ بَعَيْنِي قَدَيْتِ عَيْنُ سَوِي  
سَحِيلُ العَيْنُ قَدَى العَيْنِ كَمَا  
سَا قَتِيلًا قُوضَ الدُّعْرُ بِهِ  
سَدَمَ البَيْتِ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ  
سَا نَسَانِي دُونَكَنِ اليَوْمِ قَدَى  
خَصَّنِي قَتَلُ كَلِيبِ بِلَطْلِي  
سِيَسَ مِنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ  
سَا ذَكَ الثَّائِرِ شَافِيهِ وَفِي  
سَيئُهُ كَانَ دَمِي فَاخْتَلَبُوا  
سَجَلُ عِنْدِي بِفَعْلُ جَسَاسِ قِيَا

إِنْسِي قَاتِلَةً مَقْتُولَةً وَلَقُلَّ اللهُ أَنْ يَزْتَاخَ لِي

قال أبو العباس: قرأت على أبي محمد النحوي المعروف بالتُوْزِي عن أبي عبيدة مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى التَّمِيمِيِّ مولى بني تميم بن مُرَّة، من قريش عن مقاتل الأحول ابن سنان، من بني سعد بن مالك بن ضَبَيْعَةَ بن قيس بن ثعلبة. وهو الذي يقول فيه طَرْفَةٌ:

[الطويل]

رَأَيْتُ شَعُوداً مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ فَلَمْ أَرِ سَعْدًا مِثْلَ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ

قال مقاتل: هذا عدي وأخوه كليب وسالم وفاطمة بنو ربيعة بن الحارث بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن عَنَم بن تغلب. وكان كليب بن ربيعة ليس على الأرض بكري ولا تغليبي أجار رجلاً ولا بغيراً إلا بإذن كليب، ولا كان يحمي حمى إلا لَمْ يُقْرَب. وكان لِمُرَّة بن دُهل بن شيبان عشرة بنين منهم جساس. وكان أصغرهم. وكانت أختهم عند كليب. قال مقاتل: وأم جساس بن مرة: هَيْلَةُ بنتُ مُنْقِذ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ثم خَلَفَ عليها بعد مُرَّة بن دُهل سَعْدُ بن ضَبَيْعَةَ بن قيس بن ثعلبة. قال فراس: وهي أمتنا وخالة جساس يقال لها البسوس.

قال أبو برزة: البسوس أخت هَيْلَةَ، فجاءت فنزلت على جساس، فكانت جارة لبني مُرَّة ومعها ناقة اسمها «السراب» وكانت حَوَارَةَ صَفِيًّا<sup>(١)</sup> من نَعَم بني سعد، ومعها فصيلٌ لها.

قال أبو برزة: وقد كان كليب قال لصاحبه - أخت جساس: - هل تعلمين على الأرض عربياً يمنع مني ذمته؟ فسكتت، ثم أعاد ذلك عليها فسكتت، ثم أعاد ذلك عليها الثالثة فقالت: نعم، أخي جساس وَتَدَمَانُهُ ابن عمه عمرو بن أبي ربيعة بن دُهل. وعمرو هو المُرْدَلِف.

وأما مقاتل فزعم أن امرأة كليب بَيْنَا تَغْيِيلُ رَأْسِ كَلِيبِ وَتَسْرُحُهُ ذات يوم إذ قال لها: من أعزُّ وائل؟ فضمزت<sup>(٢)</sup> فأعاد عليها فضمزت. فلما أكثر قالت: أخوأي جساس وهمام! فنزَعَ رأسه من يدها وأخذ القوسَ فَرَمَى فَصِيلَ نَاقَةِ البسوس، خالة جساس وجارة بني مُرَّة، فأقصده، فأغمضوا على ما فيها

(١) ناقة حوارة وصفي: غزيرة اللين.

(٢) ضمزت أي سكتت ولم تجب.

سكتوا. ثم لقي كليبُ ابنَ البسوس، فقال: ما فعل فصيل ناقتكُم؟ قال: قتلتُه. أخليت لنا لبنَ أمه، فأغمضوا على هذه أيضاً. ثم إن كليباً أعاد بعد هذا عني مرانته فقال: من أعزُّ بني وائل؟ قالت: أخوأي، فأضمرها، وأسرها كليب. أسكت حتى مرَّت إبلُ جساس فإذا الناقة، فاستنكرها فقال: ما هذه الناقة؟ ألوا: لخالة جساس. قال: أو قد بلَّغ من أمر ابن السعدية أن يُجبر عليّ بغير ذني؟ أزم ضرعها يا غلام، فشقه. قال: فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة، فأسقط منها دمه. وراحت الرعاء على جساس فأخبروه بالأمر فقال: أحلبوا لها مكياً لا ين لها ولا تذكروا لها من ذلك شيئاً، وأغمضوا عليها.

قال مقاتل: حتى أصابتهم سماء. فعدا في غيبتها عمرو بن ذهل بن شيبان طعن عمرو كليباً فقصم صلبه.

وأما أبو برزة فزعم أن جساساً أمسك حتى طعن ابنا وائل، فمرت بكر على نهي<sup>(١)</sup> يقال له شبيث، فأبعدهم عنه كليب وقال: لا تذوقوا منه قطرة ثم مرّوا على آخر يقال له الأحص فأبعدهم عنه. ثم مرّوا على بطن الجريب<sup>(٢)</sup> فمنعهم ياه فمضوا حتى نزلوا الدنائب، واتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليهم، فمرّ عليه جساس وهو واقف على غدير الدنائب، فقال: أبعذت أهلنا عن المياه حتى كذت نقتلهم من العطش. فقال كليب: ما أبعدناهم إلا عن شيء نحن له شاغلون. نمضى جساس ومعه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة. ثم ناداه جساس: هذا كفعلك بناقة خالتي. قال: أو قد ذكرتها! أما إني لو وجدتها في غير إبل بني مرة بن ذهل لاستحللت تلك الإبل بها! فعطف عليه جساس الفرس فطعنه بالرمح، فأنفذ جصنيته<sup>(٣)</sup>. فلما تداومه<sup>(٤)</sup> الموت قال: يا جساس، اسقني من الماء. قال: ما عقلت استسقاءك من الماء مذ ولدتك أمك قبل ساعتك هذه.

قال أبو برزة: فعطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فحز رأسه.

وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل هو الذي طعنه فقصم صلبه، ففي ذلك يقول مهلهل:

[الوافر]

(١) النهي: الخدير.

(٢) بطن الجريب: واد عظيم يصب في الرمة بنجد (معجم البلدان: ج ٢، ص ١٣١).

(٣) الحصن: هو دون الإبط إلى الكشح.

(٤) تداومه عليه الأمر: تركمته.

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ الْمَرْءِ عَمِرُو وَجَسَّاسٍ بِنِ مُرَّةَ ذُو ضَرِيرٍ  
 وَقَالَ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ لِعِقَالِ بْنِ خُوَيْلِدِ الْعُقَيْلِيِّ لَمَّا أَجَارَ بَنِي وَائِلَ بْنِ مَعْنٍ،  
 وَقَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي جَعْدَةَ، فَحَدَّرَهُ عُدْوَانَ الظُّلْمِ وَأَقْتَصَّ لَهُ أَمْرَ كَلِيبٍ وَحَدِيثَهُ:

[الطويل]

كَلِيبُ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ظُلْمًا مِثْكَ ضَرْجٌ بِالدِّمِ  
 زَمَى ضَرْعُ نَابٍ فَمَا سَحَرُ بِدَلْعَنَةٍ كَهَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسْتَهْمِ  
 وَقَالَ لِحَسَّاسٍ: أَغْنَيْتَنِي بِشَرْزِيَّةٍ تَمُضِّلُ بِهَا طَوْلًا عَلَيَّ وَأَنْعَمِ  
 فَقَالَ: تَجَاوَزْتَ الْأَحْضَ وَمَاءَهُ وَبَطْنَ شَبَيْبٍ وَهُوَ ذُو مُتْرَسِمٍ<sup>(١)</sup>  
 وهي في كلمة.

وقال العباس بن مرداس لكليب بن عهمة الظفري أخي عباس ومالك بن  
 عهمة، وكانوا شركاء في القرية فجددهم كليب حظهم منها فحذره غب الظلم وما  
 لقي كليب منه:

[الكانن]

أَكَلَيْبُ مَالِكَ كُلُّ يَوْمٍ طَائِمًا وَالظُّلْمُ أَتَكَدُ، وَجَهَهُ مَلْعَوُ  
 فَاغْتَلَّ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلِ يَوْمَ الْعُدَيْرِ سَمِيكَ الْمَطْعَوُ  
 وَأَظُنُّ أَنَّكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتَيْكَ سِنَانَهَا الْمَسْنَوُ  
 إِنَّ الْقُرَيْتَةَ قَدْ تَبَيَّنَ شَأْنُهَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَّجْبِيرُ  
 أَجَحَدْتَنِي ثُمَّ أَطْلَقْتَ تَحْطُّهَا وَأَبُو يَزِيدَ بِجَوْهَا مَذْفَوُ  
 وقال رجل من بكر بن وائل في الإسلام، وهو يحمل على الأعشى -  
 وزعموا أنه شبيب بن عريرة:

[الطويل]

وَنَحْنُ قَهْرُنَا تَغْلِبُ ابْنَةَ وَائِلِ بِقَتْلِ كَلِيبٍ إِذْ طَغَى وَتَحْيَلَا  
 أَبَانَاهُ<sup>(٢)</sup> بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعُهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوهُ الْجَمَى مُتَذَلَّلَا  
 وهي كلمة.

قال: ومقتل كليب بالذنانب عن يسار فلجة مضيداً إلى مكة، وذلك قول  
 المهلهل:

[الوافر]

(٢) أباه الغائل بالقتيل: قتله به.

(١) المترسم: موضع الماء.

لَوْ نُبِشَ الْمُقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ فَيُخْبَرَ بِالدَّنَائِبِ أَيُّ زِيرٍ  
 قَالَ أَبُو بَرزَةَ: فَلَمَّا قَتَلَهُ جَسَاسٌ أَمَالَ بِيَدِهِ الْفَرَسَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَهْلِهِ خَارِجَةً  
 كَيْتَهُ. قَالَتْ أخته: يَا أُمَّتَاهُ، إِنْ جَسَاسًا قَدْ جَاءَ خَارِجَةً رَكْبَتَهُ. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا  
 خَرَجْتَ رَكْبَتَهُ إِلَّا لِأَمْرِ عَظِيمٍ. قَالَتْ: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: وَرَائِي، وَاللَّهِ، أَنِّي قَدْ طَعَنَتُهُ  
 لَمَعْنَةً لِنَشْتَعْلُنَ مِنْهَا شِيوْخًا وَاتِلَ رَقْصًا. قَالَتْ: أَقْتَلْتِ كَلْبِيًّا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: وَاللَّهِ  
 وَدِدْتُ أَنْكَ وَإِخْوَتَكَ كَتَمْتُمْ مِثْمَ قَبْلِ هَذَا. مَا بِي إِلَّا أَنْ يَتَنَاقَدَ بِي أَبْنَاءُ وَاتِلِ.  
 وَزَعَمَ مُقَاتِلُ أَنْ جَسَاسًا قَالَ لِأَخِيهِ نَضَلَّةَ بِنَ مَرَّةٍ - وَيُقَالُ لِهَمَا الْيَوْمَ عَضْدًا  
 لِجَمَارٍ -:

[الوافر]

إِنِّي قَدْ جَنَيْتُ عَليكَ حَرْبًا نَغِصُ الشُّنَيْخَ بِالماءِ القَرَّاحِ  
 فَأَجَابَهُ أَخُوهُ نَضَلَّةُ بِنَ مَرَّةٍ فَقَالَ:  
 إِنَّ نَكَّ قَدْ جَنَيْتُ عَلَيَّ حَرْبًا فَلَا وَإِنْ لَأَرَتْ السُّسْلَاحِ  
 وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا أَوَّلَ هَذِهِ الْوَقَائِعِ وَالسَّبَبِ الَّذِي هَيَّجَهَا تَطَرُّقًا إِلَى مَرَاتِي مُهْلَهْلِ  
 خَاهُ وَقَوْمَهُ لِيَقَعَ ذَلِكَ عَلَى مَعْرِفَةٍ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَرَفَهَا.  
 قَالَ الْمُهْلَهْلِ يَرِيهِ أَخَاهُ وَيَذُكُرُ أَشْرَافَ مَنْ قُتِلَ بِهِ، وَأَنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِكُفَاءٍ:

[الوافر]

نِيلَتْنَا بِذِي حُسْمِ أَنْبِيرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تُحَوْرِي  
 إِنَّ يَكَّ بِالدَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ يُنْكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ  
 لَوْ نُبِشَ الْمُقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ فَيُخْبَرَ بِالدَّنَائِبِ أَيُّ زِيرٍ  
 معنى ذا أن كلبياً كان يُعَيَّرُ مُهْلَهلاً فيقول: أنت زير نساء. وإنما يُقال ذلك  
 مؤثراً للهُو بالنساء والحديث إليهنَّ على المساعي وطلب الذكر، وكان مُهْلَهْلِ أوقع  
 بهم بالدَّنَائِبِ وقعة منكرة فيقول: لو رأى كلبياً ما صنعتُ لَعَلِمَ أَنِّي غَيْرُ زِيرِ.  
 يَوْمَ الشُّغْرَمَيْنِ لَقَرُّ عَيْنَا وَكَيْفَ لِقَاءِ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ؟<sup>(١)</sup>  
 أَنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَادِيَاتِ بُجَيْرٍ فِي ذِمِّ مِثْلِ الْعَبِيرِ  
 حَبْرُ بَجَيْرٍ: وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَكَانَ  
 حَارِثٌ مِنْ فَرَسَانِهِمْ، فَاعْتَزَلَ هَذِهِ الْحَرْبِ. وَجَاءَ بُجَيْرٌ يُقَاتِلُ مَعَ قَوْمِهِ يَوْمَ  
 أَرْدَاتِ، وَهُوَ مَشْهُورٌ مِنْ أَيَّامِهِمْ. فَأُخِذَ أُسَيْراً فَقَتَلَهُ مُهْلَهْلِ وَقَالَ: يُؤْ بِشْنَعِ  
 لَيْبِ، فَقِيلَ لِلْحَارِثِ بْنِ عُبَادِ إِنَّ ابْنَكَ بُجَيْرٌ قُتِلَ. فَقَالَ الْحَارِثُ: إِنَّهُ لِأَعْظَمُ

(١) يوم الشغرمين: من أيام العرب وقبل هو يوم واردات والآيات من الوافر.

قتيل بركة إن أصلح الله بين ابني وائل . فقيل له : إن مهلهلاً حين قتله قال : بؤ  
بشع كليب . فقال عند ذلك :

[المديد]

لَقِحَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ عَن جِيَالِ  
هُ وَائِي بِحَرْهَا السُّيُومِ صَالِ  
طُ كَلَيْبٍ تَزَاجِرُوا عَن ضَلَالِ

وَبِعَضُّ الغَشْمِ أَشْفَى للصدورِ  
إِذَا بَرَزَتْ مُخْبَأَةُ الخُدُورِ  
عَلَيْهِ القَشْعَمَيْنِ<sup>(١)</sup> مِنَ الثُّسُورِ  
وَيَخْلِجُهُ خَدْبٌ<sup>(٢)</sup> كَالْبَعِيرِ  
ضَلِيلِ البَيْضِ تُقَرِّعُ بِالذُّكُورِ  
كَأَسَدِ الغَابِ لَجَتْ فِي الزُّنْبِيرِ  
بَعِيدِ بَيْنِ جَالِيهَا جَرُورِ  
بِحَنْبِ عُثَيْرَةِ رَحِيَا مُدِيرِ  
كَأَنَّ الخَيْلَ تَنْهَضُ فِي غَدِيرِ

[الخفيف]

هُ لَعُوبٌ لَدِيدَةٌ فِي العِنَاقِ  
يَا عَيْدِي لَقَدْ وَفَيْتُكَ الأَوَاقِي  
قَدْ أَرَأَيْتُمْ سُقُومًا بِكَأْسِ خِلَاقِي  
وَقَتِيلَتِي صَدُوفَ وَابْنِي عِنَاقِي  
ثُمَّ خَلَى عَلَيَّ ذَاتَ العِرَاقِي  
مِمَّ زَمَاءُ الكُفَاءِ بِالإِيفَاقِي  
وَخَصِيمًا أَلَدًا مِغْلَاقِي  
مَنْ قَالَ «مِغْلَاق» أَرَادَ : إِذَا عَلَّقَ خَصِمَهُ بِلِغِ مَنَّهُ . وَمَنْ قَالَ : «مِغْلَاق» أَرَادَ :

قَرِيبًا مَرِيضًا التَّمَامَةَ مِنِّي  
لَمْ أَكُنْ مِنَ جَنَابَتِهَا عَلِيمَ اللَّدِ  
لَا بُجَيْبِرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا زَهْدِ  
ثُمَّ دَخَلَ فِي الحَرْبِ .

رَجَعَ إِلَى شَعْرِ مَهْلَهْلِ :

هَتَكَتْ بِهِ بِيوتِ بَنِي عِبَادِ  
عَلَى أَنْ لَيْسَ يُشْفِي مِنَ كَلَيْبِ  
وَهَمَامِ بِنِ مِرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا  
يَنُوءَ بِصَدْرِهِ وَالرُّمُخَ فِيهِ  
فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ أَهْلَ جَجْرِ  
فَدَى لِبَنِي الشَّقِيقَةِ يَوْمَ جَاوَا  
كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَطَانِ بِشْرِ  
كَأَنَّا عُذُوةٌ وَبَنِي أُبَيْنَا  
تَكْرُؤَ عَلَيْهِمْ عَوْدًا وَيَذَاءُ  
وَقَالَ أَيضًا يَرْتِيهِ :

طُفْلَةٌ مَا ابْنَةُ المُحَلَّلِ بِنِصَا  
ضَرَبَتْ نَحْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ  
مَا أَرْجِي بِالعَيْشِ بَعْدَ نَدَامِي  
بَعْدَ عَمِيرٍ وَعَابِرٍ وَخِيَّيْ  
وَأَمِيرِي القَيْسِ مَيِّتِ يَوْمَ أُوْدِي  
وَكَلَيْبِ عُنْبِرِ الفُورِاسِ إِذْ حُ  
إِنْ نَحَتْ الأَخْجَارِ حَزْمًا وَجُودًا  
مَنْ قَالَ «مِغْلَاق» أَرَادَ : إِذَا عَلَّقَ خَصِمَهُ بِلِغِ مَنَّهُ . وَمَنْ قَالَ : «مِغْلَاق» أَرَادَ :  
يَغْلِقُ المِحْجَةَ عَلَى الخَصْمِ .

(٢) الخدب : الضخم .

(١) القشع : المن من السور .

حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَرْبَدٌ لَا يَسُدُّ فَعُ مِنْهُ السُّلَيْمُ نَفْسُ الرَّاقِي  
 وقد أطلنا القول في المرثي والتعازي وما بهما من المواعظ . وأحر بما  
 أطيلَ أَنْ يَمَلَّ . وقد قال أحد المتقدمين : من أطال الحديث فقد عرَّض نفسه  
 للملل وللسوء الاستماع . وقد كنا ذكرنا أشعاراً من أشعار المتقدمين ، فقلنا نملئها  
 على وجهها . ثم رجعتُ إلى أنها مجموعة في الكتاب الكامل على شرح جميع  
 عرابها ومعانيها ، فإن رجعتُ رجعتُ مُعَادَةً ، وهو يُؤخَذ من ثَم . وقد أتى للقاضي  
 رحمه الله أكثر من الحَوِيل . وقد قال لبيد :

وَمَنْ يَبْنِكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَدَرَ

ولكننا نُشَيِّع ما قد مضى من الأخبار بأخبار طريقةٍ من هذا الباب ، وأشعار  
 طريقةٍ مختصرة ، ينقطع الكلام عليها إن شاء الله وبه القوة .  
 حَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا عَزَى يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ<sup>(١)</sup> عَنْ حُرْمَةَ لَهُ فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ،  
 قَدِيمِ الْحُرْمِ مِنَ الثُّعْمِ ، وَتَمَثَّل :

[الوافر]

نَعَزُ إِذَا زُرْتِ بِحَخِيرٍ دَزَعٌ تَسْرَبِلُ لِلْمَصَائِبِ دَزَعٌ صَبْرٍ  
 وَلَمْ أَرِ بَعْمَةً شَمَلَتْ كَرِيمًا كَعَوِزَةَ مُنْزِلِمٍ مُتَبَرِّثٍ بِقَبْرِ  
 وَسَمِعَ أَسْمَاءَ بْنَ خَارِجَةَ الْفَزَارِي نَائِحَةً بِالْكُوفَةِ تَقُول :

[المقارب]

نَمَنْ لِلْمَنَابِرِ وَالخَافِقَاتِ وَلِلْجُودِ بَعْدَ زِمَامِ الْعَرَبِ  
 وَمَنْ لِلْعُنَاةِ وَحَمَلِ الدِّيَاتِ وَمَنْ يَفْرِجُ الْكُرْبَ حِينَ الْكُرْبِ  
 وَمَنْ يَلْطَعَانِ غَدَاةَ الْهِيَاجِ وَمَنْ يَغْنَعُ الْبَيْضَ عِنْدَ الْهَرَبِ  
 فقال : مثلُ هذا فُلَيْيُكَ . ثم قال :

[الكامل]

بَا خَدُ إِثْكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْسًا وَوَسَّدَتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ  
 فَاعْمَلْ لِتَفْسِيكَ فِي حَيَاتِكَ صَالِحًا فَلْتَنْدَمَنَّ عَدَا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ  
 وقال عبد الله بن العباس : ما اتَّعَطَّتُ بشيءٍ بعدَما سمعتهُ من رسول الله ﷺ  
 كما اتَّعَطَّتُ بكتابِ كتبه علي عليه السلام إلي ، وكان كتابه : أما بعدُ . فإنَّ المرء

(١) يحيى بن خالد بن برمك «أبو الفضل» : الوزير السري الجواد سيد بني برمك ومربي الرشيد سجنه الرشيد في الرقة بعد نكته البرامكة ومات فيها (١٢٠ - ١٩٠ هـ) (الأعلام : ج ٨ ، ص ١٤٤) .

يَسْرُهُ دَرْكٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَقُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْثٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكُهُ. فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نَلَيْتَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ. وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَا نَلَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَتَّعَمَّ بِهِ فَرْحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تُكَيِّرْ عَلَيْهِ جَزَعًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

وقال بعضهم: سمعت بكاء راهب فناديت: يا راهب، ما يبكيك؟ فقال: أبكاني أمر عرفته فجزت عن سبيله، وقصرت في طلبه، ويوم مضى أوزني عبرته وخسرت، نقص له أجلي، ولم ينقص له أملي.

وروي أن بعض ملوك الفرس كان شديد الغضب، فكتب ثلاث رقع، ثم وكل رجلاً حازماً من أصحابه فقال: إذا اشتد غضبي فادفعوا إليّ الأولى، فإذا سكنت بعض السكون فادفعوا إليّ الثانية، ثم ادفعوا إليّ الثالثة، فكان في الأولى: إنك لست بالإله، إنما أنت بشر يوشك أن يموت، ويأكل بعضك بعضاً. وفي الثانية: ازحم من في الأرض يزحمك من في السماء. وفي الثالثة: خذ الناس بأمر الله، فإنه لا يصلحهم إلا ذلك.

وقال أبو عبد الرحمن ابن عائشة: لما أتني بحجر بن عدي وأصحابه ليقتل بعذراء<sup>(١)</sup> قال: ما اسم هذه القرية؟ قالوا: عذراء. قال: واللّه إني لأؤل فارس وعز أهلها يوم افتتحناها. فلما قرب ليقتل صلي ركعتين وأظهر جزعاً قبل له: أتجزع؟ فقال: ولم لا أفعل؟ كفن منشور، وسيف مشهور، وقبر محفور، ولست أدري أيؤديني إلى جنة أم إلى نار.

فلما قتل قال عبد الله بن خليفة الطائي يرثيه:

[الطويل]

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالشَّيْبَةَ أَعْضُرَا	وَذَكَّرْتُ الْهَوَى بَزْحَ عَلِيٍّ مِنْ تَذَكَّرَا
أَقُولُ وَلَا وَاللَّهِ أَنْسَى مُصَابَهُمْ	سَجِيسَ اللَّيَالِي أَوْ أَمُوتَ فَأَقْبِرَا <sup>(٢)</sup>
عَلَى أَهْلِ عَذْرَاءِ السَّلَامِ مُضَاعَفًا	مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَتْ السُّحَابُ الْكَنْهَوْرَا <sup>(٣)</sup>
وَلَأَقَى بِهَا حُجْرٌ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً	فَقَدْ كَانَ أَرْضَى اللَّهَ حُجْرًا وَأَعْدْرَا
فَيَا حُجْرٌ مَنْ لِلْحَيْلِ تُطْعَنُ بِالْقَنَا	وَلِلْمَلِكِ الْمُغْزِي إِذَا مَا تَعَشَّمْرَا <sup>(٤)</sup>
فَقَدْ عِشْتَ مَحْمُودَ الْحَيَاةِ وَإِنْسِي	لَأَطْمَعُ أَنْ تُغَطِّيَ الْخُلُودَ وَتُخْبِرَا

وقال حسان بن ثابت يرثي جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد

(١) عذراء: قرية بغوطة دمشق فيها قتل حجر بن عدي (معجم البلدان: ج ٤، ص ٩١).

(٢) سجيس الليالي: أبدأ. (٣) الكنهور: المتراكب النخين. (٤) تعشمر: طغى.



الله بن زواحة وكان قد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جيش مؤتة :

[الطويل]

وَهُمْ إِذَا مَا تَوَمَّ النَّاسُ مِنْهُمْ  
سَفوحاً وَأَسبابُ البُكاءِ الشُّذُكُرُ  
وَكَمَّ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصِيرُ  
شَعُوبٌ وَقَدْ خَلَفْتُ فِيمَنْ يُؤخِرُ  
بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الجَنَاحِينَ جَعْفَرُ  
جَمِيعاً وَأَسبابُ المَيْبَةِ تُخَطِرُ  
إِلَى المَوْتِ مَيَمُونُ الثَّقِيبَةِ أَزْهَرُ  
أَبِي إِذَا سِيَمُ الظُّلَامَةَ يَجْسُرُ  
بِمُعْتَرِكَ فِيهِ القَنَا تَتَكَسَّرُ  
جِنَانٌ وَمُلْتَفَّ الحَدَائِقِ أَخْضَرُ  
وَقَاراً وَأَمراً حازِماً جِئِنَ يَأْمُرُ  
دَعَائِمُ عِزُّ لا تُرامُ وَمَفْحَرُ  
رِضامُ إِلَى طَوْدِ يَرْوِقُ وَيَسْفَهَرُ  
عَلِيٌّ، وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ المُتَخَيِّرُ  
عَقِيلٌ، وَماءُ العُودِ مِنْ حَيْثُ يُغَضَّرُ  
عَماسٍ إِذَا ما ضاقَ بِالنَّاسِ مُضْدَرُ<sup>(١)</sup>  
عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الكِتابِ المُطَهَّرُ

ثَأُونِي لَيْلٌ يَتَّخِرُ أَغَمَرُ  
لِذِكْرِي حَبِيبٌ هَيْجَتُ لَكَ عَبْرَةٌ  
بَلِيٌّ، إِنَّ قُفْدانَ الحَبِيبِ بَلِيَّةٌ  
رَأَيْتُ حِيَّازَ المُؤْمِنِينَ تَوازِدُوا  
فَلا يُبْعِدُنَّ اللُّهُ قَتَلَى تَتَابَعُوا  
وَزَيْدٌ وَعَبِدُ اللُّهِ حِينَ تَتَابَعُوا  
عَدَاةٌ مَضَى بِالمُؤْمِنِينَ يَفُودُهُمْ  
أَعْرُ كُضْوَةُ البَدْرِ مِنْ آلِ هاشِمٍ  
قُطَاعِنَ حَتَّى ماتَ عَيمَرُ مُوشِدٍ  
قُصَّارٌ مَعَ المُسْتَشْهِدِينَ تَوايَهُ  
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ  
وَمَا زالَ فِي الإسلامِ مِنْ آلِ هاشِمٍ  
وَهُمْ جَبَلُ الإسلامِ وَالنَّاسُ حَوَلَهُمْ  
بِها لَيْلٌ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ  
وَحَمْرَةُ وَالعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ  
بِهِمْ نَفْرَجُ الأَواءِ فِي كُلِّ مَعْرَكِ  
هُمُ أُولِياءُ اللُّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ

ومما يستحسنه الناس من المراثي وَيَخْفُ عَلَى ألسنتهم قصيدة محمد بن  
مُنَادِرِ الصَّبِيرِيِّ<sup>(٢)</sup> مَوْلَى بَنِي صُبَيْرِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ المَجِيدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ  
الثَّقَفِيِّ حَتَّى قَد خَلَطُوا فِي الروايةِ، وَزادَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. وَنَحْنُ نَخْتارُ اخْتِياراً  
مِنْها تَقَعُ فِيهِ الموعظةُ الحسنةُ مِنْ قولِ المخلوقينَ، وَالكلامُ المرصّيُّ مِنْ ذلكَ،  
وهي التي أولها:

[الخفيف]

(١) مغزك عماس: شديد.

(٢) محمد بن مُنَادِرِ اليربوعي بالولاء «أبو جعفر» شاعر كثير الأخبار والنوادر كان من العلماء بالأدب  
واللغة غلب عليه المحون والزندقة وأصله من اليمن أو البصرة وفيها منشؤه مدح البرامكة وأخرج  
بعد نكبتهم إلى مكة حيث تهتك ومات فيها (.. / ١٩٨ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ١١١).

كُلُّ حَيٍّ لاقِيَ الْجَمَامَ فَمُودٍ      ما لِحَيِّ مُؤْمِلٍ مِنْ خُلُودٍ  
 لَا تَهَابُ الْمَنُونُ حَيًّا وَلَا      تُبْقِي عَلى الْوَالِدِ وَلَا مَوْلُودٍ  
 يَفْدُحُ الدُّهْرُ فِي شِعَابِ رِيحِ رُضْوَى      وَيَحْطُ الصُّخْرُوزَ مِنْ هَبِّودٍ  
 يزعمون أنه غلط في هذا، وأن هبود حفيرة، وليس كما قالوا، إنما الحفيرة هبوب. والذي قال هو: هبود. وذكروا أنها أكمة.

وَلَقَدْ تَشْرَكَ الْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ      وَغَيًّا فِي الصُّخْرَةِ الصُّنِيخُودِ  
 لَيْسَ يَبْقَى عَلى الْحَوَادِثِ حَيٌّ      غَيْرَ وَجِهِ الْمُهَيَّمِنِ الْمَغْبُودِ  
 ومما استحسنتُ منها ولم أزدلُ غَيْرَه، قوله:

أَيَّنَ رَبُّ الْجِصْنِ الْحَصِينِ يَسُورًا      ءَ وَرَبُّ الْقَضْرِ الْمُنِيفِ الْمَشِيدِ  
 شَادَ أَرْكَائَهُ وَيَوَّيَّبُهُ بَا      بَنِي حَدِيدٍ وَخَفَّهُ بِجُنُودِ  
 كَانَ يُجْبَى إِلَيْهِ مَا بَيْنَ صَنَعَا      ءَ فَمَضِرٍ إِلَى قُرى يَبْرُودِ  
 وَتَرَى حَوْلَهُ زُرَافَاتٍ خَيْلٍ      جَافِلَاتٍ تَغْدُو بِغَثَلِ الْأَسُودِ  
 فَرَمَى شَخْصَهُ فَأَقْضَدَهُ الدُّهْرُ      رُبَّ يَسْهَمٍ مِنَ الْمَنَايَا سَدِيدِ  
 ثُمَّ لَمْ يُنْجِهِ مِنَ الْمَوْتِ جِصْنٌ      دُونَهُ خَلْدَقٌ وَبَابَا حَدِيدِ  
 وَمَلُوكٌ مِنْ قَبْلِهِ عَمَرُوا الْأَرْضَ      ضَ أَعْيَنُوا بِالْقَضْرِ وَالشَّايِيدِ  
 فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ أَخْلَدْنَ حَيًّا      لِغَلَامٍ أَخْلَدَنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ  
 مَا دَرَى نَعْشُهُ وَلَا حَامِلُوهُ      مَا عَلى الثُّغْسِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ  
 وَيَخُ أَيَّدُ حَثَّتْ عَلَيْهِ وَأَيَّدِ      دَفَنَتْهُ، مَا غَيَّبَتْ فِي الضَّعِيدِ  
 غَيَّبَتْ فِي الضَّعِيدِ حَزْمًا وَعَزْمًا      وَلِزَاوِ الْخُضْمِ الْأَلْدُ الْعَنُودِ  
 إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى      هَذَا رُكْنًا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ  
 هَذَا رُكْنِي عَبْدَ الْمَجِيدِ وَقَدْ كُنْتُ      حَتَّ بَرْكَنِي مِثْلَهُ - أَبُوه - شَدِيدِ  
 حِينَ تَمَّتْ آدَابُهُ وَتَسَرَّدِي      بِرَدَائِهِ مِنَ الشُّبَابِ جَدِيدِ  
 وَسَمَّتْ نَحْوَهُ الْعُيُونُ وَمَا كَا      نَ عَلَيْهِ لِزَائِدٍ مِنْ مَزِيدِ  
 وَكَأَنِّي أَدْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ      حِينَ أَدْعُوهُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدِ  
 وَلَيْتَ كُنْتُ لَمْ أَمُتْ مِنْ جَوَى الْحَزْ      نِ عَلَيْهِ، لِأَبْلَغُنَّ مَجْهُودِي  
 لِأَقِيمَنَّ مَاتِمًا كُنْجُومِ      اللَّيْلِ زُهْرًا يَلْطَمُنُ حُرَّ الْخُدُودِ  
 مُوجِعَاتٍ يَبْكِينَ لِلْكَبِيدِ      الْحَرَى عَلَيْهِ وَلِلْفُؤَادِ الْعَمِيدِ  
 وَلَغِينٍ مَطْرُوقَةٍ أَبْدَأُ قَا      لَهَا الدُّهْرُ: لَا تَنَامِي وَجُودِي

لَمَّا عَزَّكَ الْبُكَاءُ قَدْ أَتَفَذْتُ  
فَتَنَى يَحْسُنُ الْبُكَاءُ عَلَيَّ  
فكُلُّ هذه الأبيات عُزَّةٌ، ولقد بلغني بلاغاً إخاله صحيحاً أن عبد المجيد كان لمدح حياته موضعاً، وللمراثي بعد موته مُستوجِباً، غفافاً وجمالاً وأدباً وشبهاً.  
وقال القائل:

[البيسط]

وَإِنْ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ  
وَإِنْ جَلَّ قَدْرُ الْمُؤْمِنِ - بَكَاءُ الرَّجُلِ عَلَى نَفْسِهِ - وَإِنْ كَانَ  
حَيًّا، لَمَا يَتَوَقَّعُهُ. كما قال إسماعيل بن القاسم:

[السرير]

كَمْ سَتَرِي فِي النَّاسِ مِنْ هَالِكِ  
وَهَالِكِ حَشَى تُرَى هَالِكَا  
فهذا مأخوذ مما يروى أن الصديق - رحمه الله - كان يُكثر إنشاده وهو:

[مجزوء الكامل]

تَنَفَّكَ تَنَمَّعٌ مَا حَيَّيْتَ  
وَالْمَرَّةُ قَدْ يَزْجُو الرَّجَا  
وَمَعَ قَوْلِهِ هَذَا:

[السرير]

أَضْبَحْتَ الدُّنْيَا لَنَا عِبْرَةً  
اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى دُمِّهَا  
ومثله قوله:

[الطويل]

وَقَدْ حَذَّرْتَنَاهَا لَعَمْرِي خُطُوبُهَا  
عَلَى أَنَّهَا فِينَا سَرِيحٌ ذَبِيبُهَا  
إِلَى حُفْرَةٍ يُحْشَى عَلَيَّ كَثِيبُهَا  
لَفِي غَفْلَةٍ عَنِ صَوْتِهَا لَا أَجِيبُهَا  
وَيُغْجِبُنِي رَوْحُ الْحَيَاةِ وَطِيبُهَا  
يَدُومُ طُلُوعُ الشَّمْسِ لِي وَعُرُوبُهَا  
تُحَاذِرُ نَفْسِي مِنْكَ مَا سَيُصِيبُهَا  
وَنَفْسِي سَيَاتِي بَعْدَهُنَّ نَصِيبُهَا  
تُنافِسُ فِي الدُّنْيَا وَتَحْنُ نَعِيبُهَا  
وَمَا تَحِيبُ السَّاعَاتُ تُقَطِّعُ مُدَّةَ  
كَأَنِّي بِرَهْطِي يُحْمِلُونَ جَنَازَتِي  
وَبَاكِيَّةٍ حَرَى تَشْرُخُ وَإِنْسِي  
وَإِنِّي لَجَمُنٌ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَالْبَلَى  
فَحَشَى مَتَى حَشَى مَتَى وَإِلَى مَتَى  
أَيَا هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا مِنْكَ مَهْرَبٌ  
رَأَيْتَ الْمُنَايَا قُسِمَتْ بَيْنَ أَنْفُسِ

وقال منصور الثمري يرثي يزيد بن يزيد:

مَتَى يَبْرُدُ الْحُزْنَ الَّذِي فِي فُؤَادِيَا  
أَبَا خَالِدٍ مَا كَانَ أَذَى مُصِيبَةً  
أَبَا خَالِدٍ لَا بَلَّ عَمَمَتْ بِسُكْبَةٍ  
وَنَاعَ عَدَا يَشْعَى يَزِيدُ بَنَ مَزِيدٍ  
أَعْيَنِي جُودًا بِالدُّمُوعِ وَأَسْعِدَا  
سَمِعْتُ بِكَاءِ النَّايِحَاتِ بِسُحْرَةٍ  
أَلَا عَذْرَ اللَّهْ الْعِيُونَ الْبِوَائِيَا  
لَعَمْرِي لَيْتَنِ سُرَّ الْأَعَادِي وَأَظْهَرُوا  
وَحَلَّفْتُ لَيْتَنِي غَابَتَيْنِ كِلَاهِمَا  
فَسَيَبْنُكَ أَخْلَاقًا وَعِزَّةً أَنْفَسِ

قال «النفوس» في موضع «النفوس».

سُقِيَتِ السُّوَارِي وَالْعَوَادِي وَقَدْ أَرَى  
تُعَزِّي بِكَ الْإِسْلَامَ إِنَّكَ دُونَهُ  
مُشْمَرٌ أَذْيَالٍ تَحُوطُ حَرِيمَهُ  
وَكُنْتَ شِهَابًا لِلْخَلِيفَةِ نَاقِبًا  
وَكُنْتَ سِنَانًا نَافِذًا فِي يَمِينِهِ  
وَكُنْتَ إِذْ نَادَى لِأَمْرِ عَظِيمَةٍ  
... نَوِينَا جَانِبًا وَالسَّوَانَا  
وَقَمْتُ بِأَمْرِ الثُّغُرِ بَعْدَ فُسَادِهِ  
فَقَدْ مَاتَ مَعْرُوفٌ وَمَاتَتْ تَجَارَةٌ  
نِعَزِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ  
لَقَدْ كَانَ فِي أَعْدَائِهِمْ ذَا شَكِيمَةٍ  
وَمَلَانٌ مِنْ وَدِّ الْخَلِيفَةِ صَدْرُهُ  
مَضَى مَا جَدَّ الْأَيَّامِ رَافِعَ هِمَّةٍ  
وَإِنْ عُدَّ فِي ذُنُوبِي فِدَاكَ مَكَارِمِ  
عَلَى مِثْلِ مَا لَاقَى يَزِيدُ بَنَ مَزِيدٍ  
فَتَى كَانَتْ الْأَبْطَالُ تُعْرِفُ أَنَّهُ

خَيَالِكَ يَسْرِي ثُمَّ يُضِيحُ عَادِيَا  
إِذَا تَكَلَّ الْحَامُونَ كُنْتُ مُحَامِيَا  
وَتَحْمِي لَهُ أَطْرَافَهُ وَالْقَوَاصِيَا  
وَكَوَكَبَةَ تَرْمِي الْعِدَا وَالْمُنَادِيَا  
وَسَيْفًا لَهُ عَضْبًا يَقْدُ الْهَوَادِيَا  
وَلَمْ يَكْ مِنْ يَكْفِي أَصَانِكَ كَافِيَا  
وَشَمَّرْتَ أَذْيَالًا وَلَبَّيْتُ دَاعِيَا؟  
وَأَوْشَكْتَ مِنْهُ رَفَعُ مَا كَانَ وَاهِيَا  
وَمَاتَ غِنَاءُ يَوْمٍ وَدَعَتْ مَاضِيَا  
بِسَيْفٍ لَهُ مَا كَانَ فِي الْحَرْبِ نَابِيَا  
لَهُمْ نَاهِكًا بَدَا وَقَدْ كَانَ نَاجِيَا؟  
يُؤَدِّي إِلَيْهِ التُّضْحُ مَذْ كَانَ نَاشِيَا  
إِلَى الْخَلْقِ الْأَعْلَى، مِنْ الدَّمِ نَاجِيَا  
وَإِنْ عُدَّ فِي دِينِ فَلَمْ يَكْ تَالِيَا  
عَلَيْهِ الْمَنَايَا فَالْتَقِ إِنْ كُنْتَ لِأَقِيَا  
إِذَا قَارَعَتْهُ لَيْسَ بِالضُّيْمِ رَاضِيَا

إِنْ تَكْ أَفْتَنْتَهُ الدَّيَالِي فَأَوْشَكْتَ      فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سِنْفِي الدَّيَالِيَا  
 خَلَفْتَ لَقَدْ أَبْقَى يَرِيدُ لِرَفِطِهِ      معالي لا تُشْفِكُ تُبْنِي معاليَا  
 كنا أردنا أن نملّي أشعاراً من أشعار المحدثين في ضروب سن المراثي  
 أشفقتنا من أن يُسْتَحْفَ بهذا الكتاب، والمراثي لا تنقضي ما كان الناس؛ فأخينا  
 ن نُخْتِمُهُ ونأخذ في غيره، وأن يكون ما نُخْتِمُهُ به شريفاً بهياً، فاختارنا له قصيدة  
 نشدناها الرّياشي لرجل من عَطْفَان من بني عبد الله، كانت له صُحبة، قُتِلَ يوم  
 جُلُولاء<sup>(١)</sup> يقال له سالم، يَزْمِي رسول الله ﷺ:

[المقارِب]

لِصُخْبِكَ مَا طَلَعَ الْكَوْكَبُ  
 وَأَيُّ السِّبْرِيَّةِ لَا يُشْكَبُ  
 بَ إِلاَّ جَوَى دَاخِلُ مُنْصَبُ  
 فَخَيْمِ فِيهِ فَمَا يَذْعَبُ  
 وَمَا بَالُ ذَمِّكَ لَا يَسْكَبُ!  
 وَصَافَتْ بِكَ الْأَرْضُ وَالْمَذْهَبُ  
 يُبْنِيكَ مِنَ النَّاسِ أَوْ يُشْدَبُ  
 كَثِيرَ الْفَوَاضِلِ لَا يُجْدَبُ  
 بِ مَحْضِ الضَّرَائِبِ لَا يُؤْشَبُ  
 دَضْحَمِ الدَّيْبِيَّةِ لَا يُخْسَبُ  
 سَرِيعاً سَوَائِلُهُ مُخْصَبُ  
 مَدُوقِ الْمَقَالَةِ لَا يَكْذَبُ  
 شُهُودُ الْمَدِينَةِ وَالغَيْبُ  
 وَشَرْقُ الْمَدِينَةِ وَالسُّغْرِبُ  
 إِذَا حُجِبَ النَّاسُ لَا تُخْجَبُ  
 تُطْوِيفُ بِعَفْوَتهِ أَشْيَبُ  
 مِنَ النَّاسِ وَالْعَدَارِقُ الْأَخْيَبُ  
 وَذُو النَّسَبِ السَّاجِلُ الْأَقْرَبُ

فَاطِمُ بَنِي وَلَا تُسَامِي  
 قَدْ هَدَّتْ الْأَرْضُ لَمَّا تَوَى  
 معالي بَعْدَكَ حَتَّى الْمَمَا  
 جَوَى حَلَّ بَيْنَ الْحَشَا وَالشُّغَافِ  
 يَا غَيْبُ وَنَحْبُكَ لَا تُسَامِي  
 قَدْ بَانَ مَثَلُكَ الَّذِي تَعْلَمِينَ  
 مِنْ ذَا - لَكَ الْوَيْلُ - بَعْدَ الرَّسُولِ  
 إِنْ تَبْنِيكَ تَبْنِيكَ خَيْرُ الْأَنَامِ  
 إِنْ تَبْنِيكَ تَبْنِيكَ سَهْلُ الْجَنَا  
 إِنْ تَبْنِيكَ تَبْنِيكَ تُسَوِّزُ الْبِلَا  
 إِنْ تَبْنِيكَ تَبْنِيكَ خَيْرُ الْأَنَامِ  
 إِنْ تَبْنِيكَ تَبْنِيكَ وَارِي الزُّنَادِ  
 تَبْنِيكَ الزُّنَادُ وَحَقَّتْ لَهُ  
 تَبْنِيكَ لَهُ نَصْرُهُ فَمِنْ الْجِبَالِ  
 تَبْنِيكَ لَسَعْتُهُ مَضْرُورَةٌ  
 بِتَبْنِيكَهِ لَسَعْتُهُ بِسَوْ وَلِدُهُ  
 بِتَبْنِيكَهِ أَقْرَبُ النَّاسِ الْحَجِي  
 بِتَبْنِيكَهِ ضَيْفُهُ مَدِينَةُ الْعُطْدِيْقُ

(١) جلولاء: ضاح من مديح السواد في ربيع رمضان كانت فيها الواقعة المشهورة على الفرس

١٦ هـ (معجم البلدان) ١٠٧ من ٥٦

وَيُبَكِّبِيهِ شَعْتٌ جِمَاصُ الْبُطُونِ أَضْرَبُ بِهِمْ زَمَنٌ أَتَّكَبُ  
 وصلّى الله على محمد وآله وسلم تسليماً.  
 هذا آخر الكتاب. وقيل: ما قيل فيه ﷺ قليل وإن كان كثيراً في اللفظ،  
 ويسيراً وإن كان جليلاً في النفس، وعليه رحمة الله وبركاته.  
 وهذا حديث نذكره لِيَتَّبِعَهُ ذِكْرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَعُوذُ بِهِ عَائِذًا، وَيَأْتِمُّ بِهِ  
 مُؤْتَمًّا:

حدثني الزياشي العباس بن الفرّج قال: أخبرنا أحمد بن شبيب قال: أخبرنا  
 أبي عن زُوح بن القاسم عن أبي جعفر الخُطّي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن  
 حُنيف عن عمه بن حُنيف أن رجلاً كان يَخْتَلِفُ إلى عثمان بن عفان رحمة الله  
 عليه في حاجة له، وكان عثمان لا ينظر إليه ولا يلتفت إلى حاجته. فلقي  
 عثمان بن حُنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حُنيف: إيتِ الميضاة  
 فتوضاً، ثم اتبِ المسجد فصلِّ ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك بنبيِّ محمد،  
 نبيِّ الرحمة، يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربي فيَقْضِي لي حاجتي - وتذكر  
 حاجتك، ثم رُخ حيث تروح.

فانطلق الرجل فصنع ذلك. ثم أتى باب عثمان بن عفان، رحمة الله عليه  
 فأخذ البواب بيده، فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه على  
 الطَّنْفُسة، فقال له: حاجتك؟ فذكر له حاجته فقضاها، ثم قال: ما فهمتُ حاجتك  
 حتى كانت الساعة. وقال: انظر ما كانت لك من حاجة.

ثم إن الرجل خرج فلقي عثمان بن حُنيف، فقال له: جزاك الله خيراً. ما  
 كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته، فقال عثمان بن حُنيف: ما  
 كلمته، ولكني سمعت رسول الله ﷺ - وجاء ضرير فشكا إليه ذهاب البصر، فقال  
 رسول الله ﷺ: أو تصبر؟ فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد، وقد شقَّ عليّ.  
 فقال النبي ﷺ: إيتِ الميضاة فتوضاً ثم صلِّ ركعتين، ثم قل: اللهم، إني أسألك  
 وأتوجه إليك بنبيِّ محمد نبيِّ الرحمة ﷺ. يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربي  
 لِيَبْرُؤَ لي بصري. اللهم شقِّعني فيّ، وشقِّعني في نفسي. قال عثمان بن حُنيف:  
 فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضرر.

تم كتاب التعازي والمراثي بأسره، والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

وكان الفراغ منه في العشر الأوسط من جمادى الآخرة

من سنة ثلاث وستين وخمس مائة

## فهرس المحتويات

٣.....	لمقدمة
٧.....	اب من التعازي
١٢.....	اب من الشعر
٣١.....	هذا باب من التعازي والمواعظ
٤٩.....	هذا باب من التعازي والتعزي في الأشعار
٧٣.....	صية أبي بكر الصديق رحمه الله
٧٣.....	صية عمر بن الخطاب رحمه الله
٧٤.....	صية علي بن طالب رحمه الله
٧٤.....	صية معاوية بن أبي سفيان رحمه الله
٧٦.....	صية أبي عبيدة بن الجراح
٧٧.....	صية عبد الملك بن مروان رحمه الله
٨١.....	صية الربيع بن خثيم
٨١.....	صية جندب بن عبد الله البجلي
٨٢.....	صية المهلب بن أبي صفرة الأزدي
١٤٤.....	اب الجفاة عند الموت
١٥٦.....	اب من تكلم في مرضه بشيء حكى عنه
١٨٣.....	صادر تحقيق كتاب التعازي والمرائي للمبرد